أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحُوِّلَت إلى **مجلة بيبليا**
سنة ١٩٩٨.

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوري بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنص حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الإرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمةالله الخوري
الأب لويس الخوند
القس عيسى دياب
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
الأب هادي محفوظ
الخوري أنطوان مخايل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

▪ ▪ ▪

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/٦٠٠٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠١٠٠

في هذا العدد

الافتتاحية

الرسائل الرعويّة: الكتاب والتقليد والكنيسة ——— رئيس التحرير ٢

دراسة نصوص

٢ تم ١: ٦: أذكّرك أن تضرمَ الموهبة ——— الخوري بولس الفغالي ٧
٢ تم ٢: ٨–١٣: الأمانة للمسيح الأمين ——— الخوري جو دكّاش ١٣
٢ تم ٣: ١–٩: تحذير من أخطار الأيّام الأخيرة ——— الخوري أنطوان مخايل ٢١
٢ تم ٣: ١٠–١٧: أمّا أنتَ فاثبت على ما تعلّمتَه ——— الأب أيوب شهوان ٢٧
٢ تم ٤: ٩–٢٢: يا تيموتاوس، تعالَ إليَّ سريعًا ——— الخوري بولس الفغالي ٤٥
الرسالة إلى فيلمون: أونسيمس ابني (فلم ٨–١٢) ——— الخوري جورج ف. شهوان ... ٥٥
وأخوك (فلم ١٣–١٦)

موضوعات

– رسالة القدّيس بولس إلى فيلمون: أبرز موضوعاتها ——— الأب أيوب شهوان ٦٥
– العبوديّة في رسالة بولس إلى فيلمون ——— الأب لويس الخوند ٧١

تفاسير آبائيّة

في الرسالة إلى فيلمون — يوحنّا الذهبيّ الفمّ ٧٧
تفسير رسالة القدّيس بولس الثانية إلى تيموتاوس — أبو الفرج عبد اللّه بن الطيّب ... ٨١
تفسير رسالة القدّيس بولس إلى فيلمون — أبو الفرج عبد اللّه بن الطيّب ... ٨٥

ثمن العدد

في لبنان : ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)

في لبنان : ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الصف الإلكتروني، الإخراج،
فرز الألوان والطباعة:
Daccache Printing House
عمشيت (لبنان)

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/٦٠٠٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠١٠٠
E-mail: olmpac@hotmail.com

الرسالة الثانية الى طهماسب

كتبتها من بعد رحيل طهماسب من اسنيا بامر بولس وكان في
طراوس وقوله وادكر دموعك يريد التي دمعتها حين
انفصلت عنكم وقوله لكم انكم لا تشاهدوني من بعد والحاله
ورمما هي بعد الروح التي حلت قديما وقوله وانت تشبهت
بابائك من بعد الذين تلمذوا من قبلك وروح الفرح يريد قوة الخوف
من الشدايد فان الله لم يصب لنا هذه الروح لكن روح قوة بنا
وتصبرنا وامن له بالصبر على الشدايد من اجل الشهاده
لان الشهاده بالشدايد قامت القوم عندهم كانوا من الاولى
اصحاب الامانه واسقطوا وقوله ان الاداء يقتضيه احسن
عمله اشار اليه بان لا ياخذ من المومن الا مقدار كفايته
وقوله وجلهم يسري الارضه اي تفسد كما من يجب البرد
اذا استشعت بعضو يسري الى باقي الاعضاء وقولهم ان القيامه
قد تمت بينهم كانوا يقولون ان هذه القيامه التي تنادي

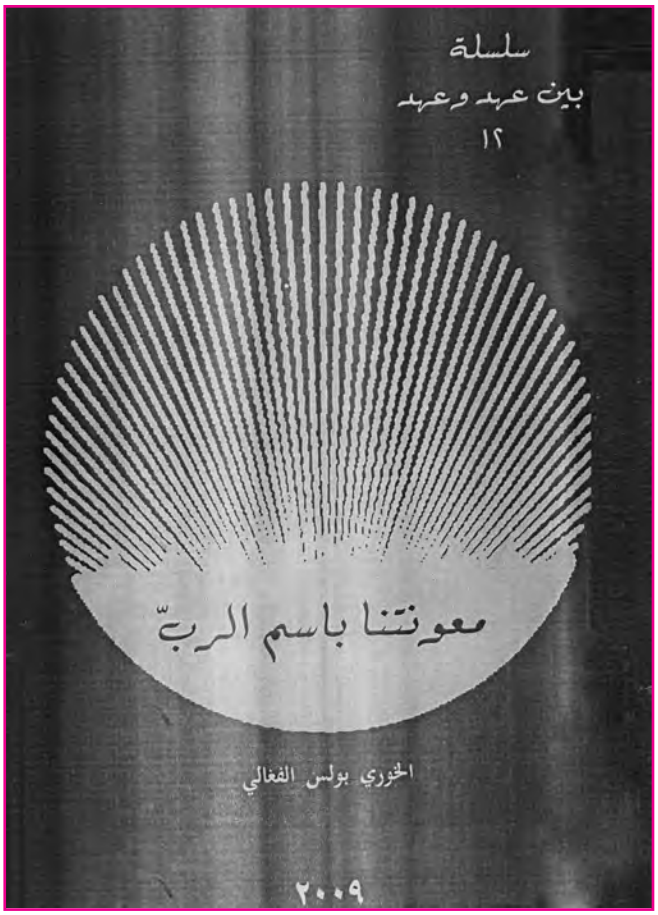
سلسلة
بين عهد وعهد
١٢
معونتنا باسم الربّ
الخوري بولس الفغالي
٢٠٠٩

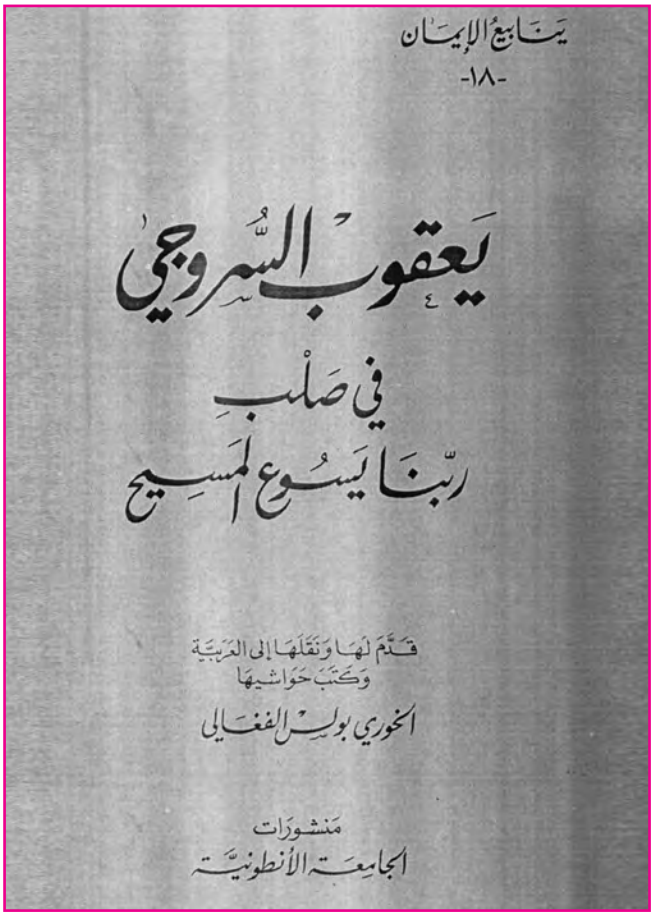
يتابع الإيمان
-١٨-
يعقوب السروجي
في صلب
ربّنا يسوع المسيح
قدّم لها ونقلها إلى العربيّة
وكتب حواشيها
الخوري بولس الفغالي
منشورات
الجامعة الأنطونيّة

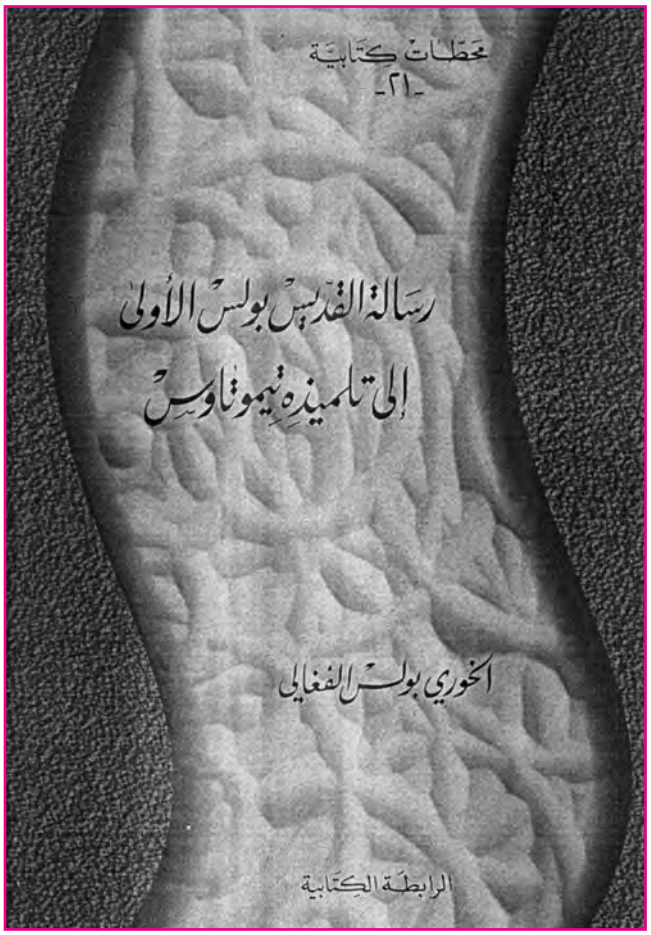
محطّات كتابيّة
-٢١-
رسالة القدّيس بولس الأولى
إلى تلميذه تيموثاوس
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابية

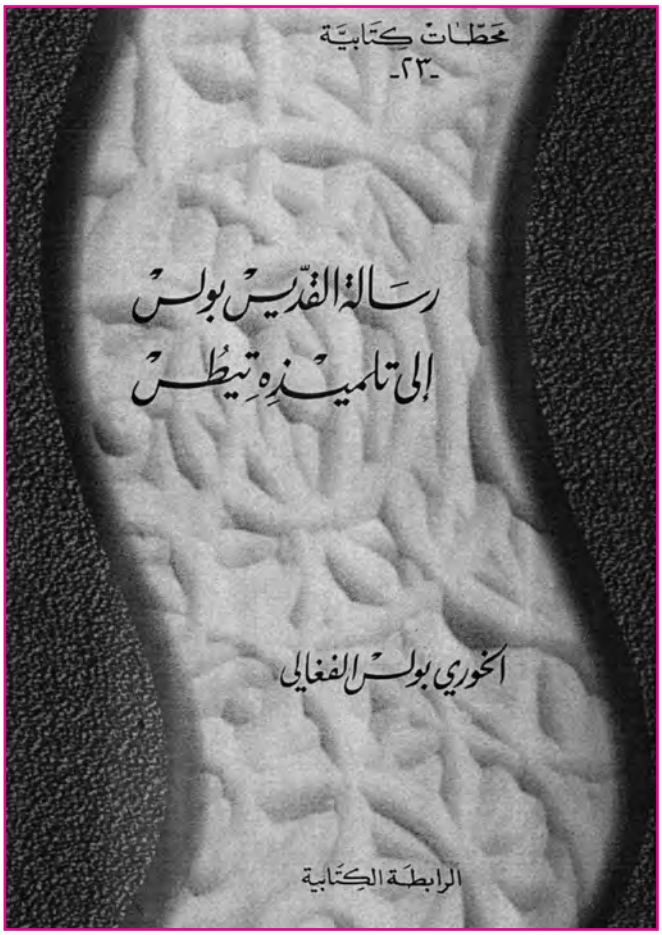
محطّات كتابيّة
-٢٣-
رسالة القدّيس بولس
إلى تلميذه تيطس
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابية

الافتتاحيّة

الرسائل الراعويّة : الكتاب والتقليد والكنيسة

رئيس التحرير

مقدّمـــة

تُدعى رسائلُ بولس الأخيرة "راعويّة"[١] لأنّها أُرسِلَتْ إلى رعاةٍ في الكنيسة معروفيّ الاسم والهويّة، هما بالتحديد تيموتاوس وتيطس[٢]، المعاونان الأقرب إلى الرسول[٣].

تحتلّ الرسائل الثلاث الموجَّهة إلى هذَين الراعيَيْن موقعًا خاصًّا ضِمْنَ العهد الجديد. حاليًّا يرى معظم مفسّريها أنّها قد تكون من وَضْع "مدرسة بولس" وليس منه بالذات، وتعكس خَطَّه الرسوليّ كما أدبه الرسائليّ الخاصّ به. لكن في ٢ تم هناك بعض الكلام الذي يبدو أصيلاً إلى حدّ أنّه يجعل القارئَ يشعر بأنّ بولس شخصيًّا هو الذي يتكلّم. في كلّ حال، تبقى الكلمة الفصل في هذا المجال لذويّ الاختصاص، في مرحلة أولى، وللسلطات الكنسيّة، في مرحلة ثانية.

١ – بولس يختار معاونين له

اعتمد بولس في عمله الرسوليّ على معاونِين مميَّزين يعضدونه في حملِ البشرى، وتنظيم الكنائس، والسهر على جماعاتها، كما في حلّ العديد من المعضلات والأزمات الطارئة. لم يكن يعمل منفردًا، بل كان يلجأ إلى أشخاص يثق بهم، ويعرف مدى تعلّقهم بالإنجيل، فلا يتردّد في محضهم ثقته، خاصّة عندما كانت هموم الرسالة والمؤمنين تقضّ مضجعه، أو عندما كانت المضايقات والصعاب الآتية من كلّ صوب تُثقل كاهله. هكذا اختار تيموتاوس وتيطس الخادمَين الأمينَين للمسيح، اللذَين قَبِلاَ أن يتحمّلاَ المسؤوليّات التي أوكلها إليهما بطيبة خاطر، فأضحيَا معلِّمَين في حَمْلِ البشرى السارّة، وقدوتَين في خدمة الإخوة والأخوات.

– **تيموتاوس**: كان بولس يرى فيه صورةً عنه بالذات، لذا وَكَلَ إليه مهمّات هامّة في مكدونية (أع ١٩: ٢٢)، وتسالونيكي (رج ١ تس ٣: ٦–٧)، وكورنتس (١ كو ٤: ١٧؛ ١٦: ١٠–١١)؛ كذلك كتب فيه مديحًا رائعًا إلى حَدّ القول: "فليسَ لي آخَرُ نظير نفسي يُعنى بأحوالكم عنايةً صادقةً" (فل ٢: ٢٠). استنادًا إلى **التاريخ الكنسيّ** (٣: ٤) لأوسابيوس القيصريّ (القرن الرابع)، كان تيموتاوس أوّلَ أسقف على كنيسة أفسس.

– **تيطس**: كان هو أيضًا غاليًا على قلب بولس الذي

(١) أنظر نعمةالله الخوري، "مدخل الى الرسائل الرعائيّة"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٧–١٤؛ أيوب شهوان، "الرسائل الرعويّة: رسول الربّ تلميذ أمين وراع صالح"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٢–٥.

(٢) أيوب شهوان، المرجع السابق: "تيموتاوس" و"تيطس"، ص ٣–٤.

(٣) BENOIT XVI, “Les deux collaborateurs de saint Paul, Timothée et Tite” (Audience générale, Rome, 13 décembre 2006).

يصفه بكلّ وضوح بأنّه "مملوءٌ غيرةً...، رفيقي ومعاوني" (٢ كو ٨: ١٧، ٢٣)، لا بل "ابني الحقيقيّ في الإيمان المشتَرَك" (تي ١: ٤). كُلِّفَ بمهمّتَين دقيقتَيْن جدًّا في كنيسة كورنتس، أثلَجَتْ نتيجتُهما قلبَ بولس (رج ٢ كو ٧: ٦–٧، ١٣؛ ٨: ٦). لاحقًا، لاقى تيطسُ بولسَ في نيكابُولي، في إبِّيرو، في اليونان (رج تي ٣: ١٢)، من حيث أرسله إلى دلماطية (رج ٢ تم ٤: ١٠). واستنادًا إلى الرسالة الموَجَّهة إليه، يُسْتَنْتَج أنّه صار أسقفَ كنيسة كريت (رج تي ١: ٥).

٢ – الرسائل الرعويّة والوضع الكنسيّ

من دون شك، إنّ الوضع الكنسيّ الذي يتبدّى لنا من هذه الرسائل الرعويّة[٤] هو مختلف عن الوضع الذي كان عليه في السنوات السابقة من حياة بولس؛ فهو، الآن، يصف نفسه بأنّه "مناد، ورسولُ الأمم ومعلِّمها في الإيمان والحقّ" (١ تم ٢: ٧)، وهذا ما يكرّره بشكل حرفيّ في ٢ تم ١: ١١؛ هو يقدِّم ذاتَه على أنّه تلقّى رحمةً، "لأنّ يسوع المسيح جاء إلى العالَم ليخلِّص خطأةً أوّلُهم أنا"؛ ويضيف: "لكنّي لهذا رُحِمْتُ، لكي يُظهِرَ المسيحُ يسوعُ كلَّ أناتِه فيّ أنا أوّلاً، مثالاً للذين سيؤمنون به لحياة أبديّة" (١ تم ١: ١٦). بالتالي إنّه لأمرٌ جوهريّ أنّه، في بولس المضطَّهِد، الذي اهتدى على أثر ظهورٍ يسوع له على طريق دمشق، تتجلّى رحمةُ الربِّ القادرة أن تصنع العظائم.

وبالإضافة إلى السنوات المركزيّة من حياة بولس كرسول ليسوع المسيح، لدينا أيضًا الأُطُر الجديدة الثقافيّة الناشئة؛ في الواقع، هناك تلميح إلى قيام **تعاليم ضالّة** وكاذبة كلّيًّا: "لكنّ الروحَ يقول فيوضِحُ أنّ قومًا في الأوقات الأخيرة سيجحدون الإيمان، ويُصغون إلى أرواح مُضلَّة وإلى تعاليم شياطين، ويُؤخَذون برياء أناسٍ كذّابين، مَكويّين في ضميرهم" (١ تم ٤: ١–٢)؛ وهناك كلام مماثل في ٢ تم ٣: ١–٥ يُبَيّن أخطار الأيّام الأخيرة التي ستكون فيها أوقاتٌ عسيرة، فيكون الناس في ذروة شرّهم، كذلك كانوا يدّعون أنّ الزواج ليس جيّدًا (رج ١ تم ٤: ٣أ).

إنّ هذا الهمّ هو هو في أيّامنا أيضًا، لأنّه، حيث تُقرأ الكتب المقدّسة وكأنّها كتابٌ تاريخيٌّ فُضولِيّ، وليس باعتبارها كلمة الروح القدس، التي نستطيع أن نسمع منها ومن خلالها صوتَ الربّ بالذات، ونعرف حضورَه في التاريخ. بإمكاننا أن نقول بأنّه، مع الجدول الموجز بالضلالات الواردة في الرسائل الثلاث، تظهر بعض ملامح ذاك التَوَجُّه المغلوط الذي يلي، والذي هو الغنوصيّة (رج ١ تم ٢: ٥–٦؛ ٢ تم ٣: ٦–٨).

٣ – قراءة الكتاب المقدّس والوديعة

في وجه العقائد الكاذبة هذه يقف بولس موقف المعلّم الحكيم، والوكيل المؤتمن على وديعة الإيمان، مذكِّرًا بأمرين جوهريَّين، هما التاليان:

– **الأوّل** يقوم على التوجيه نحو **قراءة روحيّة للكتاب المقدّس** (رج ٢ تم ٣: ١٤–١٧)، أي إلى قراءة تعتبر الكتاب المذكور "مُلْهَمًا" حقًّا، وأنّ مصدره هو الروح القدس، لأنّ "الكتاب المقدّس قادر أن يصيّر المؤمن حكيمًا للخلاص" (٢ تم ٣: ١٥). لذا، على قارىء الكتاب المقدّس أن يضع أو يُدخل ذاته في حوار مع الروح القدس بطريقة تمكّنه من أن يتلقّى منه نورًا "لكي يعلِّم، ويُقنِعَ، ويُقوِّمَ، ويؤدِّبَ في البِّر" (٢ تم ٣: ١٦). بهذا المعنى تُضيف الرسالة الثانية إلى تيموتاوس ما يلي: "حتّى يكون رَجُلُ الله كاملاً ومُعَدًّا لكلِّ عمل صالح" (٢ تم ٣: ١٧).

– أمّا **الثاني** فيقوم على "وديعة" (παραθήκη) الإيمان عقيدةً ومسلكًا. لم تَرِدْ هذه الكلمة في العهد الجديد إلاّ ثلاث مرّات، وبالتحديد في الرسائل الرعويّة (١ تم ٦: ٢٠؛ ٢ تم ١: ١٢، ١٤). يُشار بها إلى تقليد الإيمان الرسوليّ الذي

(٤) حول بولس، والرسائل الرعويّة، والكنيسة الأولى، يمكن العودة إلى المؤلَّف التالي:
James W. AAGESON, *Paul, the Pastoral Epistles and the Early Church*, LPS, Peabody, Hendrickson, 2008.

إذا أَجَبْتَني إلى غفرانِ خطيئةِ أُنسيمُوسَ وَقَبِلْتَهُ، أَكْسَبْتَني لَذَّةً[١٢].

٨ ودعـــــا "إِفَـــفْرَا"[١٣] (آ ٢٣) "مسبيًّا"[١٤] (آ ٢٣) لِمَا احتملَهُ معه من الضَيْمِ بسببِ المسيحِ.

٩ تَمَّتِ الرسالةُ.

(١٢) "فاشرحْ صدري..." (آ ٢٠).

(١٣) Επαφρᾶς، إِبَفْرا: من كولسّي، تلميذ بولس الذي ذكره ثلاث مرّات (كول ١: ٧؛ ٤: ١٢؛ فلم ٢٣). وكَلَ إليه تبشيرَ كولسّي واللاذقيّة وهيرابّوليس (كول ٤: ١٣).

(١٤) V: مسبيّ. في اليونانيّة συναιχμάλωτος، وفي السريانيّة **مَحْسًا**.

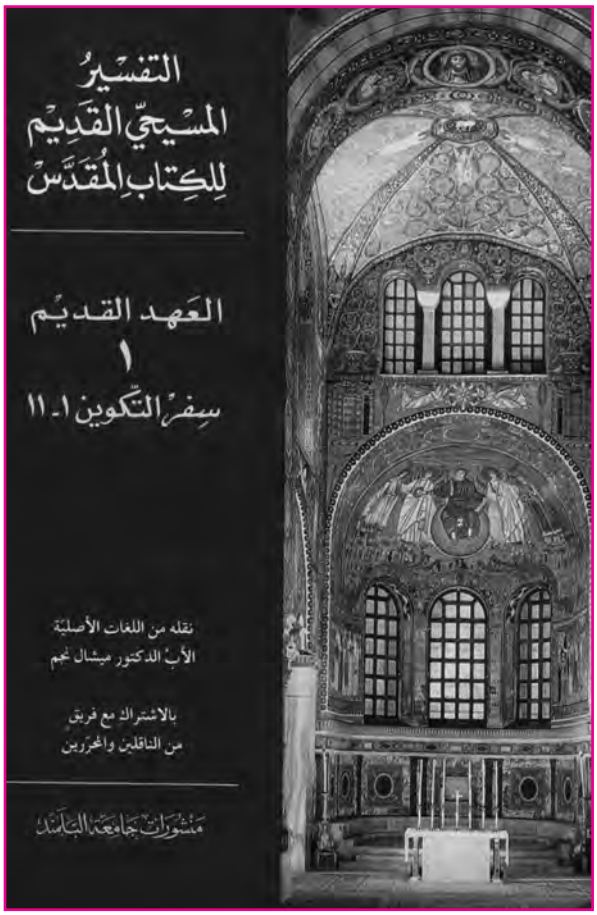

أبو الفرج عبد اللّه بن الطيّب (١)

تفسير رسالة القدّيس بولس إلى فيلمون

تحقيق الأب أيّوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

V343b

رسالته إلى فيليمون (٢)

١ "أُنسيمُوس" (٣) (آ ١٠) كانَ "عَبْدَ" (آ ١٦) فيلِيمُونَ (آ ١)، وهذا كانَ رَجُلاً (٤) من أهل بيته.

٢ وأُنسيمُوسُ هَرَبَ (آ ١٥)، ولَمْ يَعتَمِدْ، إلاَّ أَنَّهُ صادفَ بولسَ برومية (٥)، وآمنَ بالمسيحَ (٦).

٣ وسَأَلَهُ أَنْ يُكاتِبَ مَولاهُ بسببه، فَكَتَبَ له (آ ٢١) بأنْ يَغفِرَ زَلَّتَهُ (آ ١٧–١٨) ويُكْرِمَهُ (٧).

٤ و"أَفِيَا" (٨) (آ ٢) زوجةُ فِيلِيمُونَ، و"أَرْخِيفُوسُ" (٩) (آ ٢) ابنُهُ V344a بالمحبّة.

٥ و"بِيعتُهُ" (١٠) (آ ٢) إشارةٌ إلى جماعة المؤمنينَ عندَهُ.

٦ و"أَرْخِيفُوسُ" (آ ٢)، في الحقيقة، ليسَ هو ابنَ فِيلِيمُونَ، لكنْ كانَ مُحِبًّا له، ولهذا سألَهُ بولسُ بسبب أُنسيمُوسَ.

٧ وقَوْلُهُ : "البديل" (١١) (آ ١٣) ، أي

(١) أنظر نبذةً عنه في **مجلّة بيبليا**، ٢ (١٩٩٩) ٣٨–٣٩.

(٢) يكتب ابنُ الطيّب الاسمَ "فيليمون" كما في السريانيّة، ܦܝܠܝܡܘܢ، المتأثّرة باليونانيّة Φιλήμων. لم يرد ذكر فيلمون إلاّ في هذه الرسالة. كان من كولسّي، صديقًا للقدّيس بولس (آ ٨، ١٧، ٢٠)، ميسورًا يملك أُنسيمُوس عبدًا (آ ١٠، ١٦). اهتدى على يد بولس في أفسس، وصار بيته ملتقى الجماعة المسيحيّة (آ ٢، ٥–٧).

(٣) يكتب ابنُ الطيّب الاسمَ "أُنسيمُوس" كما في السريانيّة، ܐܘܢܣܝܡܘܣ، المتأثّرة باليونانيّة Ὀνήσιμος. كان أُنسيمُوس عبدًا لفيلمون؛ ورد ذكره في الرسالة إلى أهل كولسّي رفيقًا لطِيخيكس الذي حمل الرسالة إلى كنيسة كولسّي (كول ٤: ٩). أساء إلى فيلمون سيّده (فلم ١٨)، وهرب من بيته (آ ١٥)، والتجأ إلى بولس الذي كان في السجن (آ ٩، ١٠، ١٣، ٢٣). اهتدى مثل سيّده فيلمون على يد بولس (آ ١٠) الذي أقنعه بأن يعود إلى سيّده (آ ١١–١٢).

(٤) V : رجل

(٥) يضيف النصُّ السريانيّ في آخر الرسالة ما يلي: ܟܬܒܬ ܠܟ ܡܢ ܪܘܡܝ ܒܝܕ ܐܘܢܣܝܡܘܣ ܥܒܕܟ ܘܫܠܝܚܐ ܕܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܒܥܕ ܢܦܫܗ، ܐܝܟ ܕܐܡܪ ܠܢ ܫܠܝܚܐ ܕܐܡܪ، ܐܢܣܦܣܘܣ، أي: "انتهت الرسالة التي إلى فيلمون التي كُتِبَتْ من روما، وأُرسِلَت بيدي أُونسيموس".

(٦) "ولدي أُنسيمُوس الذي وَلدته في السلاسل" (آ ١٠).

(٧) "ليكون... أخًا حبيبًا، وهو أخ حبيب جدًا إلي، فكم بالأحرى إليك... فاقبله قبولك لي" (آ ١٦–١٧).

(٨) في اليونانيّة Ἀπφία، وعنها أخذت السريانيّة ، ܐܦܝܐ. يُرَجَّح أن تكون امرأة فيلمون، وهي "أخت"، أي مسيحيّة مؤمنة، مثل تيموتاوس (آ ١)، وفيلمون (آ ٧، ٢٠)، وأُنسيمُوس (آ ١٦).

(٩) ܐܪܟܝܦܘܣ Ἄρχιπος: ܐܪܟܝܦܘܣ. يُرَجَّح أنّه شخص مرموق مسؤول في كنيسة كولسّي (كول ٤: ١٧)، جاهد إلى جانب بولس في سبيل الإنجيل، لذلك سمّاه "رفيق تجنّدنا".

(١٠) εκκλησια، ܥܕܬܐ. بعد أن توجّه بولس إلى أفراد، يتوجّه إلى الكنيسة.

(١١) υπερ، ܥܠ، "مقام": "يقوم مقامك في خدمتي".

ينبغي الحفاظ عليه بمعونة الروح القدس الساكن فينا؛ هذه "الوديعة" هي بالتالي بمثابة ذروة التقليد الرسوليّ، ومعيار الأمانة البشرى. إنّها بشرى الإنجيل التي أَوْدَعَناها الرسل عامّة وبولس خاصّة، والتي على تيموتاوس وكلّ مَن يتولّى المسؤوليّة الكنسيّة أن يحفظها بأمانة، لأنّها هي التعليم السليم والصحيح الذي ينبغي أن يتوارثه أولاد الكنيسة بكلّ اعتناء.

٤ – "الكتاب والتقليد"

وينبغي هنا أن نتذكّر أنّه، في الرسائل الرعويّة، كما في مجمل العهد الجديد، تعني كلمةُ **"كتاب"** بوضوح العهدَ القديم، لأنّ كُتُبَ العهد الجديد إمّا أنّها لم تكن بعد موجودة، وإمّا أنّها لم تكن بعد قد صارت جزءًا من قانون الكتاب المقدّس. هكذا يضحي تقليد التبشير الرسوليّ، أي "الوديعة" الآنفة الذكر، مفتاحَ قراءة الكتاب المقدّس وفهمه، وبالتحديد العهد الجديد. بهذا المعنى، يشكّل **الكتابُ، والتقليدُ، والتبشيرُ الرسوليُّ** "الأساسَ الصلبَ الذي أرساه اللهُ" (٢ تم ٢: ١٩) للولوج إلى كنْه الكتاب ولفَهْم مكنوناته الوفيرة، وتلقّي صوت المسيح المحيي. إنّ التقليد يحمل الكتاب، والكتابُ يُسند التقليد. لا تقليد من دون عودة إلى الكتاب، ولا قيمة للكتاب إن لم نجعله في مناخه الذي هو التقليد الحيّ في الكنيسة.

٥ – الوحي ومحبّة الله للبشر

يقول بولس بأنّه ينبغي أن يكون رجلُ الله "ملازمًا للكلمة الصادقة وَفْقَ التعليم، حتّى يكون ذا قدرة على الوعظ في التعليم السليم، وعلى توبيخ المعارضين" (تي ١: ٩). على أساس كلّ ذلك، هناك بالتحديد الإيمان بالوحي التاريخيّ الذي به أظهر الله بيسوع المسيح "محبّته للبشر"، كما نقرأ في تي ٣: ٤: "فلمّا ظهر لطف الله مخلّصنا ومحبّته للبشر (φιλανθρωπία)..."؛ رج ٢ تم ١: ٩–١٠).

يعلّم بولس في رسائله أنّ سرّ المسيح الذي كان مخفيًّا منذ الأزل قد انجلى بالتجسّد، ووصل الآن إلى الأمم فعرفوه (رو ١٦: ٢٥؛ أف ٣: ٥؛ كو ١: ٢٦). كلّ ما سبق مجيء المسيح يستضيء بوحيه، أي العهد القديم (٢ كور ٣: ١٤)، وأسرار القلوب (١ كور ١٤: ٢٥)، وبرّ الله (رو ١: ١٧)، والدافع إلى إعطاء الشريعة (غل ٣: ٢٣)، الخ؛ فالله يكشف عن مخطّطه في أن يجمع كلّ شيء في المسيح (أف ١: ١٠). لقد أُخِذَ بولس بعظمة يسوع الذي اتّضع حتّى الصليب لكي يخلّص البشريّة (أف ٢: ١٦؛ فل ٢: ٥–٨؛ رو ٥: ٦–٨)، فكشف عَبْرَ هذا الاتّضاع عن كلّ عظمته (فل ٢: ٩). لقد عمل الرسول على كشف سرّ ابن الله (غل ١: ١٦) بالكرازة (رو ١٦: ٢٦؛ ٢ كور ٢: ١٤؛ رج تي ١: ٣)، والمثل (١ كور ١١: ١). في الحقيقة، هو الله مَن يكشف عن نفسه كالآتي، هو سيّد التاريخ وهو يوجّهه من أجل أهدافه التي تعود بالخير على الناس أجمعين.

٦ – الإيمان والحقّ

يُعَبَّر عن التواصل المسيحيّ بتعابير جليّة، وَفْقَ هويّة تبتعد عن تفاسير غير ملائمة، من جهة، وتؤكّد التجذّر في نقاط الإيمان الأساسيّة، من جهة ثانية، هذا الإيمان الذي هو معادل لكلمة "حَقّ"، حسبما نقرأ في تعليم القدّيس بولس في رسالته الأولى إلى تيموتاوس حيث يقول: "فإنّه يريد أن يخلص جميع الناس، ويبلغوا إلى معرفة الحقّ" (١ تم ٢: ٤)؛ "وأُقمت أنا لها داعيًا ورسولاً – أقول الحقّ ولا أكذب – معلّمًا للوثنيّين في **الإيمان والحقّ**" (آ ٧)؛ "... الذين آمنوا فعرفوا الحقّ" (٤: ٣)؛ "والمناقشات بين قوم فسدت عقولهم، فحُرِموا الحقّ، وحسبوا التقوى وسيلة للكسب"(٦: ٥)؛ أنظر أيضًا: ٢ تم ٢: ١٥، ١٨، ٢٥؛ ٣: ٧، ٨؛ ٤: ٤؛ تي ١: ١، ١٤.

إنّ ما كان مدعاة للفخر عند شعب الله، هو أنّه تسلّم من إلهه قانونًا عادلاً (تث ٤: ٦– ٨) يضمن الحقّ والعدل للناس. هذا ما شدّد عليه الأنبياء (عا ٥: ٧، ٢٤؛ ٦: ١٢؛ إش ٥: ٧، ١٦؛ إر ٤: ٢؛ ٩: ٢٣؛ الخ)، والحكماء (أم ٢: ٩)، وتلك كانت إحدى الميزات الأساسيّة للرجاء المسيحانيّ (إش ١: ٢٧؛ ١١: ٥؛ ٢٨:

١٧)، علمًا أنّ الله بالذات هو مَن يحقّق هذا المطلب المثاليّ (مز ١٩: ١٠؛ ٨٩: ١٥؛ ١١٩: ٧). لذلك سيولي يسوع "العدل، والرحمة، والأمانة" (مت ٢٣: ٢٣؛ رج مي ٦: ٨) اهتمامَه الخاصّ، وكذا سيفعل بولس الرسول، كما في الرسائل الرعويّة.

٧ – الكنيسة والشموليّة

في الإيمان تظهر الحقيقة الجوهريّة المتعلّقة بنا: لِمَن نحن؟ ومَن هو الله؟ وكيف ينبغي أن نعيش؟ وانطلاقًا من هذه الحقيقة، حقيقة الإيمان، تُحَدَّد **الكنيسة** بأنّها "**عمود الحقّ وركنُه**" (١ تم ٣: ١٥). إنّها جماعة منفتحة، ذات نَفَسٍ شموليّ، تصلّي من أجل كلّ البشر من أيّ طبقة ومن أيّ درجة كانوا، حتّى يبلغوا إلى معرفة الحقّ: "**الله يريد أن يخلص جميع الناس، ويُقبلوا إلى معرفة الحقّ**"؛ فواحد هو الله، وواحد هو الوسيط بين الله والناس، هو الإنسان المسيح يسوع الذي وهب نفسه فديةً عن الجميع" (١ تم ٢: ٤–٦). إذًا، الشعور الشموليّ، حتّى ولو كانت الجماعات ما زالت صغيرة، هو كبير وحاسم بالنسبة إلى هذه الرسائل. ومن الواضح أنّ الجماعة المسيحيّة "لا تتكلّم بالسوء على أحد"، لا بل "تُبدي كلّ لُطْف تجاه كلّ الناس" (تي ٣: ٢)، الأمر الذي يُعتَبَر **المُكوِّنَ الأوّلَ** والهامَّ في الرسائل الرعويّة؛ لذلك يشكّل **الإيمان والشموليّة** حقيقةً جوهريّة، ومفتاحَ قراءة للكتاب المقدّس، وبالتحديد للعهد القديم، فترتسم هكذا وحدةُ التبشير والكتاب، والإيمان الحيّ المنفتح على الجميع، والشاهد على محبّة الله للجميع.

٨ – هيكليّة الخدمة في الكنيسة

وهناك **مكوّنٌ آخر** في هذه الرسائل، ألا وهو التفكير حول **هيكليّة الخدمة في الكنيسة**[٥]؛ فالرسائل الرعويّة تتكلّم، وللمرّة الأولى، على توزيع مراتب الخِدَم الثلاثة الموكَلَة إلى **الأساقفة، والشيوخ، والشمامسة** (رج ١ تم ٣: ١–١٣؛ ٤: ١٣؛ ٢ تم ١: ٦؛ تي ١: ٥–٩). بإمكاننا أن نلاحظ في هذه الرسائل التقاءَ بُنْيَتَين مختلفتَيْن للخِدَم، وهكذا تَكَوُّن الشكلِ النهائيِّ للخدمة في الكنيسة. في الرسائل التي حرّرها بولس في السنوات السابقة لزمن تحرير الرسائل الرعويّة، كان يتكلّم على "أساقفة" (فل ١: ١)، وعلى "شمامسة": تلك هي البُنْيَة النموذجيّة للكنيسة التي تكوّنت في زمن العالَم الوثنيّ. مع هذا، يبقى وجهُ الرسول ذاته مهيمنًا، ولذا تطوّرت الخِدَمُ الأخرى شيئًا فشيئًا. كان إذًا لدى الكنائس التي تكوّنت في العالم الوثنيّ **أساقفة وشمامسة**، وليس شيوخًا؛ أمّا في الكنائس التي تكوّنت في العالم اليهوديّ–المسيحيّ فـ**الشيوخ** هم البُنية المُهَيْمِنة.

في الرسائل الرعويّة، تتوحّد البُنيتان، فيظهر "**الأسقف**" (ἐπίσκοπος؛ رج ١ تم ٣: ٢؛ تي ١: ٧)، ودائمًا بصيغة المفرد، مرفقًا بأل التعريف. وإلى جانب "الأسقف" نجد **الشيوخ والشمامسة**. ما زال وجهُ الرسول حاسمًا، ولكنّ الرسائل الثلاث (١ تم، ٢ تم، تي) هي مُوَجَّهَة ليس إلى جماعات بل إلى أفراد، وبالتحديد إلى تيموتاوس وتيطس الأسقفَين، اللذَين كانا قد بدءا في ذاك الوقت بأن يحلاّ مكان الرسول. يُلاحَظ هكذا بدايةُ الواقعُ الذي سيُدعَى لاحقًا "**الخلافة الرسوليّة**".

يقول بولس لتيموتاوس بنبرة فيها الكثير من المهابة: "لا تُهمِل الموهبة التي فيك، وقد وُهِبَت لك بنبوءة مع وضْع أيدي الشيوخ" (١ تم ٤: ١٤). بإمكاننا القول بأنّه، في هذه الكلمات، يظهر في الأصل أيضًا **طابعُ الخدمة الأسراريّ**. لدينا هكذا **جوهر بُنية الخدمة الكنسيّة**: **الكتاب المقدّس والتقليد، والتبشير**، وهذه العناصر تشكّل وحدةً جوهريّة، ولكن، إلى هذه **البُنية العقائديّة**، إذا جاز التعبير، ينبغي إضافة **البُنية الشخصيّة**، أي خلفاء الرسل، باعتارهم شهودًا على التبشير الرسوليّ.

(٥) بولس الفغالي، "الرسائل الرعائيّة وتنظيم الكنائس"، **بولس ورسائله**، سلسلة دراسات بيبليّة ٢٣، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠٠١، ص ٤٣١–٤٣٢.

٢٢ و"أَلِخْسَنْدْرُوس"[٤٥] كان صانعًا للحديد (٤: ١٤). وَقَولُهُ بولسَ: "يُجازيهِ اللهُ على فِعْلِه" (٤: ١٤)، ليسَ هو سبيلَ الدُّعاءِ، لكنْ نُبُوَّةٌ؛ فإنَّهُ جَعَلَ إلى جانبِ مطرقتِهِ صَنَمًا في يَدِهِ مزرقة[٤٦]، إذا أَحَبَّ أنْ يَستَعمِلَ في الضَرْبِ بها فعل؛ وفي بعضِ الأيّامِ ، وأَلِخْسَنْدْروس نائم، عَلَتِ المزرقةُ وضَرَبَتْ دماغَه ومات.

٢٣ و"السبعُ"[٤٧] (٤: ١٧) إشارةٌ إلى نارونَ[٤٨]. وبعد سنتَين قَتْلُهُ لبولسَ من هذا القول.

٢٤ وَقَولُهُ: "وأنا الآنَ أَتَصَفَّى"[٤٩] (٤: ٦)، أي دمي يُراقُ بسببِ المسيحِ كالخمرِ المسكوبِ.

(٤٥) الكتابة هي كما في البشيطة: **ܐܠܟܣܢܕܪܘܣ**، المنقولة عن اليونانيّة Ἀλέξανδρος. ر ج ١ تم ١: ٢٠.
(٤٦) قد تكون "المزرقة" من الفعل "زرق"، ومنه "المزراق، الرمح القصير" (عبدالله البستاني، **فاكهة البستان**، ص ٥٩١).
(٤٧) نقلٌ عن السريانيّة: **ܐܪܝܐ**، λέων.
(٤٨) قد يكون المقصود هو نيرون.
(٤٩) نقلٌ عن السريانيّة: **ܐܬܢܨܒ**، واليونانيّة σπένδομαι، أي، بالمعنى المجازيّ، "قدّم أضحية" ، كما في فل ٢: ١٧: "لو أنّي أُراقُ على ذبيحة إيمانكم".

المراجـــع

إونجليون، العهد الجديد، كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٩٢.
بستاني (الـ) عبدالله، **فاكهة البستان**، المطبعة الأميركانيّة، بيروت ١٩٣٠.
فغالي (الـ) بولس، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، جمعيّة الكتاب المقدّس، بيروت ٢٠٠٣.
قرداحي جبرايل، **اللباب**، وهو كتاب في اللغة الآراميّة السريانيّة الكلدانيّة، المطبعة الكاثوليكيّة، ج ١، بيروت ١٨٨٧.
كتاب (الـــ) المقدّس، المكتبة الشرقيّة ١٩٨٩.
Pyne SMITH, *A Compendius Syriac Dictionary*, Oxford 1979.

١٠ وَقَولُهُم: "إنَّ القيامةَ كانت"[٣٢] (٢: ١٨)، يُريدُ: إنَّهم كانوا يَقولونَ إنَّ هذه القيامةَ التي نُنادي V342b نحنُ بها ليستْ صحيحةً، وإنَّما هي التي تَكونُ كلَّ يومٍ بالتوليدِ بأنْ يَخلفَ الواحدَ عِوَضُه ويموتُ.

١١ ولكيما يُعَزِّيَه على هذه الأُمورِ قالَ: "كما أنَّ البيتَ العظيمَ ليسَ فيه صِنْفٌ واحدٌ مِنَ الآلات، لكن الجيّدَ والرديءَ" (٢: ٢٠؛ رج رو ٩: ٢١[٣٣]؛ أش ٢٩: ١٦)، هكذا يَجري الأمرُ في الناسِ.

١٢ و"البيتُ العظيمُ"[٣٤] (٢: ٢٠) إشارةٌ إلى البيعة؛ فأصنافُ الناسِ فيها يختلفونَ كما تَختلِفُ الآلاتُ في البيت.

١٣ وَقَولُهُ: "إنَّ هؤلاء لا يأتونَ إلى قُدّامِهم"[٣٥] (٣: ٩)، أي لا تتزيدُ جموعُهم، لكنْ تَنقُصُ باختلافِهم.

١٤ و"يانسُ ويمبرسُ"[٣٦] (٣: ٨)، إمَّا أن يكونَ عَرَفَ خَبَرَهُم بالظهورِ الإلهيّ، أو مِمَّن تَقَدَّمَهُ [مِنَ] الأبوات.

١٥ و"الأحياءُ الذينَ يداينون"[٣٧] (٤: ١)، قومٌ قالوا إشارةٌ إلى الجسمِ الميتِ والنفْسِ الحيّة؛ وقومٌ قالوا يُشيرُ الموتى إلى الذي أعطَوهُ الكَكْرَةَ[٣٨] ولَمْ يَتَّجِروا بها (رج مت ٢٥: ١٤–٣٠، خاصّة آ ٢٤–٢٥).

١٦ وقومٌ قالوا: الموتى هُمُ الذينَ ماتوا قديمًا، والأحياءُ [هم] الذينَ يُصادَفونَ في القيامة.

١٧ ووصاتُهُ لَهُ أنْ "يَقومَ بِتَحَفُّظٍ"[٣٩] (٤: ٢)، هو أنْ يَصْرِفَ زمانَهُ بأَسْرِهِ إلى التعليم، سواءَ كانَ زمانَ شِدّةٍ أو مَسَرَّةٍ، ولهذا أوصاهُ أنْ يتشاغلَ بِضروريّاتِ جسمِهِ وَقتًا، والنِداء بالبشارةِ دائمًا (رج ٤: ٢ و٥).

١٨ وقَولُهُ: "وَبِّخْ وعاتِبْ[٤٠] وعَزِّ[٤١]" (٤: ٢)، أي وَبِّخْ مَن هو مُقيمٌ على الخطيئة، وعاتِبْهُ إذا أَحْسَسْتَ بقبيحِ فِعْلِه، وعَزِّهِ بالتوبة **V342b**.

١٩ و"إكليلُ العدالة"[٤٢] (٤: ٨)، أي الشَرَفُ الذي مَنَحَهُ مِنَ السماءِ عن فِعْلِ الواجب، لا كالأكاليلِ التي يَتَكَلَّلُ بها أهلُ العالَم.

٢٠ و"دامَا"[٤٣] الذي ذَكَرَهُ تَرَكَهُ وعادَ إلى العالَم (٤: ١٠).

٢١ و"الختانةُ" النَيرونُ. واليهودُ كانوا يَكتبونَ كُتُبَهُمْ في المدارج[٤٤] (٤: ١٣).

---

(٣٢) "كان يصعب على العقل اليونانيّ التسليم بقيامة الأجساد (أع ١٧: ٣٢؛ ١ كو ١٥: ١٢)؛ فهومنايوس وفيلاتوس كانا يعتقدان على الأرجح أنّ القيامة تمّتْ فعلاً...، و لم يَعُدْ من بَعدُ قيامة أخرى ممكنة" (رج حاشية ٢ تم ٢: ١٨، في **إونجليون**، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٩٢، ص ٩٩٥).

(٣٣) " أو ليس للخزّاف سلطان على الطين فيصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان؟" (رو ٩: ٢١؛ الترجمة البولسيّة).

(٣٤) نَقلٌ حرفيّ عن السريانيّة: ܥܕܬܐ ܪܒܬܐ.

(٣٥) نَقلٌ حرفيّ عن السريانيّة: ܩܕܡ ܠܐ ܐܬܝܢ ܠܘܬ ܐܢܫܐ.

(٣٦) نَقلٌ حرفيّ عن السريانيّة: ܝܢܣ ܘܝܡܒܪܝܣ؛ في اليونانيّة: Ἰάννης καὶ Ἰαμβρῆς. "لم يذكر الكاتب أسماء السحرة في خر ٧: ١١–١٣، ٢٢، لكنّ التقليد اليهوديّ سمّاهما، وجعلهما تدريجًا تلميذَين وولدَين لبلعام (رج عد ٢٢–٢٤)، ورئيسَي قبيلة، وأدخلهما في نطاق الاسطورة، فأمسيا رمزًا إلى الكفر والالحاد" (رج حاشية ٢ تم ٣: ٨، في **إونجليون**، ص ٩٩٧). "ينيس ويمبريس ساحران مصريّان... يتكلّم خر ٧: ٨–١٢ عنهما، ولكنّه لا يسمّيهما. أمّا الاسمان فقد وصلا إلى ٢ تم من كتاب منحول ضاع اليوم. يتكلّم أوريجانس عن قصّة موسى، عن ينيس ويمبريس" (بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، جمعيّة الكتاب المقدّس، بيروت ٢٠٠٣، ص ١٤٠٧).

(٣٧) لدينا في السريانيّة: ܚܝܐ ܕܡܬܝ.

(٣٨) نقلٌ عن السريانيّة: ܟܟܪܐ، أي "البَدرة، وهي عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. ويُقال القنطار، وهو مائة وعشرون رطلاً"، (جبرائيل القرداحي، **اللباب**، ص ٥٧٥).

(٣٩) نَقلٌ حرفيّ عن السريانيّة: ܩܐܡ ܕܢܛܪ ܠܗ.

(٤٠) لدينا في السريانيّة: ܐܬܥܪ، أي " بَكَّتَ" (Pyne SMITH, *A Compendius Syriac Dictionary*, Oxford 1979, p. 16)، ܥܢܦ أي "أنَّبَ، أدَّبَ، هذَّبَ"، (جبرائيل القرداحي، **اللباب**، ص ٥٦٦–٥٦٨).

(٤١) V: وعزّي.

(٤٢) نَقلٌ حرفيّ عن السريانيّة: ܟܠܠ ܩܝܢܐ.

(٤٣) كما في السريانيّة: ܕܡܐ، Δημᾶς. يذكر بولسُ ديماسَ ببرودة في كول ٤: ١٤، أمّا هنا في ٢ تم ٤: ١٠ فيذكر أنّه خلاّه وأحبّ الدهرَ الحاضر.

(٤٤) في السريانيّة: ܟܬܒܐ ܕܡܬܝܠܐ، أي "أضابير الكتب" (جبرائيل القرداحي، **اللباب**، ص ٦٠٠).

٩ – الكنيسة بيت وعائلة

من المهمّ أخيرًا أن نشير إلى أنّ **الكنيسة**، في الرسائل الرعويّة، يُعَبَّر عنها بمفردات بشريّة، وبالتحديد بتماثُل مع **البيت والعائلة**؛ هكذا، وانطلاقًا من هاتَين الاستعارتَين، نجد، بشكل خاصّ في ١ تم ٣: ٢–٧، **تعليمات حول الأسقف** مفصّلة جدًّا، هي التالية:

"إذًا فيلزم الأسقف ألاّ يكون عليه مأخذ: أن يكون قد **تزوّج** مرّة واحدة، صاحيًا، رزينًا، أنيقًا، مضيافًا، قادرًا على أن يُعلِّم، لا سكّيرًا، ولا عنيفًا، بل حليمًا، غيرَ مماحك، وغير مُحبّ للمال، يحسن تدبير بيته، وله **أولاد** خاضعون بكلّ شرف، لأنّ مَن لا يعرف أن يدبّر **بيته**، فكيف يُعْنَى بكنيسة الله؟...".

ينبغي هنا أن نشير بشكل خاصّ إلى **الكفاءة في التعليم** (رج ١ تم ٥: ١٧)، التي نجد لها صدى أيضًا في مقاطع أخرى (مثلاً: ١ تم ٦: ٢ج؛ ٢ تم ٣: ١٠؛ تي ٢: ١)، ثمّ ميزة خاصّة شخصيّة، ألا وهي ميزة "**الأُبوّة**"؛ في الواقع، يُعْتَبَر **الأسقف أبًا الجماعة المسيحيّة** (رج ١ تم ٣: ١٥). ثمّ إنّ الفكرة القائلة بأنّ **الكنيسة "بيت الله"** هي متاصِّلة في العهد القديم، تغرز جذورها فيه (رج عد ١٢: ٧). ونجد إعادة صياغة لها في عب ٣: ٢–٦، في حين أنّه، في مواقع أخرى، نقرأ أنّ جميع المسيحيّين "لم يعودوا غرباء ولا نُزلاء، بل أهل مدينة القدّيسين، وأهل **بيتِ الله**" (أف ٢: ١٩).

خاتمة

تلك كانت جولة أفق سريعة حول أبرز موضوعات الرسائل الراعويّة، سلّطت الضوء على بعض المعطيات، دون أن تكون شموليّة، ممّا يعني أنّ معرفة الغنى اللاهوتيّ المخزون فيها يتطلّب التفصيل والغوص والاستخراج بكثير من العناية والدراية وحسن القراءة.

المراجع

الخوري نعمةالله، "مدخل الى الرسائل الرعائيّة"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٧–١٤.

شهوان أيوب، "الرسائل الرعويّة: رسول الربّ تلميذ أمين وراع صالح"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٢–٥.

الفغالي بولس ، "الرسائل الرعائيّة وتنظيم الكنائس"، بولس ورسائله، سلسلة دراسات بيبليّة ٢٣، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠٠١، ص ٤٣١–٤٣٢.

AAGESON James W., *Paul, the Pastoral Epistles and the Early Church*, LPS, Peabody, Hendrickson, 2008.

٢ تم ١: ٦: أذكّرك أن تضرَم الموهبة

الخوري بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

مقدمـــة

مضى زمان طويل والكنيسة تعيش في الزمن بعد أن ابتعد المؤمنون عن بداية الرسالة المسيحيَّة. أتراهم نسوا ما فعله يسوع حين قضى على الموت؟ أتُرى النار التي جاء المسيح يُشعلها خمدت أو كادت تنطفئ؟ مثل هذا الوضع عرفه أسقف كنيسة أفسس: "تركتَ محبَّتك الأولى، فاذكر من أينَ سقطتَ، وتُبْ وعُدْ إلى أعمالك السابقة" (رؤ ٢: ٤-٥). وسمع أسقف سرديس من يقول له: "فاذكُرْ ما تعلَّمته وكيف قبلته، واعمل به وتُبْ. فإن كنتَ لا تسهر جئتك كاللصّ" (رؤ ٣: ٣). "إسهرْ وأنعش ما بقي لك من الحياة قبل أن يعاجله الموت" (آ ٢). أترى ذاك كان الوضع في كنيسة تتوجَّه إليها هذه الرسالة؟ فالكنيسة صورة عن أسقفها، والأسقف هو رمز الكنيسة التي يُشرف عليها، كما الأب على أولاده، بحسب أساس الكلمة اليونانيَّة: "إبّي" (επι)، أي "فوق"؛ "سكوپاين" (σκοπειν): "تنبَّه"، "احترز"، "سهر"، لئلاَّ يحصل مكروه في الرعيَّة. ومن أين يأتي إلى المؤمن مثل هذه القوَّة؟ من الموهبة التي ينالها الأسقف حين "وضع اليد عليه". من أجل هذا كان الكثيرون يتهرَّبون من الأسقفيَّة بسبب المسؤوليَّات الملقاة على عاتقهم، وليس آخرها استقبال المرسلين (٣ يو ٨). لهذا حثَّهم الرسول وشجَّعهم: "من يرغب في الأسقفيَّة يشتهي عملاً حسنًا" (١ تم ٣: ١). ويواصل: "يكونُ قنوعًا، رزينًا، مهذَّبًا، مضيفًا للغرباء وأهلاً للتعليم" (آ ٢).

١- هبة بوضع اليد

ذاك هو دور الرسول الذي رأى أنَّ حياته وصلت إلى نهايتها. فما هو الإرث الذي يتركه لتلميذه؟ لا الإرث المادّيّ من مال ومتاع؛ فالرسول ما كان يملك أكثر من معلِّمه الربِّ يسوع الذي ما امتلك حجرًا يضع عليه رأسه (لو ٩: ٥٨). لا إرث البناء الذي "يخلِّد" الإنسان كما يقولون، مع أنَّ المزمور يهزأ بالذين "سمُّوا البلدان بأسمائهم" (مز ٤٩: ١٢). فبولس ترك لتيموتاوس الإرث الروحيّ من أجل القيام برسالته.

أوَّل ما نال تيموتاوس، الهبة، الموهبة، كريسما. تحدَّثت ١ تم ٤: ١٤ عن هبة النعمة. هو كلام واحد. فالموهبة هي نعمة، والنعمة هي موهبة. في الرسائل الكبرى تحدَّث الرسول عن المواهب المتنوِّعة، والتي يمنحها الروح الواحد من أجل بناء الجماعة، لا من أجل الافتخار، وكأنَّ هذه الهبة نابعة من قلبنا. موهبة الحكمة، موهبة النبوءة، موهبة الشفاء... (١ كو ١٢: ٨-١٠). أمّا هنا فالهبة هي موهبة الرعاية. يعرف الأسقف الذي يُشرف على الجماعة، أن يتدبَّر بيته، وبالتالي يتدبَّر بيت الله وكنيسته. ويهتمُّ بالشمامسة ولا يتسرَّع في وضع يده عليهم. يهتمُّ بالأرامل: الصبايا يتزوَّجن. ومن لهنَّ معيل يعيلهنَّ. أمّا الأرامل اللواتي هنَّ حقًّا أرامل، فالكنيسة تهتمُّ بهنَّ دون أن تحتمل العبء الثقيل.

والرعاية تقوم بالتعليم كما تقوم بمحاربة الآراء الضالَّة ومجابهة أولئك الذين يزرعون الفتن في قلب

– أدخلنا الترقيم على النصّ، تسهيلاً للقارئ والمفسِّر على حدٍّ سواء.

– أدخلنا على النصّ التشكيل (الحركات)، والفواصل، والنقاط....

– أضفنا عناوين على مقاطع النصّ بهدف إبراز الموضوعات الرئيسيّة في النصّ البيبلي وفي تفسيره.

– أدخلنا المراجع المتعلّقة بالنصّ البيبليّ في سياق النص.

– عدنا مرارًا إلى نصّ البشيطته لحلّ العديد من الصعوبات التي واجهتنا في قراءة النصّ وتحقيقه.

١/ج – تفسير ابن الطيّب

– لا يفسّر ابن الطيّب كلّ الآيات، بل ينتقي منها ما يراه مناسبًا لإعطاء عبرة للقارىء.

–لا يفسّر ابنُ الطيّب وفق منهجيّات علميّة محدّدة، بل وفق الحاجة الروحيّة أو الخُلُقيّة.

٢ – نص المخطوط[١٩]

الرسالةُ الثانيةُ إلى طِيماتاوُس[٢٠]

V342a

١ كَتَبَها مِنْ بَعْدِ رحيلِ طيماتاوس[٢١] من آسيا بأمرِ بولسَ، وكانَ في طراوسَ (أع ١٦: ٨ي؛ ٢٠: ٥–٦، ٧–١١؛ ٢ تم ٤: ١٣).

٢ وقَولُهُ: "وأَذكُرُ دموعَك" (١: ٤)، يُريدُ: التي دَمَعْتَها حينَ انفَصَلْتُ عنكم، وقلتُ لكم: "إنّكم لا تشاهدوني من بَعْدُ" (أع ٢٠: ٢٥).

٣ و"الحالَّةُ قديمًا"[٢٢] (١: ٥) هي نعمةُ الروحِ التي حلَّتْ قديمًا.

٤ وقَولُهُ: "فأنتَ تَشَبَّهْتَ بآبائِكَ"[٢٣] (رج ١: ٥)، يُريدُ الذينَ تَتَلمَذُوا من قبلك.

٥ و"روحُ الفَزَعِ"[٢٤] (١: ٧)، يُريدُ قوّةَ الخوفِ من الشدائد؛ فإنَّ اللهَ لَمْ يَهَبْ لنا هذه الروحَ[٢٥]، لكنْ روحًا[٢٦] تُقَوِّينا وتُصَبِّرُنا (رج ١: ٧).

٦ وبأَمْرِهِ لَهُ "بالصَبْرِ على الشدائد مِنْ أَجْلِ البشارة"[٢٧] (١: ٨)، لأنَّ البشارةَ بالشدائد قامَتْ.

٧ القومُ الذين[٢٨] عَدَّدَهُم[٢٩] (١: ١٦) كانوا مِنْ أصحابِ الأمانةِ وانْقَتَلُوا.

٨ وقَولُهُ: "إنْ الأكّارَ[٣٠] تَكفيه أُجْرةُ عَمَلِه" (٢: ٦؛ رج ٢ كو ٣: ٨)، إشارةٌ إليه بأنْ لا يَأْخُذَ مِنَ المؤمنِ إلاّ بمقدارِ كفايته.

٩ وقَولُهُ: "وكَلِمَتُهُم تَسْري كالإرضة[٣١]" (٢: ١٧؛ رج ١ تم ١: ٢٠)، أي تُفسِدُ كالمَرَضِ الذي، إذا تَشَبَّثَ بعضوٍ، سَرَى إلى باقي الأعضاء.

---

(١٩) يقع هذا النص في الصفحات V342a-V343a من المخطوط الفاتيكانيّ الذي ورد وصفه في **مجلّة بيبليا**، ١٤ (٢٠٠٢) ٤٩.

(٢٠) "طيماتاوس" هو نقلٌ عن السريانيّة: ܛܝܡܬܐܘܣ؛ أمّا الأصل اليوناني فهو Τιμόθεος.

(٢١) كان تيموتاوس مسؤولاً عن كنيسة أفسس حيث طلب منه الرسول أن يُثبّت الناس هناك في التعاليم الصحيحة (١ تم ١: ٣؛ رج أع ١٩: ٢٢)؛ قام بمهمّات صعبة: أرسله بولس الى تسالونيكي (١ تس ٣: ٢– ٦)، وطلب منه أن يُذكّر الكورنثيّين بتعاليمه (١ كور ٤: ١٧؛ ١٦: ١٠–١١؛ رج أع ١٩: ٢١ي)، وكلّفه بالذهاب الى فيليبّي ليطمئنّ قلبُه عن أهلها (فل٢: ١٩– ٢٤).

(٢٢) نقلٌ حرفيّ عن السريانيّة: ܒܚܢܐ ܕܟܕܡ.

(٢٣) ܐܒܗܝܟ، οἱ πρόγονοι، "آبائي"، أو "أجدادي" (ترجمتَا البولسيّة والكسليك).

(٢٤) نقلٌ عن السريانيّة: ܪܘܚܐ ܕܕܚܠܐ، أي "روحُ خوف"، وعن اليونانيّة: πνεῦμα δειλίας، أي "روحُ جُبْن".

(٢٥) بما أنّ ابن الطيّب ينقل نصّه البيبليّ عن السريانيّة، فإنّه يعتبر أنّ كلمة "روح" (ܪܘܚܐ) هي، كما في السريانيّة، في صيغة المؤنّث.

(٢٦) V: روح.

(٢٧) نَقلٌ حرفيّ عن السريانيّة ܒܚܒܪܘܬ ܥܡ ܐܝܘܢܓܠܝܘܢ، وعن اليونانيّة: συγκακοπάθησον τῷ εὐαγγελίῳ.

(٢٨) V: كلمة في الهامش.

(٢٩) مثل "بيت أُونسيفُورُوس"؛ رج أيضًا ٢ تم ٤: ٩. كان أُونسيفُورُوس بنظر بولس مثالاً يُقتَدَى به؛ أهله وذووه مشهورون في كنيسة أفسس.

(٣٠) نقلٌ عن السريانيّة: ܐܘܪܬܐ، أي "الحرّاث"، "الزارع" (جبرائيل القرداحي، **اللباب**، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ١٨٨٧، ص ٣٨).

(٣١) "الإرْضَة، بالكسر والضمّ، دُوَيْبَّة صغيرة تأكل الخشب وغيره" (عبدالله البستاني، **فاكهة البستان**، المطبعة الأميركانيّة، بيروت ١٩٣٠، ص ٢٢). في السريانيّة ܣܟܘܬܐ، أي "الآكِلَة"، وهي داء معروف.

أبو الفرج عبد اللّه بن الطيّب [1]

تفسير رسالة القدّيس بولس الثانية إلى تيموتاوس

تحقيق الأب أيّوب شهوان
أستاذ مادة الكتاب المقدس
جامعة الروح القدس – الكسليك

١ – مقدّمات عامة

١/أ – نشر تفاسير ابن الطيّب البيبليّة

انطلاقًا من واجب إبراز إسهام المسيحيّين الناطقين في العربيّة في تفسير الكتاب المقدّس، نعمل جاهدين على نشر تفاسير ابن الطيّب، التي حقّقنا منها حتى الآن ما يلي: رسائل القدّيس بولس الأولى إلى الكورنثيّين [2]، والرومانيّين [3]، والغلاطيّين [4]، والثانية إلى الكورنثيّين [5]، والأفسسيّين [6]، والكولسّيّين [7]، والأولى إلى التسالونيكيّين [8]، والثانية إلى التسالونيكيّين [9]، والفيلبّيّين [10]، والأولى إلى تيموتاوس [11]، وتيطس [12]، ثمّ أسفار يشوع بن نون ١٣، والقضاة [14]، وأشعيا ١–١٢ [15]، وأشعيا ١٣–٣٩ [16]، وأشعيا ٤٠–٥٥ [17]، وأشعيا ٥٦–٦٦ [18]؛ ويسرّنا أن ننشر على صفحات هذا الإصدار من **مجلّة بيبليا**، رسالتَي القدّيس بولس الثانية إلى تيموتاوس وفيلمون.

١/ب – ملاحظات منهجيّة

– الحرف "V" يشير إلى المخطوط الذي اعتمدنا في نشر نصّ ابن الطيّب، وهو الحرف الأوّل من كلمة "ڤاتيكان" (Vatican) حيث يُحفَظ المخطوط.

– أدرجنا أرقام صفحات المخطوط في سياق النصّ.

(١) أنظر نبذةً عنه في **مجلّة بيبليا**، ٢ (١٩٩٩) ٣٨–٣٩.
(٢) "تفسير ابن الطيّب لرسالة بولس الأولى إلى الكورنثيّين"، **مجلّة بيبليا**، ٣ (١٩٩٩) ٤٥–٥٥.
(٣) "ابن الطيّب، الرسالة إلى الرومانيّين"، **مجلّة بيبليا**، ٦ (٢٠٠٠) ٥٧–٦٢؛ ٧ (٢٠٠٠) ٦٥–٦٩.
(٤) "تفسير الرسالة إلى الغلاطيّين، أبو الفرج عبدالله ابن الطيّب، **فردوس النصرانيّة**"، **مجلّة بيبليا**، ١٤ (٢٠٠٢) ٤٩–٥٤.
(٥) "تفسير ابن الطيّب، الرسالة الثانية إلى الكورنثيّين"، **مجلّة بيبليا**، ١٨ (٢٠٠٣) ٥٣–٦٠.
(٦) "تفسير ابن الطيّب للرسالة إلى الأفسسيّين"، **مجلّة بيبليا**، ٢٢ (٢٠٠٤) ٥٥–٦٠.
(٧) "تفسير ابن الطيّب لرسالة القدّيس بولس إلى الكولسيّين"، **مجلّة بيبليا**، ٢٣ (٢٠٠٤) ٦١–٦٤.
(٨) "تفسير ابن الطيّب لرسالة القدّيس بولس الأولى إلى التسالونيكيّين"، **مجلّة بيبليا**، ٢٩ (٢٠٠٦) ٦٦–٦٨.
(٩) "تفسير ابن الطيّب لرسالة القدّيس بولس الثانية إلى التسالونيكيّين"، **مجلّة بيبليا**، ٣٠ (٢٠٠٦) ٧٤–٧٦.
(١٠) "تفسير ابن الطيّب لرسالة القدّيس بولس إلى الفيلبّيّين"، **مجلّة بيبليا**، ٣٣ (٢٠٠٧) ٨٩–٩٢.
(١١) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير رسالة القدّيس بولس الأولى إلى تيموتاوس"، **مجلّة بيبليا**، ٣٩ (٢٠٠٨) ٦١–٦٥.
(١٢) "ابن الطيّب: تفسير رسالة القدّيس بولس إلى تيطس"، **مجلّة بيبليا**، ٣٩ (٢٠٠٨) ٦٧–٦٨.
(١٣) "تفسير ابن الطيّب لسفر يشوع بن نون"، **مجلّة بيبليا**، ٢ (١٩٩٩) ٣٧–٥٠.
(١٤) "سفر القضاة، تفسير ابن الطيّب"، **مجلّة بيبليا**، ٢٠ (٢٠٠٣) ٤٩–٦٠.
(١٥) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير أش ١–١٢"، **مجلّة بيبليا**، ٢٦ (٢٠٠٥) ٦٦–٧٦.
(١٦) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير أش ١٣–٣٩"، **مجلّة بيبليا**، ٢٨ (٢٠٠٥) ٧٧–٨٨.
(١٧) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير أش ٤٠–٥٥"، **مجلّة بيبليا**، ٣٢ (٢٠٠٦) ٦٧–٧٤.
(١٨) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير أش ٥٦–٦٦"، **مجلّة بيبليا**، ٣٥ (٢٠٠٧) ٧٣–٧٨.

الجماعات. الراعي هو جنديّ لا يهمُّه إلاَّ أمرُ قائده لكي ينال الغلبة. فإن انشغل بأمور أخرى، لا ينال الإكليل المعدَّ له. والراعي فلاّح يزرع لكي ينال حصَّته من الغلَّة. ومرّات عديدة هو يحصد ما زرعه غيره (يو ٤: ٣٧-٣٨). وفي أيِّ حال يكون أجرُه موافقًا لعمله. إن غرس نال أجرَ الغرس، وإن سقى نال أجر السقاية. وفي النهاية الله هو الذي يُنمي (١ كو ٢: ٦).

لا تحدِّثنا الرسائل البولسيَّة الأولى عن أصل هذه الموهبة. أمّا في ٢ تم فالأمر واضح: بوضع اليد. وضعَ الرسولُ يدَه على رأس تيموتاوس فنال هذه النعمة ودخل في مصافِّ الرسل والتلاميذ، في مصافِّ الأساقفة والقسوس والشمامسة.

هنا نتذكَّر ما تعنيه اليد. إنَّها تدلُّ على النشاط، على القوَّة، على السلطان. كما تدلُّ على العطاء. ويقول تقليد المعلِّمين: اليد اليسرى ترتبط بالعدالة، واليد اليمنى بالرحمة. هذا ما يقابل "شكينة" أو الحضور الإلهيّ مع اليد القاسية واليد الغافرة. وقالت القبالِيَّة (= التقليد السابق، الذي هو من قبل): اليدُ اليمنى هي اليد المباركة. والرمز إلى السلطة الكهنوتيَّة على ما يقول سفر العدد (٦: ٢٣-٢٦): "بمثل هذا تباركون بني إسرائيل وتقولون لهم:

٢٤ يباركك الربُّ ويحفظك
٢٥ يضيء الربُّ بوجهه نحوك
ويرحمك
٢٦ يرفع الربُّ وجهه نحوك
ويمنحك السلام".

أمّا اليد اليسرى فترمز إلى العدالة وإلى السلطة الملكيَّة. فمنذ بداية الملكيَّة نقرأ في نشيد حنّة أمِّ صموئيل (١ صم ٢: ١٠):

خصوم الربِّ ينكسرون
حين يُرعد عليهم من السماء.
الربُّ يدين أقاصي الأرض.
يختار ملكه ويمسحه
ويمنحه النصرَ والعزَّ.

بل إنَّ الشعبَ طلب ملكًا يكونُ بحسب ما هم يريدون. قالوا لصموئيل:

"أعطنا ملكًا يقضي بيننا كما هي الحال في جميع الأمم" (١ صم ٨: ٥).

وأعادوا الكرَّة: "يملك علينا مُلُك، ونكون نحن أيضًا كسائر الشعوب، فيقضي بيننا ويكون قائدَنا ويحاربُ حروبنا" (آ ١٩-٢٠). بهذه الروحانيَّة كُتب المزمور الثاني:

٨ أُطلبْ فأعطيك ميراثَ الأمم،
وأقاصي الأرضِ ملكًا لك.
٩ ترعاهم بعصًا (صولجان) من حديد (لا قضيب الراعي)
وكإناء خزّافٍ تحطِّمهم.

ويحدِّثنا الكتاب عن يد الله. هي تدلُّ على ملء السلطان عنده، وعلى ما يمكن أن تفعل فتُنجز. فيَد الله تخلق، تحمي إذا نحن فتحنا لها قلوبَنا. هنا نقرأ عبارة تتكرَّر في مسيرة الخروج من مصر: "بقوَّة عظيمة ويد قديرة؟" (خر ٣٢: ١١). هذه اليد كانت مع إيليّا "الذي شدَّ وسطه بزنّار" (١ مل ١٨: ٤٦) وانطلق.

وإن نحن عارضنا تلك اليد كان لنا الدمار والخراب. هذان الموقفان نقرأهما في بداية سفر إرميا: تقلع، تهدم، تهلك. ثمَّ: تبني، تغرس (إر ١: ١٠). ويقول إشعيا: "أمسكني الربُّ بيده" (إش ٨: ١١). وقال له: "لا تخف ولا تفزع". أمّا على "الآخرين"، فالربُّ "بقيَتْ يدُه مرفوعة" (إش ٩: ١٧). ولم يرتدَّ غضبُه.

* * *

وماذا عن وضع اليد؟ هي حركة لا تُذكَر مرارًا في العهد القديم. فهي كبركة ترد مرَّة واحدة حين يبارك يعقوب ابنَيْ يوسف، منسّى وأفرائيم (تك ٤٨: ١ي). أمّا ينبوع هذه البركة فمن عند الله. "قال يعقوب ليوسف: الله القدير ظهر لي في لوز، في أرض كنعان، وباركني وقال لي: "سأنمِّيك وأكثِّرك..." (آ ٣-٤). وقرَّبَ يوسف ولديه من أبيه يعقوب، فقال يعقوب:

١٥ الله الذي سلك أمامه أبواي
إبراهيمُ وإسحق
الله الذي رعاني طول حياتي
إلى اليوم،
١٦ الله الذي نجّاني من كلِّ سوء
يبارك هذين الصبيَّين.

ونعرف أنَّ داود بارك الشعب بعد أن أدخل تابوت العهد إلى أورشليم، على ما يقول سفرُ صموئيل الثاني: "بارك الشعب باسم الربِّ القدير" (٢ صم ٦: ١٨). وهو فعل ما فعل، لأنَّ الملكَ في العصور القديمة كان الكاهن الأعظم، ولهذا قيل في داود هنا: "قدَّم

داود محرقات أمام الربِّ وذبائح سلامة" (آ ١٧). وفعل سليمانُ مثل والده، بعد أن أنهى بناء الهيكل وجاء وقتُ تدشينه.

"وقف وبارك الحاضرين بصوتٍ عالٍ فقال: "تبارك الربُّ الذي وهب الراحة لشعبه... ليكن الربُّ إلهنا معنا كما كان مع آبائنا" (١ مل ٨: ٥٥-٥٧). قبل المنفى، الملك هو الكاهن. ولهذا قرَّب سليمان "ذبائح سلامة للربّ" (آ ٦٢) بعد أن أعطى البركة وصرف الناس، "فعادوا إلى بيوتهم فرحين" (آ ٦٦). أمّا بعد المنفى، فالكهنة هم الذين يُعطون البركة: "قوموا، باركوا الربَّ إلهكم من الآن وإلى الأبد. ونادوا: تبارك اسمك المجيد الذي هو فوق كلِّ بركة وتسبيح" (نح ٩: ٥).

ووضعُ اليد يردُ مرارًا في ارتباط مع الذبائح. أمر "موسى" هارون فقال له: "وتقدِّم العجلَ أمام خيمة الاجتماع، فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأسه" (خر ٢٩: ١٠). ويذكر سفر اللاويّين ما يفعله مقدِّمُ الذبيحة: "يضع يده على رأس المحرقة فيقبلها الربُّ منه" (لا ١: ٤). هي علامة الاتِّحاد مع الذبيحة، وكأنَّ المؤمن يقدِّم نفسه للربّ مع ذبيحته. وتُوضَع اليد خصوصًا في عيد الكفّارة (كيبور)، على تيس المحرقة (لا ١٦: ٢١). ويُحمَّل آثام الشعب ويُرسَل إلى البرِّيَّة.

وفي الحالة الثالثة، بعد يد البركة واليد على الذبيحة، يعني وضعُ اليد امتلاك سلطة أو انتقال مهمَّة أو تماهي مع الآخر. هنا نكون في طقس الرسامة من أجل القيام بخدمة أو بمهمَّة. يخبرنا سفرُ العدد كيف أقيم يشوع خلفًا لموسى: "قال الربُّ لموسى: خذْ يشوع بن نون، فهو رجلٌ فيه روحُ الربّ، وضع يدك عليه. وأقمه بمحضر من ألعازار الكاهن والجماعة كلِّها خلفًا لك" (عد ٢٧: ١٨-١٩).

من هنا كان الانطلاق في العهد الجديد. نبدأ فنذكر ما قال سفر الأعمال في مناسبتين. الأولى، اختيار مساعدين للرسل أو بالأحرى "خدّامًا" من أجل المسيحيّين المتكلِّمين اليونانيَّة. بعد الاختيار، يروي القدّيس لوقا: "أحضروهم أمام الرسل، فصلُّوا ووضعوا عليهم الأيدي". وهكذا نالوا سلطانًا جديدًا. كُرِّسوا في الأساس لخدمة الموائد، ولكنَّهم انطلقوا يحملون الإنجيل، شأنَهم شأن الرسل، سواء في أورشليم مع إسطفانس، أو مع فيلبُّس في أرض السامرة. فمن الرسل إلى من دُعوا "شمامسة" أو "خدمًا، انتقلت سلطةٌ سوف يمارسها هؤلاء السبعة.

والحدث الثاني حصل في أنطاكية، في خطٍّ ما حصل في أورشليم. وُجد "أنبياء ومعلِّمون" (أع ١٣: ١). أوَّلهم برنابا وآخرهم شاول الذي سيكون بولس. سمعت الكنيسةُ الروح القدس يقول: "خصِّصوا لي برنابا وشاول لعمل دعوتُهما إليه" (آ ٢). ماذا حصل بعد الصوم والصلاة؟ "وضعوا أيديهم عليهما وصرفوهما" (آ ٣). وهكذا انتقل إلى هذين "الرسولين" موهبة خاصَّة، فائقة الطبيعة، وتسلَّما وظيفة سوف يقومان بها. وفي العودة، يقدِّمان التقرير عمّا فعلا. قال أيضًا سفر الأعمال: "فلمّا وصلاَ إلى أنطاكية جمعَا الكنيسة وأخبرَا بكلِّ ما أجرى الله على أيديهما" (أع ١٤: ٢٧).

ولا نجد "وضع اليد" إلاَّ في ثلاثة مقاطع من الرسائل البولسيَّة. الأوَّل نقرأه في ١ تم ٤: ١٤: "لا تهمل الهبة التي فيك، فهي هبة نلتَها بالنبوءة حين وضع جماعةُ الشيوخ أيديهم عليك". هنا تترافق النبوءة مع ما فعله مجلسُ شيوخ الكنيسة أو الكهنة (أو: الأساقفة)؛ فالنبوءة التي تحرِّك أحدَ الحاضرين في الكنيسة، تكشف موهبة الله وتُبرز حقيقتها، بحسب مقال الكتاب: "وما من أحد يتولَّى بنفسه مقام رئيس كهنة، إلاَّ إذا دعاه الله كما دعا هارون" (عب ٥: ٤). أمّا وضْعُ الأيدي فهو فعلة ليتورجيَّة تدلُّ على تقبُّل هذه الموهبة الخدميَّة في الكنيسة.

ويترافق مع هذا المقطع ٢ تم ١: ٦: "لذلك أنبِّهك أن تضرم الهبة التي جعلها الله لك بوضع يدي". ما فعلت الجماعة لبولس حين أرسلته مع برنابا في مهمَّة كنسيَّة، كذلك فعل بولس بالنسبة إلى تيموتاوس. وهذه المهمَّة ليست موقَّتة، على ما تقول أيضًا الرسالة إلى العبرانيّين: "أنت كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكيصادق" (عب ٧: ١٧). وما حصل لتيموتاوس حين

أن تحكموا على نفوسكم. وإذا غفرتم فأنتم تعملون شيئًا مفروضًا عليكم، لا بالطبيعة، بل بالنظر إلى حنان الله. يا للتبادل الغريب! الخادم ينسى إساءات الآخرين، وتلك التي اقترفها تجاه سيِّده غُفرت له. ومع ذلك، تلك هي النعمة التي وصلت إلينا. فربُّنا هو غنيٌّ بالمراحم. وأودُّ أن أبيِّن لكم بمعزل عن الغفران الذي تنالون، أنَّكم تجدون منفعة ثمينة في غفران تمنحونه. أنظروا كم للإنسان السخيّ من أصدقاء وكيف يُمدَح في كلَّ مكان. فيقولون فيه: أيُّ رجل طيِّب! سريع للمصالحة. لا حقد عنده. وما إن يُجرَح حتّى يُشفى! مَن لا يشفق على مثل هذا الرجل إن سقط في شقاء؟ من لا يعذره إن اقترف ذنبًا؟ من لا يُظهر له عرفان الجميل عن طلبات من أجل الآخرين؟ من لا يريد أن يكون الصديقَ، بل الخادم لصاحب ذاك الطبع النبيل؟

إذًا أستحلفكم: لا نهمل شيئًا، لا لأصدقائنا وأقاربنا فقط، بل أيضًا لخدّامنا: "أتركوا جانبًا التهديد واعلموا أنَّ ربَّهم هو ربُّكم في السماء" (أف ٦: ٩). ذنوبنا تُغفَر إذا غفرنا ذنوب القريب، إذا تصدَّقنا، إذا مارسنا التواضع: بهذه أيضًا تُمحى الخطايا. كفى العشّار أن يتلفَّظ بهذه الكلمة: "إرحمني أنا الخاطئ" (لو ١٨: ١٣) ليجد نفسه مبرَّرًا. وبالأحرى نُعامَل بلطف كبير إذا كنّا متواضعين ونادمين، إذا أقررنا بخطايانا وحكَمْنا على أنفسنا. وهكذا تزول أقذارُنا كلُّها. فالسبل إلى التنقية كثيرة. فلا نتوقَّف عن الجهاد ضدَّ إبليس، وفي كلِّ الجهات دفعة واحدة. ما فرضتُ عليكم شيئًا صعبًا، شيئًا ثقيلاً: إغفروا فقط لمن أساء إليكم، إرحموا البائس، واضعوا أنفسكم، ولو كنتم خطأة كبارًا، تستطيعون أن تنالوا الملكوت لأنَّكم هكذا تكفِّرون عن خطاياكم وتمحون قذاراتكم. يا ليتنا جميعًا نترك آثامنا هنا بالاعتراف ونمتلك في العلاء الخيرات التي وُعدنا بها، في المسيح يسوع ربِّنا الذي له المجد والقدرة والإكرام كما للآب...

بالاتِّهامات ويلتحق بظاهر العدالة: ولكنَّه لا يهتمُّ بالله الذي لا يقدر أن يغشَّه. لا يراعيه ولا يخافه. يكفي الملك أن يأمر بالامتناع عن خير القريب أو حتّى بإعطاء ما عندنا، فنحن كلُّنا ننفِّذ هذا الأمر. وحين يمنعنا الله من أن نقترف السرقة نعصاه. وهكذا يبان أنَّنا نجعل البشر فوق الله. هو شيء لا نستطيع أن نسمعه دون أن نرتجف، كما سبق وقلت. ولكن بيِّنوا أنَّ هذا الكلام يثقل عليكم. أهربوا من الشرِّ الذي يُشار إليه. إذا كنتم لا تتراجعون أمام الأعمال، هل أظنُّ أنَّكم تتكلَّمون بالصدق حين تُعلنون أنَّ كلامنا يخيفكم ويثقِّل على ضميركم؟ فأنتم من يثقِّل على نفوسهم ولا تهتمُّون. وتحتفظون بانزعاجكم لي وأنا أكتفي بأن أقول لكم ماذا تفعلون. أمَا هذا ضياع العقل؟ أودُّ أن لا أكونَ قلت إلاَّ الأكاذيب. أودُّ أن أُتَّهم في اليوم الأخير بالوقاحة، بأنّي عيَّرتكم مجّانًا بحيث لا يكون لكم أن تجيبوا على الأعمال عينها. فأنتم لا تكتفون بأن تفضِّلوا البشر على الله، بل تجذبون الآخرين أيضًا لكي يقتدوا بكم. كثيرون يضعون هذا النير الثقيل على الخدم والعبيد: البعض يتجاهل عواطفهم ويقودهم إلى أعياد الفجور، وآخرون يفرضون عليهم أعمالاً مُحطِّةً، فيجعلونهم أدوات الهوى والسلب والنهب والعنف.

إذًا يقترفون جرمًا مضاعفًا دون أن يستطيعوا اللجوء إلى ذريعة الضرورة. إذا كنتم تظنُّون أنَّكم تقترفون هذه الأفعال السيِّئة بالرغم عنكم، ولأنَّكم أُمرتم بها، فلا تظنُّوا أنَّ هذا يبرِّركم. بل إنَّ خطيئتكم أكبر حين تنقلون هذه الضرورة المزعومة على الخاضعين لكم فتدفعونهم إلى الهاوية. بأيِّ أمل بالغفران يستطيع مثلُ هذا الإنسان أن يحتفظ؟ إذا كنتُ تفوَّهتُ بهذا الكلام، فما توخَّيتُ أن أحكم عليكم، بل أن أفهمكم إلى أيِّ حدٍّ نحن مدينون لله. وتكون أهانةً أيضًا إن كرَّمناه بالمساواة كما نكرِّم البشر. فما يكون حين نكرِّم البشر أكثر منه؟ ساعة الذنوب ذاتها التي يمكن أن نقترفها تجاه البشر تكون أخطر إن وُجِّهت إلى الله، فماذا نقول حين الذنب يكون أخطر؟ ليفحص كلُّ إنسان نفسه باهتمام فيرى أنَّه يعمل كلَّ شيءٍ لكي يُرضي البشر. فكم نكون سعداء إن فعلنا لله ما نفعله لإخوتنا بحيث نحصل على تصفيقهم واحترامهم وإكرامهم! بما أنَّ علينا أن نؤدّي حسابًا قاسيًا جدًّا، لنعجِّل فنغفر للذين أساؤوا إلينا، ولا نتذكَّر بعدُ الشتائم. فإذا أردنا أن تُغفَر خطايانا لا نحتاج إلى تعب ولا إلى مصروف ولا إلى شيء مشابه. تكفي حركة النفس: لا سفر، لا انتقال، لا أخطار، لا تعب. نريد وهذا يكفي.

* * *

وتقولون لي: أيُّ غفران نرجو في الأمور التي تبدو صعبة، حين نتراجع أمام ما هو خفيف بالرغم من عظمة الخيرات التي هي الأجر، وهذا بدون تعب؟ أنتم لا تقدرون أن تحتقروا المال وتعطوه للفقراء. أمَا هو هذا؟ ولكن من يمنعكم أن تريدوا شيئًا صالحًا في ذاته، أن تغفروا لمن أساء إليكم؟ أما عليكم ديون كبيرة تثقل عليكم؟ الله يأمر، أمَا تطيعون؟ والآنَ بالرغم من ديونكم، أنتم لا تغفرون مع أنَّكم عارفون أنَّكم تطالبون بجزء ممّا أعطاكم الله نفسه. فإذا حضرنا أمام دائننا واستقبلنا بالإكرام حين يعرف بذلك، ودلَّ على احترام عميق ولطف كبير، مع أنَّنا لم نتخلَّص من واجبنا... وأنتم المدينين تجاه الله ترفضون الطاعة لأمره بأن تغفروا ساعة يعِدُكم هو بالغفران. أسألكم: لماذا بحقِّ السماء؟ نحن موضوع حنان كبير، ونُظهر الخبث الكثير. يا للوقاحة والجبانة. فما أسهل الفضيلة وما أنفعها! وما أتعب الرذيلة! ومع ذلك نهرب من حمل خفيف لكي نرفع حملاً أثقل من الرصاص، فلا قوَّة الجسد ولا المال ولا الممتلكات ولا القوَّة ولا الصداقات هي ضروريَّة لنا. أكرِّر: يكفي أن نريد فيتمّ كلُّ شيء.

هل أساء أحد إليكم، عيَّركم وافترى عليكم؟ فكِّروا أنَّكم مذنبون الذنب عينه تجاه القريب، بل تجاه الربّ. فاغفروا هذه الإساءات، وانتبهوا إلى الكلمات التي تتلفَّظون بها: "إعفِ عن ديوننا كما نُعفِ عن المديونين لنا" (مت ٦: ١٣) فاعرفوا ذلك: إن كنتم لا تعفون، فلا تستطيعون أن تقولوا مثل هذا القول دون

وُضعت عليه اليد، كذلك يحصل للذين يضع عليهم يده (١ تم ٥: ٢٢). هي سلطة بيد تيموتاوس تنتقل إلى الذين بعده. لا شكَّ في هذه السلطة، ولكن ما يُقال هنا هو تنبيه على الفطنة: "لا تستعجل في وضع يدك على أحد".

وُضعت يد الجماعة على بولس وبرنابا، فمَا قامَا فقط برسالة محدَّدة، بل هي تجاوزت مسيرة امتدَّت ربَّما سنتين. وكذا نقول عن تيموتاوس، هو لم ينَل الرسامة الكهنوتيَّة (أو: الأسقفيَّة) لوقت محدَّد. فقد قيل له بعد زمان طويل، وبعد أن خبَتْ بعض الشيء "النارُ" التي نالها حين تسلَّم كنيسة "أفسس" كما يقول التقليد: عليه أن "يُضرم الهبة". هي موجودة، وهي ترافقه. أجل، موهبة الروح مستمرَّة في تيموتاوس وبالتالي الرسالة. الله هو الذي يعطيها. من هنا صيغة المجهول في الأصل εδοθη (أُعطِيَت). وهي تُعطى بوساطة مجلس الكهنة والأساقفة. من هنا عبارة "مع" μετα حيث النبوءة أو كلمة الله تترافق مع وضع الأيدي.

٢- مشاركة في الآلام

ولماذا نال تيموتاوس هذه الهبة؟ لكي يفعل ما سبقه بولس إليه. بولس أدَّى الشهادة التامَّة للربّ، ومثله يفعل تيموتاوس.

منذ بداية الرسالة، نبَّه يسوع التلاميذ: "تكونون لي شهودًا" (أع ١: ٨). والشهود ليسوا الرسل فقط، بل أولئك الذين حلُّوا بعدهم. حدَّثتنا الرسالة إلى العبرانيّين عن "المدبِّرين" الأوَّلين الذين خاطبوا الجماعة "بكلام الله". أمّا اليوم فأنهوا حياتهم بموتهم (عب ١٣: ٧). هو كلام عن بطرس وبولس في رسالة تتوجَّه إلى جماعات رومة، وتدعوهم لا إلى الاقتداء "بإيمان" بطرس وبولس فقط، بل أيضًا بإيمان الذين جاؤوا بعدهم: "أطيعوا مدبِّريكم واخضعوا لهم" (آ ١٧).

والشهود ليسوا التلاميذ فقط. فإذا قرأنا النصوص قراءة حرفيَّة، نعتبر مثلاً أنَّ إسطفانس لم يكن من السبعين الذين أرسلهم يسوع أمامه "اثنين اثنين إلى كلِّ مدينة أو موضع عزم أن يذهب إليه" (لو ١٠: ١). ومع ذلك كان أوَّل شاهد في العالم اليونانيّ وأوَّل شهيد حيث قال: "أرى السماوات مفتوحة وابن الإنسان واقفًا عن يمين الله" (أع ٧: ٥٦).

فالشاهد هو الذي شهد، رأى. كان حاضرًا حين حصل أمرٌ من الأمور أو حين وُقِّع عهد من العهود، وبالتالي يستطيع أن يشهد، أي أن يؤكِّد على ما رأى وما سمع. الإنسان يكون "شاهدًا"، وفي شهادته يمكن أن يَتَّهم. ذاك ما فعله الشيخان بسوسنة: "نشهد عليك..." (دا ١٣: ٣١). وفي الواقع كانت شهادتهما كاذبة. والله نفسه يكون الشاهد ولا سيَّما على شعبه: "فأنا من اليوم أُشهد عليكم السماء والأرض بأنَّكم تبيدون سريعًا..." (تث ٤: ٢٦). شهد الربُّ واتَّهم. والإنسان يستطيع أن يأخذ الربَّ شاهدًا. قال صموئيل: "يشهد الربُّ وملكُه" (١ صم ١٢: ٥). وهدَّد إرميا باسم الربّ: "يا ساكنة لبنان، يا من صنعتْ أرزه عشًّا لها، كم تئنّين حين يأتيك الوجع في مخاض كالتي تلد" (إر ٢٢: ٢٣). والمؤمنون سوف يقولون لإرميا التي تعب فما استطاع أن ينال من الشعب ثمر التوبة. قالوا: "ليكن الربُّ إلهك شاهدًا علينا أنَّنا نعمل بكلِّ الكلام الذي يرسلُه إلينا" (إر ٢: ٥).

والشهادة لا تكون فقط للاتِّهام، بل للدفاع، ولا سيَّما عن عمل الربّ (إش ٤٣).

٩ اجتمعوا يا كلَّ الأمم،
واحتشدوا يا جميع الشعوب،
أين شهودهم يبرِّرون دعواهم
فنسمع ونقول: هذا حقّ.
ظنَّت الأممُ أنَّ آلهتها أقوى من الربِّ الإله.
١٠ أنتم شهودي، يقول الربُّ،
ذرِّيَّة عبدي الذي اخترته
لأنَّكم علمتهم وآمنتم بي
وفهمتم أنّي أنا هو
ما كان من قبلي إله
ولن يكونَ من بعدي.
١١ أنا، أنا الربُّ
ولا مخلِّص غيري.

هل يستعدُّ المؤمن أن يؤدّي الشهادة، ويقف في وجه الجمع مهما كلَّفته هذه الشهادة من آلام؟ ذاك كان

وضع إيليّا على جبل الكرمل. أمامه الملك آخاب وأنبياء البعل "الأربعمئة والخمسون" (١ مل ١٨: ٢٢). هل يجسر أن يقف ويشهد أنَّ الربَّ وحده هو الإله؟ فشهد ونادى الربّ. فردَّ الربُّ عليه في رمز النار (آ ٣٨)، بانتظار أن يُنزل المطر (آ ٤٥). ولكن هذه الشهادة كلَّفته غاليًا بعد أن انتقم الشعب من أنبياء البعل. قالت الملكة إيزابيل مهدِّدة إيليّا بالموت: "ويل لي من الآلهة إن لم أجعلك في مثل هذه الساعة غدًا كواحد منهم" (١ مل ١٩: ٢). وكانت ردَّة فعل إيليّا الأولى الخوف ثمَّ الهرب. ولكنَّ الربَّ أعاده: "إرجع في طريقك" (آ ١٥). فرجع وسلَّم المشعل إلى إليشع.

وميخا بن يملة وجب عليه أن يشهد لكلام الربِّ في وجه الأنبياء الكذبة. جميعهم تنبَّأوا بصوت واحد: يكون النصر لك (١ مل ٢٢: ١٢). ولكنَّ ملك يهوذا سأل: "أمّا من نبيٍّ للربّ؟" (آ ٧). فنبيُّ الربِّ يتكلَّم باسم الربِّ، ونبيُّ الملك يتكلَّم باسم الملك. أجل، قيل له: ميخا بن يملة (آ ٩). ولكنَّ الملك يخاف منه ولا يريد أن يسمع له. قال: "أُبغضه" (آ ٨). فالشاهد الحقيقيُّ هو "مزعج"، ولهذا لا تكون له راحة. ذاك ما حصل لميخا الذي رفض أن يكون كلامه مثل كلام هؤلاء الأنبياء الكذبة (آ ١٣). قال الحقيقة، فتقدَّم صدقيّا بن كنعنة (أحد الأنبياء) ولطمه على فكِّه (آ ٢٤). وأمر الملك فوُضع النبيُّ الحقيقيّ في السجن مع قليل من الخبز والماء (آ ٢٧). لا، لا يكون النبيّ مثل "أنبياء" هذا العالم. ولا يكون المؤمن خروفًا في قطيع من الغنم، يسير حيث يسير الآخرون ويخضع للملك ولمن وراءه.

تعذَّب ميخا، وُهدِّد إيليّا، وإرميا عرف من الآلام أقصاها. قاسى السجنَ أوَّلاً مع رغيف من الخبز كلَّ يوم (إر ٣٧: ٢١). ثمَّ جعلوه في جبٍّ موحل لا ماء فيه، "فغاص إرميا في الوحل" (إر ٣٨: ٦). لهذا نسمعه يتذمَّر؛ فأهله أنفسهم هم ضدَّه. ولكن هل خفَّف الله الحمل عنه؟ بل أراد أن يعدَّه لآلام قاسية. "تجري مع المشاة فتتعب، فكيف تسابق الفرسان؟" (إر ١٢: ٥أ). يعني هي أمور سهلة فتعبت فيها، فماذا تفعل حين تُجبَر على جهاد أكبر؟ لهذا تَواصل كلامُ الربّ: "إن كنت تتعب في أرض آمنة (لا أشجار فيها ولا أشواك)، فكيف تفعل في غور الأردنّ؟" (آ ٥ب) وفيه الأسود (الصغيرة) وسائر الحيوانات المفترسة.

* * *

من أين قوَّة "النبيّ"؟ وقوَّة الرسول؟ وقوَّة تيموتاوس الذي "وعده" بولس بالآلام؟ قال له مرَّة أولى: "اشترك في الآلام" (٢ تم ١: ٨). ومرَّة ثانية، "شاركْ في الآلام كجنديٍّ صالح للمسيح يسوع" (٢ تم ٢: ٣). أجل، ذاك ما ينتظر الرسول إذا هو أراد أن يكون أمينًا للرسالة. أمّا إذا مالق وداهن وأراد أن يرضي الناس (غل ١: ١٠)، فحياته تكون مرتاحة بحيث يسمع كلام الربّ: "الويل لكم إذا مدحكم جميعُ الناس، فهكذا فعل آباؤهم بالأنبياء الكذّابين" (لو ٦: ٢٦). "كلمة الله سيف ذو حدَّين" (عب ٤: ١٢). فمن يحتملها وبالتالي من يحتمل الشاهد الذي يعلنها؟ ولكن إذا صار هذا السيف ناعمًا! وإذا سار المؤمن بحسب حكمة هذا العالم! أمّا الرسول فينادي "بالمسيح مصلوبًا" (١ كو ١: ٢٣) ومثله يفعل تيموتاوس.

من خلال الآلام ومن خلال الصعوبات يؤدّي تيموتاوس الشهادة. أوَّلاً لربِّنا؛ فهو الشاهد الأوَّل، وهو الشاهد الأمين الثابت. قيل لتيموتاوس عنه: "المسيح يسوع الذي شهد أحسن شهادة لدى بيلاطس البنطيّ" (١ تم ٦: ١٣). ونحن نعرف إلى أين أدَّت الشهادة بيسوع: "أسلمه إليهم ليصلبوه" (يو ١٩: ١٦).

قالت لنا الرسالة إلى العبرانيّين إنَّ المسيح تألَّم (مات) "في خارج باب المدينة ليقدِّس الشعب بدمه" (عب ١٣: ١٢). فما يكون موقف "الشاهد"؟ هل يبقى في أورشليم مع عظماء الكهنة والكتبة؟ بل "نخرج خارج المحلَّة حاملين عاره" (آ ١٣)؛ كان له عار الصليب، فهل نبحث عن شيء آخر مثل يعقوب ويوحنّا: "واحدٌ عن يمينك وواحد عن شمالك في مجدك" (مر ١٠: ٣٧). غير أنَّ مجد الربِّ يمرُّ عبر الآلام على ما قال الربُّ لتلميذي عمّاوس: "أمَا كان يجب على المسيح أن يعاني هذه الآلام فيدخل في مجده؟" (لو ٢٤: ٢٤).

في هذا الإطار قال يسوع: "ما من تلميذ أفضل من معلِّمه، ولا عبد أفضل من سيِّده" (يو ١٥: ٢٠). إذًا، ما حصل

إلى أرخبُّس رفيقنا في الجهاد. هو لا يريد أن يحصل على طلبه عن طريق السلطة، وهو لا ينزعج إن لم ينل حالاً الجواب على كلامه. إنَّه يتصرَّف كما يتصرَّف شخص مجهول، ويتوسَّل إليهم لكي يساعدوه لكي تُستجاب طلبته. ولا يكفيه أن يطلب الكثيرون، بل يهمُّه أيضًا أن تتوجَّه الطلبة إلى الكثيرين بحيث تصل إلى هدفها. من أجل هذا قال: **إلى أرخبُّس رفيقنا في الجهاد.** بما أنَّك تشاركُني في جهادي، شاركْني أيضًا واتعبْ معي في هذا الظرف. أرخبُّس هو بلا شكّ ذاك الذي تكلَّم عنه في الرسالة إلى كولوسّي فقال: "قولوا لأرخبُّس: إحرص على أن تتمِّم الخدمة التي قبلتَها في الربّ" (كو ٤: ١٧). يبدو أنَّ هذا التلميذ كان من أولئك الذين قُبلوا بين الإكليروس. وإذ دعاه بولس رفيق الجهاد دفعه لكي يطلب معه لكي يُعينه بكلِّ الوسائل المتاحة.

وإلى الكنيسة التي تجتمعُ في بيتك. هو لا ينسى العبيد، لأنَّه لا يجهل أنَّ كلامهم قد يبدِّل مرارًا استعداد أسيادهم، ولا سيَّما حين يكون الموضع المتشفِّع من أجل عبد، فلربَّما كانوا بين الذين حرَّكوا الغضب على هذا "الفارّ". فحين لجأ بولس إلى تشفُّعهم كما إلى تشفُّع أسيادهم، أراد أن يمنعهم من الاستسلام إلى الحسد، كما لا يريد أن يعطي معلِّمهم مناسبة سخط، وهذا كان حصل لو توجَّه إليهم مباشرة، كما كان بإمكانه أن يجرحهم إن هو لم يذكرهم.

إذًا، نلاحظ بأيِّ حكمة تصرَّف، فكرَّم هؤلاء بالتذكُّر، وتنبَّه إلى الآخر بتحفُّظه؛ فاسم الكنيسة يضمُّ أيضًا العبيد دون أن يحقَّ للسيِّد أن يظنّ أنّه أُسيء إليه؛ فالكنيسة لا تعرف مثل هذا التمييز. أمّا التمييز الوحيد الذي تقبل به فتمييز الفضائل والخطايا. بما أنَّكم تكوِّنون كنيسة واحدة فلا تستاؤوا إن دعوت العبدَ معكم: "في المسيح يسوع لا عبدٌ ولا سيِّد" (غل ٣: ٢٨).

النعمةُ لكم والسلام. إذ يكلِّمه عن النعمة يذكِّره أنَّه خاطئ. فكأنَّه يقول له: تذكَّر كلَّ ما غفر الله لك، فكِّر أنَّك خُلِّصت بواسطة النعمة، وتعلَّمْ كيف تقتدي بالربّ. وتمنّى له أيضًا السلام، وهذا ما نفهمه بدون صعوبة: فالسلام يُعطى لنا أيضًا حين نقتدي بالله، حين نستمرُّ في النعمة. فهذا الخادم الذي بدا بلا شفقة تجاه الآخر لبث أيضًا في نعمة سيِّده ما دام لم يطالب بالدنانير المئة، وخسرها حين طالب بها وأُسلم إلى المعذِّبين.

* * *

مع مثل هذه الأفكار، نمتلئ نحن بالحنان ونغفر طوعًا للذين أساؤوا إلينا. فالدنانير المئة تمثِّل الذنوب التي اقتُرفت ضدَّنا، والعشرة آلاف وزنة تلك التي اقترفناها ضدَّ الله. وأنتم تعرفون أيضًا أنَّ الخطايا تُدان بحسب صفة الأشخاص. فمن يجرح شخصًا فردًا يخطأ بلا شكّ، ولكن لا كمن يشتم القاضي. وتكون الشتيمة أخطر بقدر ما تكون الوظيفة القضائيَّة أرفع. في الواقع العمل هو هو، وهو يتبدَّل حسب الكرامة التي يهاجم. فإذا نلنا عقابًا هائلاً حين نهين الملك، فكيف ننظر إلى الإهانة تجاه الله؟ إذًا، الذنب تجاه الله والذنب تجاه الإنسان لا يُمكن أن يقابلاَ وإن تشابهَا في العمق. فبقدر ما يتفوَّق اللّه على الإنسان بقدر ذلك يكون الذنب أخطر من الآخر. غير أنَّ الاختلاف في الخطورة لا يأتي فقط من الاختلاف في الأشخاص، بل أجده في الواقع عينه. ما أودُّ أن أقوله أمرٌ مرعب ولا نسمعه دون أن نرتجف، ومع ذلك يجب أن أقوله. فقد تكون الوسيلة الوحيدة التي تحرِّك النفوس وتلامسهم: نحن نخاف البشر ونحترمهم أكثر من الله؛ فالزاني مثلاً يعرف أنَّه لا يُفلت من نظرة الله، ولكنَّه يستخفُّ به. غير أنَّه يسيطر على رغبته أمام الناس. أن نقول إنَّه يخاف هذا أكثر من ذلك، لا يكفي، بل نقول: هو يهين الله، يحتقره، وهذا مقرف لأنَّ حضور إنسان يكفي لإطفاء شعلة الرغبة. ولفظ شعلة غير دقيق. هي الوقاحة ولا شيء أكثر. فإن لم يكن للطبيعة لذَّة شرعيَّة، يكون اللفظ حقيقيًّا. ولكن لا. فيستحيل أن نرى هنا شيئًا آخر غير الوقاحة المدفوعة حتّى الجنون الذي هو على شاكلة الإنسان. فهذا التعيس لا يفكِّر في طول أناة الله.

والسارق بدوره لا يجهل أنَّه يسرق، غير أنَّه يطلب أن يغشَّ الناس، فيدفع

يوحنّا الذهبيّ الفم في الرسالة إلى فيلمون

الخوري بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

قرأ الذهبيّ الفم الرسالة إلى فيلمون، كما قرأ سائر الرسائل البولسيَّة بما فيها الرسالة إلى العبرانيّين، وألقى ثلاث عظات تشدِّد على رأيه في العبوديَّة التي نظر إليها كأنَّها واقع يصعب التخلّي عنه. غير أنَّها نتيجة الخطيئة، ولا يمكن أن ترتبط بالناموس الطبيعيّ وكأنَّ هناك أناسًا خُلقوا للعبوديَّة وآخرين خُلقوا ليكونوا أحرارًا. أمّا العبوديَّة فما انتهت في أيّامنا بل هي حاضرة في أشكال عديدة، ومنها ما يشبه العالم القديم حيث الإنسان يُشرى ويباع ليكون شيئًا في يد سيِّده. وها نحن نقدِّمُ بداية العظة الأولى التي فيها يعلن الواعظ أنَّ الكنيسة لا تميِّز بين عبد وحرّ، ويشجِّع على تحرير العبيد أو أقلَّه على معاملتهم كإخوة لهم لأنَّهم إخوة المسيح.

* * *

النصُّ الرسائليّ: " من بولس سجين يسوع المسيح ومن أخينا تيموتاوس إلى فيلمون عزيزنا ورفيقنا في العمل، وإلى الكنيسة التي تجتمع في بيتك، وإلى أختنا أبفيَّة وإلى رفيقنا في الجهاد أرخبُّس. عليكم النعمة والسلام من الله أبينا ومن يسوع المسيح ربِّنا".

* * *

من أجل العبيد تكلَّم الرسول هكذا، فتوجَّه إلى الأسياد. ومنذ البداية قدَّم أفكاره، وأبعد عنها كلَّ عاطفة خجل وهدّأ الانزعاج. حين أعطى نفسه لقب الأسير الذي في القيود، علَّم الرهافة والتواضع بحيث تبدو الأمور الحاضرة كلا شيء؛ فإن لم تكن القيود من أجل المسيح موضوع خجل، وإن كانت تتيح لنا الافتخار، فبالأحرى ليس من عارٍ في حالة العبوديَّة. وإن قال الرسول مثل هذا الكلام، فما قاله ترفُّعًا بل من أجل هدف مفيد: لكي يعطي كلامَه سلطةً أوسع، ولكي ينال نعمة كبيرة ليست له. فهو يقول على ما يبدو: أحملُ هذه القيود بسببكم، وذاك ما قاله في ظروف أخرى، فدلَّ على اهتمامه وأعلن هنا أنَّه صادق. لا شيء يتفوَّق على هذا المجد لأنَّه يُدعى الصورة الحيَّة عن المخلِّص: "أحمل في جسدي سمات المسيح" (غل ٦: ١٧).

سجين المسيح. مقيَّد من أجل المسيح. فمن أجل المسيح نال القيود. مَن لا يحسُّ بالاحترام، بل مَن لا يتحرَّك أمام مثل هذا الاعتبار؟ من لا يستعدّ أن يبذل حياته، لا أن يكون فقط عبدًا. **وتيموتاوس أخينا**. يقدِّم نفسه مع رفيقه بحيث يكون لطلبته وزنٌ وتُستجاب بسهولة. **إلى فيلمون عزيزنا**. إن هو محبوب فلا تهوُّر ولا اعتداد بأن يُظهر له هذه الثقة، بل هو برهان محبَّة جديد: إذا كان معاونًا، فهو لا يكتفي بأن يمنح مثل هذا الإحسان، بل يكون ممنونًا أن يُطلَب منه. إنَّه يحسن إلى نفسه ويواصل العمل مع الرسول. وبمعزل عن الطلبة، هناك سبب آخر (يقول بولس) يفرض عليك أن تمنح هذه النعمة؛ فهذا الرسول يساعد الآنَ في الكرازة التي ترغبُ أيضًا في إنجاحها. إذًا، يجب عليك أن تطلب بدلاً من أن تنتظر أن يُطلَب منك.

إلى أختنا أبفيَّة. أظنُّ أنَّها امرأة فيلمون. أنظروا تواضع الرسول: طلب مساندة تيموتاوس في طلبته. وما طلب فقط من الزوج، بل من امرأته أيضًا، وربَّما من صديق آخر.

للمعلِّم يحصل للتلميذ، إلاَّ إذا بحثنا عن معلِّم آخر. ويواصل يسوع كلامه: "إذا اضطهدوني يضطهدونكم". فإن كان العالم لا يبغض المؤمن، فلأنَّ هذا المؤمن هو من العالم، والعالم يحبُّ ما يشبهه. لهذا قال الربُّ: "إن أبغضكم العالم، فتذكَّروا أنَّه أبغضني قبل أن يبغضكم. لو كنتم من العالم، لأحبَّكم العالم كأهله. ولأنّي اخترتكم من هذا العالم وما أنتم منه، لذلك أبغضكم العالم" (آ ١٨-١٩).

وهناك شهادة أخرى، بالإضافة إلى الشهادة لربِّنا. يقول بولس: "فلا تخجل بالشهادة لربِّنا وبي أنا أسيره" (٢ تم ١: ٨). قال الربُّ: "من ينكرني قدَّام الناس أنكره قدَّام أبي الذي في السماوات". ومن يعترف بي قدَّام الناس أعترف به قدَّام أبي الذي في السماوات (مت ١٠: ٣٢). أترى الأمر سهلاً؟ كلاّ. فالربُّ أرسل تلاميذه "كالخراف بين الذئاب" (آ ١٦). ونبَّههم: "الناسُ يسلمونكم إلى المحاكم وفي مجامعهم يجلدونكم" (آ ١٧).

ذاك ما حصل لبولس. فهل يتبرَّأ منه تلميذه تيموتاوس؟ هل يستحي بمعلِّمه الذي هو في القيود؟ ديماس تركه (٢ تم ٤: ٩). ويواصل الرسول: "ما وقف أحد معي عندما دافعتُ عن نفسي لأوَّل مرَّة، بل تركوني كلُّهم. صفح الله عنهم!" (آ ١٦). نحسُّ هنا بالألم يحزّ في قلب بولس، فهو يحتاج إلى ابنه تيموتاوس: "تعالَ إليَّ عاجلاً" (آ ٩). الحمد لله أنَّه بقي لديه أونيسيفورس. قال عنه بولس: "شجَّعني كثيرًا وما استحى من قيودي" (آ ١٦). فكان مختلفًا عن "فيجلُّس وهرموجينيس وجميع الذين في آسية" (آ ١٥). "كلُّهم تخلُّوا عنّي". أمّا أونيسيفورس فكان بإمكانه أن يتجاهل بولس، ولكنَّه لم يفعل، فقال عنه الرسول: "أخذ يبحث عنّي عند وصوله إلى رومة حتّى وجدني" (آ ١٧).

نكتشف هنا قلب الرسول في وجهه البشريّ، وننسى أنَّه ذلك القويّ الذي همُّه أن يكون للمسيح. هو "سجين" ولكنَّه "حرّ" في منطق الإنجيل. قال في ١ كو ٧: ٢٢: "فمن دعاه الربُّ وهو عبد كان للربِّ حرًّا. وكذلك من دعاه المسيح وهو حرّ كان للمسيح عبدًا". وفي أيِّ حال، حين كان بولس في السجن، يقول سفر الأعمال: كان الإنجيل حرًّا، وكان الرسولُ يَكرز به بكلِّ جرأة (أع ٢٨: ٣٠-٣١). أمّا الآلام فهي نعمة من عند الربّ. فالرسول قال إلى كنيسة فيلبّي، ساعة كان في سجن أفسس مهدَّدًا بالموت: أعطيت لنا نعمة، لا أن نؤمن به فقط بل أن نتألَّم لأجله" (فل ١: ٢٩).

والكلمة الأخيرة لا تكون الآلام، بل المجد. والموت ليس الهدف؛ فالمسيح "قضى على الموت" (٢ تم ١: ١٠). وأعدَّ لنا القيامة. وهو كلام ورد مرارًا في الرسائل البولسيَّة؛ الرسول كتب إلى تلميذه تيطس عن "رجاء الحياة الأبديَّة التي وعد الله الصادقُ بها منذ الأزل، فأظهر كلمته في حينها بالبشارة التي أؤتمنتُ عليها بأمر الله مخلِّصنا" (تي ١: ٢-٣). هو السرُّ دخل فيه الرسول وإن كان "سجين المسيح" (أف ٣: ١). ويطلب من تيموتاوس أن يتبعه فيه من أجل الإنجيل الذي هو أمانة في عنق بولس وتيموتاوس. فهل يتخلّى التلميذ عن الأمانة؟

الخاتمة

كلام الرسول إلى تلميذه، فيه القوَّة وإن كان الخوف يتربَّص به. فيه المحبَّة وإن هو أحسَّ أنَّ لا أحد بقربه وشعر بعاطفة بشريَّة تدفعه إلى تيموتاوس ابنه الحبيب. فكأنّي به يستنجد. وهو كلام فيه الفطنة والوضعُ حرجٌ بحيث يجب أن يتعلَّم بولس الصبر في خطِّ العالم الرواقيّ حيث يسود الإنسان على نفسه وعلى مخاوفه وعلى أموره اليوميَّة مهما كانت صعبة. وبالرغم من ذلك، نسمع كلامًا ينظر فيه الرسول إلى تلميذه ويجعل أمامه كلمة الخلاص، كلمة الحياة، ويذكِّره، وينبِّهه. هو الأب مع ابنه: أين هي الحرارة الأولى؟ والموهبة التي نالها ما زال مؤتمنًا عليها. أمّا الطريق التي تنتظره فلن تكون مفروشة بالورود: فالآلام تنتظره، وكذلك المشقّات. فهو شابّ بعد وعليه أن "يفرض" نفسه في كنيسة تكمن فيها الصعوبات الكثيرة. فما يبقى عليه أن يقول سوى ما قاله معلِّمه: "أنا أعرف بمن آمنت، وأنا عارفٌ أنَّه قادر أن يحفظ وديعتي إلى يومِ ربِّنا".

٢ تم ٢: ٨-١٣
الأمانة للمسيح الأمين

الخوري جو الدكّاش
مُجاز في اللاهوت، جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمـــة

تتضمّن رسالة القدّيس بولس الثانية إلى تلميذه تيموتاوس وصايا خصوصيّة، فكرتها الأساسيّة وجوب المثابرة على الشهادة ليسوع المسيح؛ فبحسب التقليد، كَتب الرسول هذه الرسالة خلال فترة سجنه الثانية، وقد أحسّ بالخطر يهدّد الكنائس خلال اضّطهاد نيرون. لذلك تُعتبر رسالة تيموتاوس الثانية من الكتابات التي تشهد على فترة ما قبل موت الرسول في روما، وبالتالي تلقي الضوء على خلاصة خبرته وحياته.

١– إطار النصّ

ينتمي نصّنا إلى القسم الأول من الرسالة، أي ١: ٣–٢: ١٣ الذي يشجّع فيه الرسول تلميذه على الأمانة والثبات في خدمة البشارة، وبصورة أدقّ، إلى الفقرة الأخيرة (٢: ١–١٣) التي تؤكّد ضرورةَ المحافظة على التقليد الرسوليّ الصحيح، والاستعداد بالتالي لتحمّل الألم في سبيله. أمّا النصّ الذي نحن بصدده الآن، أي ٢: ٨–١٣، فيوجّه أنظار القارىء إلى قيامة يسوع المسيح التي يقوم عليها إيمان كلّ مؤمن ورجاءه، والتي تشكّل الدافع الأهمّ لكلّ رسول في احتمال الألم والاضّطهاد. من بداية الرسالة يحاول بولس حثّ تيموتاوس على مواصلة التبشير؛ فذكّره أوّلاً بثقته الشخصيّة به (١: ٣–٤)، وثانيًا بعائلته الصالحة (١: ٥)، وثالثًا بالعطيّة التي أُسبغت عليه (٢: ١)؛ وبعدما أراه صُورَ الجندي (٢: ٤) والرياضيّ (٢: ٥) والزارع (٢: ٦)، وهي صورٌ استمدّها من الحياة اليوميّة الواقعيّة، تمثّل الجهد والعناء ، ها هو في ٢: ٨–١٣ يُحوّل كيانه وكيان كلّ قارئ نحو الصورة الأبهى على الإطلاق، ألا وهي صورة يسوع المسيح القائم من بين الأموات (٢: ٨)؛ وكأنّي به يلمّح إلى أنّ "الأمثال المستمدّة من الحياة اليوميّة، مهما عظم شأنها، لا يمكن أن تكون أكثر واقعيّة وفاعليّة من صورة يسوع المصلوب والقائم"[١]. ففي النهاية، تشكّل عبارةُ "المسيح القائم من الأموات" قلبَ رسالة بولس وفحوى إنجيله (٢: ٨)، ممّا يؤول بلا شكّ إلى تشجيع المؤمن على المثابرة في التبشير رغم الاضطّهادات.

٢– تصميم النصّ

يختلف شرّاح الكتاب المقدس حول تصميم هذا النصّ بحيث يعتبر البعض أنّ هذا المقطع يُقسَم إلى قسمَين هما: آ ٨–١٠ وآ ١١–١٣ (باعتبار آ ١١–١٣ تشكّل نشيدًا قديمًا أو "مقالة ليتورجيّة"[٢])، فيما يقدّم البعض الآخر

(١) J. REUSS, *Les deux lettres à Timothée*, p. 161.

(٢) بولس الفغالي، **رسالة القدّيس بولس الثانية إلى تلميذه تيموتاوس**، ص ٨٤.

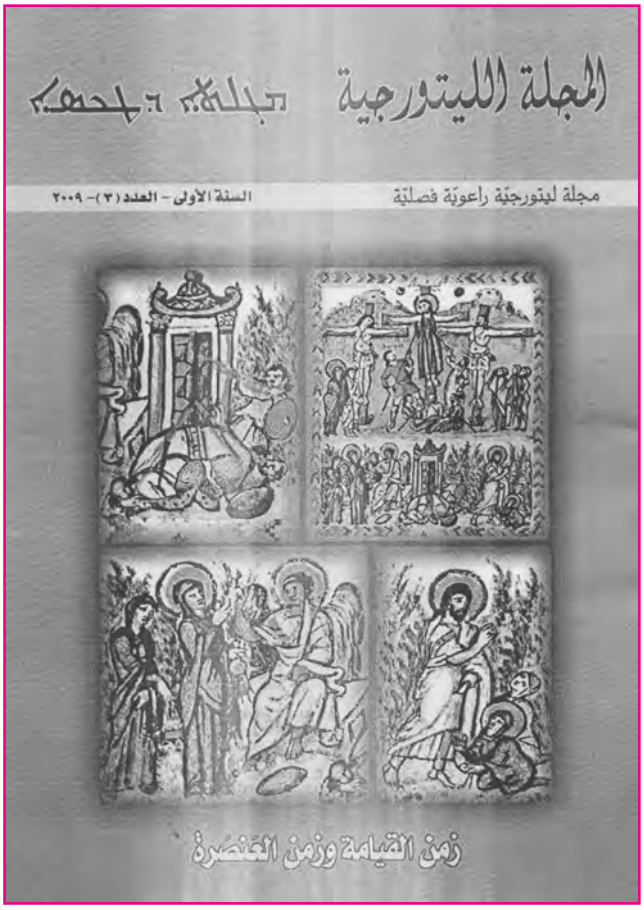
المجلة الليتورجية
مجلة فصلية ليتورجيّة راعويّة
السنة الأولى - العدد (٣) - ٢٠٠٩
زمن القيامة وزمن العنصرة

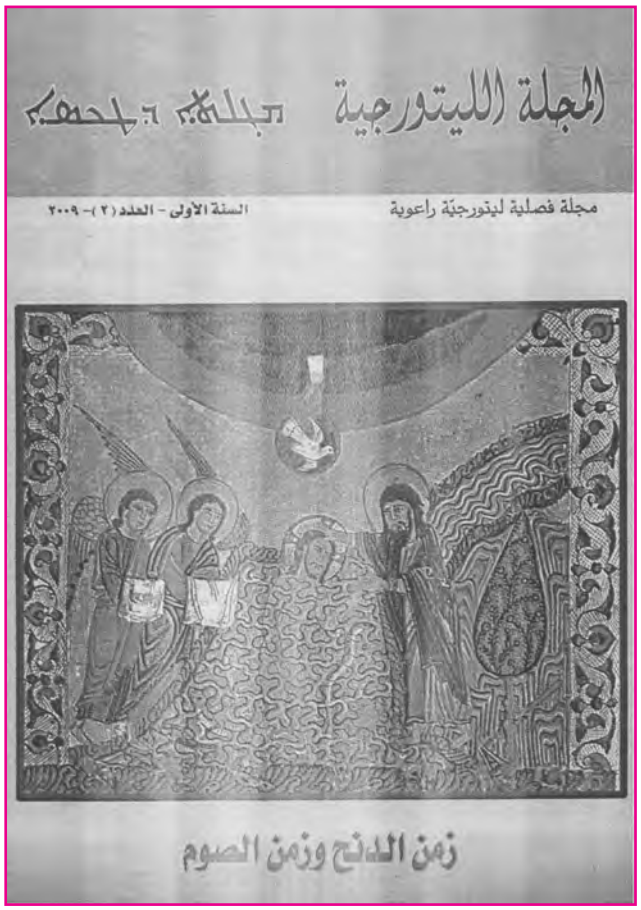
المجلة الليتورجية
مجلة فصلية ليتورجيّة راعوية
السنة الأولى - العدد (٢) - ٢٠٠٩
زمن الدنح وزمن الصوم

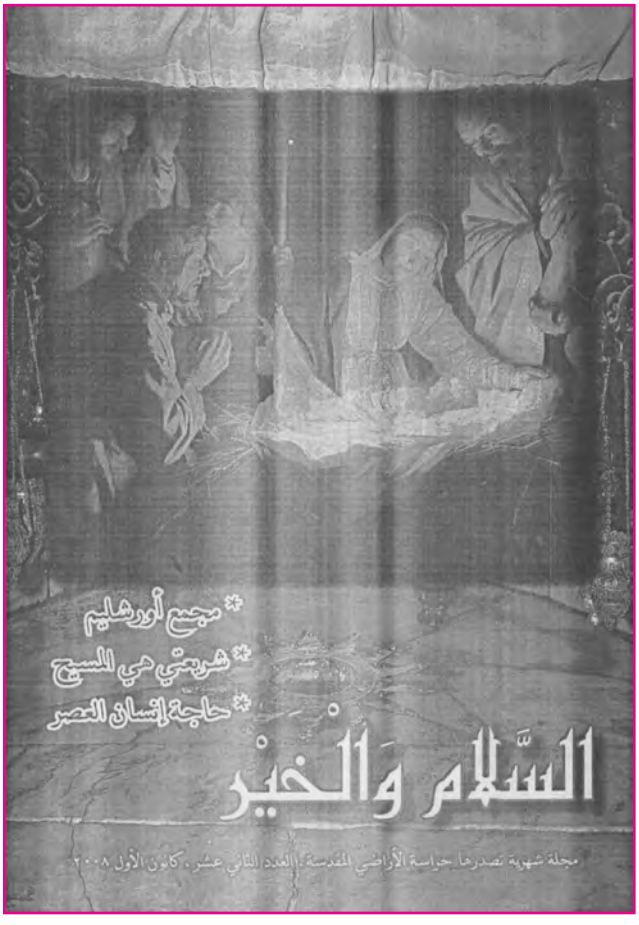
* مجمع أورشليم
* شريعتي هي المسيح
* حاجة إنسان العصر
السَّلام وَالْخير
مجلة شهرية تصدرها حراسة الأراضي المقدسة، العدد الثاني عشر، كانون الأول ٢٠٠٨

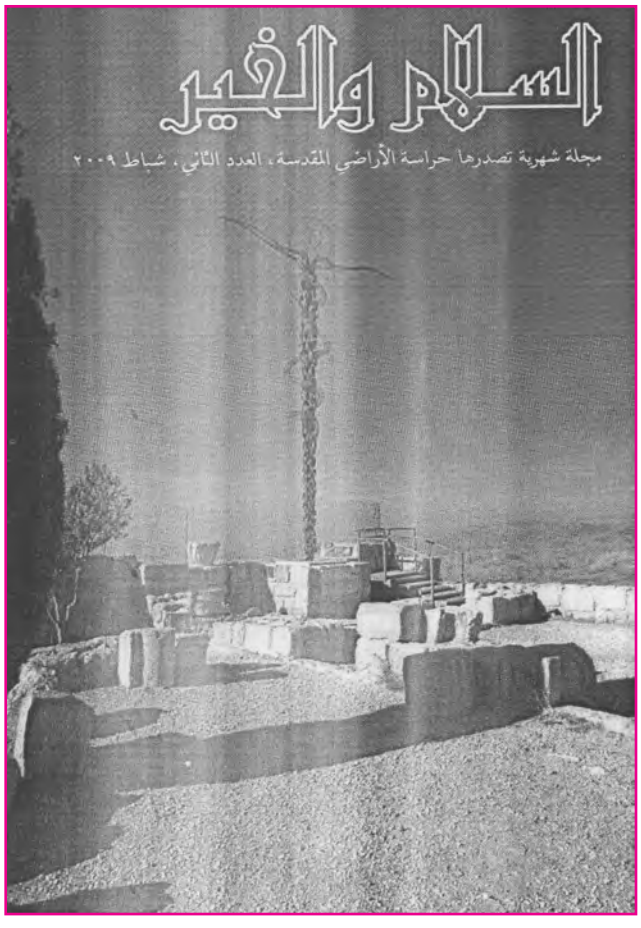
السلام والخير
مجلة شهرية تصدرها حراسة الأراضي المقدسة، العدد الثاني، شباط ٢٠٠٩

المراجـــع

إونغليون. الرسائل والرؤيا، كلية اللاهوت الحبرية، الكسليك، ١٩٩٢، ص ١٠١١–١٠١٦.

بولس رسول الأمم. مقتطفات من كتب بولس الطرسوسي، لواضعه جوزف هولزنر، بقلم أحد المرسلين البولسيّين، المطبعة البولسيّة، حريصا، ١٩٩٣، الفصل الثاني والخمسون: "الرسالة إلى فيلمون"، ص ٢٧٧–٢٨١.

بولس الفغالي، **رسالتا القدّيس بولس إلى أهل كولسّي وإلى فيلمون**، محطّات كتابية، ١٥، الرابطة الكتابيّة، ١٩٩٢، ص ١٧٩–٢٢٠.

منى عبيد، "رسالة القديس بولس إلى تلميذه فيلمون"، في **بولس ورسائله**، تنسيق بولس الفغالي، دراسات بيبلية، ٢٣، الرابطة الكتابية، ٢٠٠١، ص ٢٩١–٢٩٣.

يوحنا كرافيذوبولس، **تفسير رسالة بولس الرسول إلى فيلمون**، تعريب سلوان موسى، رسائل الأسر، ٤، منشورات دير سيّدة البلمند البطريركي، ٢٠٠٤.

BARCLAY W., *Brief an Philemon*, Auslegung des N.T., 1974.

BENOIT P., *Les épîtres de St. Paul aux Philippiens, aux Colossiens, à Philémon et aux Ephésiens*, Bible de Jérusalem, 1959.

ERNST J., *Die Briefe an die Philippen, an Philemon, an die Kolosser, und an die Epheser*, Megensburger, N.T., 1974.

FRIEDRICH G., *Die Brief an die Philipper. Der Brief an Philemon*, NTD, [14]1976.

GUILLET Jacques, *L'épître aux Philippiens. L'épître à Philémon*, Cahiers Evangile, n. 30, Cerf, Paris 1980, p. 51-62.

KNOX J., *Philemon among the Letters of Paul. A New View of its Place and Importance*, 1935, [2]1959.

LEHMAN Richard, *Epître à Philémon*, Labor et Fides, Genève, 1978.

LOHSE E., *Die Briefe an die Kolosser und an Philemon*, KEK, 1968.

MOULE C.F., *The Epistles of Paul the Apostle to the Colossiens and to Philemon*, The Cambridge Greek N.T. Commentary, 1957.

PREISS Th., *Vie en Christ et éthique sociale dans l'épître à Philémon*, Aux sources de la tradition chrétienne, 1950.

SCOTT E.F., *The Epistles of Paul to the Colossiens, to Philemon and to the Ephesians*, the Moffat N.T. Commentary 10, 1958.

STUHLMACHER P., *Der Brief an Philemon*, EKK, 1975.

THURSTON Bonnie B. and RYAN Judith M., *Philippians & Philemon*, Sacra Pagina, Liturgical Press: Minnesota 2004, p. 165-261.

VINCENT M.R., *The Epistles to the Philippians and to Philemon*, ICC, 1961.

WIECKEIT U., "Der Philemon Brief - privatbrief oder apostoliches Schreiben", *ZNW* 59 (1961).

تصميمًا مغايرًا، ألا وهو : آ ٨–٩ وآ ١٠–١٣[٣]. ولكن متى قرأنا جيّدًا الآيات الستّ التي تُشكّل نصّنا، نرى هذا الأخير ينقسم إلى قسمَين تُشكّل آ ١٠ آيةً انتقاليّة بينهما (phrase de transition)، بحيث يتحوّل تشجيع بولس الشخصيّ لتيموتاوس – والذي يتميّز باستخدام ضمير المخاطب "أنت" (آ ٨–٩) – إلى تشجيع معمّم لجميع الذين يتألّمون من أجل الإنجيل (آ ١١–١٣). فلا يلبث الكاتب أن يوسّع دائرة الذين يتوجّه اليهم (آ ١١–١٣) لتشمل كلّ مؤمن بالمسيح؛ وهكذا على غرار بولس وتيموتاوس ، كلُّ مسيحي يتألّم مع المسيح ويصبر حتّى النهاية يحيا ويملك في النهاية مع المسيح. أمّا آ ١٠ فهي تكمّل من ناحية الكلام على بولس ومعاناته: "لذلك أصبر على كلّ شيء"، الأمر الذي يربطها بما قبلها، ومن ناحية أخرى تتكلّم على خلاص المختارين في المسيح: "في سبيل المختارين كي يحصلوا هم أيضًا على الخلاص في المسيح يسوع"، ممّا يجعلها في ارتباط وثيق بالنشيد حيث يتمّ الكلام على المختارين ("نا") وعلى الخلاص ("**سنحيا معه – سنملك أيضًا معه**").

كما يتميّز القسم الأوّل من النصّ بتعليم حول البشارة والآلام المقترنة بها، فيما يتألف القسم الثاني من نشيدٍ يحوي تعليمًا قيّمًا حول المسيح القائم وعلاقة المؤمن به. أمّا مفتاح الصلة بين المقطع والنشيد، فهو، من الناحية الأدبيّة، "الصبر" المبنيّ على أمانة الله (συναπεθάνομεν، آ ١٢) // ὑπομένω، آ ١٠)؛ ومن الناحية اللاهوتيّة، شخص بولس، رسول البشرى السارّة .في الحقيقة، يشكّل بولس "جسرًا" حقيقيًّا بين الدعوة إلى البشارة وبشرى الخلاص، كونه يقرن بشخصه القول بالعمل. فهو لم يكتفِ بإيصال الانجيل عبر الكلام (آ ٨)، بل عبر حياته الشخصيّة أيضًا (آ ٩). كما وأنّه، حرصًا منه على ألاّ يخور عزم تيموتاوس، عرض عليه خبرته الشخصيّة مُرفقًا إيّاها بتعليم لاهوتيّ ليتورجيّ، يشرح فيه جوهر مهمّة الرسول والخدمة الرسوليّة في كنيسة المسيح، مع ما يرافقها من خطر نفسيّ وجسديّ. باتَ بولس إذًا تجسيدًا تاريخيًّا حسيًّا للنشيد الكريستولوجيّ إذ طبّقَ بمَثَله كل فقرة من النشيد (موت – صبر)... باختصار، نلاحظ أنّ دور بولس الرئيسيّ هو وصل وترابط الإرشاد أو التحريض (parénèse) مع اللاهوت، الأمر الذي نشهده أيضًا في رسالته الأولى.

١/٢ – القسم الأوّل (آ ٨–٩)

نجد في هذا القسم إعلانًا كريستولوجيًّا حول القيامة (آ ٨أ) مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بشخص بولس، ويشكّل مختصر إنجيله (آ ٨ب) والسبب المباشر لمعاناته ولاحتماله الشدائد والآلام (آ ٩أ). كما نشهد تشخيصًا لكلام الله (آ ٩ب) "يؤوّن"، بشكل أو بآخر، معنى القيامة. يشكّل بولس إذًا بشخصه قسمًا من تعليمه، فهو يطبّق معنى القيامة بالنسبة إلى المبشّر لأن تَقدّم البشارة يشكّل ثمرًا من ثمار القيامة الأكثر حسّيّة...[٤]. وإذا قمنا بمقارنة مع آ ٤–٦ المبنيّة على جدليّة الثمن الواجب دفعه والنتيجة المرجوّة، نستطيع القول بأنّ هذا المقطع ينقل نتيجة آلام بولس (أكثر من آلام المسيح غير المذكورة) أي انتشار كلمة الله (النتيجة المرجوّة) رغم وجود صاحبها مقيّدًا بالسلاسل (الثمن الواجب دفعه).

تعود آ ١٠ فتذكّرنا بالعلاقة القائمة بين الألم وهدفه بحيث تشكّل آلامُ بولس "الفرصة المناسبة" لخلاص المختارين ومثالاً يُحتذى به، بهذا تكون آلام الرسول قد حلّت بمعنى ما محلّ آلام المسيح.

(٣) Y. REDALIE, *Paul après Paul…*, p. 197-199.

(٤) Y. REDALIE, *Paul après Paul…*, p. 197.

٢/٢ – القسم الثاني (آ ١١-١٣)

تبلغ دعوة بولس لتيموتاوس إلى الصبر والاحتمال خلال إعلان البشارة، ذروتها اللاهوتيّة في القسم الثاني أو النشيد الليتورجيّ الذي يدعو إلى الاقتداء بسرّ المسيح الفصحيّ، وبالتالي إلى مشاركته في المجد. وقد اعتُبر نشيدًا لأنّه مقطع ذو إيقاع، يتميّز باستخدام عبارة "إذًا" πιστὸς ὁ λόγος، (٤ مرّات)، وضمير الـ"نحن"، وبغياب ذكر اسم المسيح. إنّه على الأرجح نشيدٌ شعبيّ معروف في كنيسة تيموتاوس، يحوي عدّة مصادر تقليديّة جُمعت قبل استخدامها من قبل الكاتب الذي استعان بها بهدف رعائيّ، أي ليُثبت وليُفسّر دعوته الآنفة، عبر عبارات قد ألفَها المؤمنون.

١/٢/٢ – "هي صادقة هذه الكلمة"

(πιστὸς ὁ λόγος) (آ ١١أ): تعبيرٌ تتميّز به الرسائل الرعويّة (رج ١ تم ١: ١٥؛ ٣: ١؛ ٤: ٩؛ طي ٣: ٨)، يقدّم غالبًا مقطعًا مضمونُه معروف من قبل المؤمنين. في الحقيقة تشكّل آ ١١-١٣ نشيدًا قديمًا من أصلٍ ساميّ يعبّر عن الإيمان في إطار عماديّ أو استشهاديّ... وكما هي الحال في أف ١: ٣-١٤؛ فل ٢: ٦-١١؛ ١ تم ٣: ١٦، يختلف اللاهوتيّون حول هويّة النشيد الأصليّ، ولكن يتّفق معظمهم على اعتبار آ ١٢ب إضافة إلى النشيد الأصليّ قام بها الكاتب، لتخدم ظروف كتابة الرسالة. إضافة إلى ذلك تتضمّن آ ١٣ب تفسيرًا لما سبق، لا شكّ قام به كاتب الرسالة في فترة لاحقة.

٢/٢/٢ – تصميم النشيد (آ ١١ب-١٣)

يتكوّن النشيد من ٤ شطور هي آ ١١ب؛ آ ١٢أ؛ آ ١٢ب وآ ١٣، يبدأ كلّ منها بـ"إذا" (εἰ):

- الشطران الأوّلان (آ ١١ب-١٢أ) يقرّان بإيمان من يشترك بآلام المسيح وبالتالي بالمُلك معه.
- الشطر الثالث (آ ١٢ب) يُحذّر من نكران المسيح جوابًا على نكران الإنسان، في حين يناقض الشطر الرابع (آ ١٣)، أقلّه ظاهريًّا، الشطرَ السابق ويؤكّد أمانة الربّ بغضّ النظر عن تصرّف الإنسان.

٣ – التباين في النص

نشهد في هذا النصّ من تيموتاوس الثانية تباينات عدّة: تباينٍ بين الألم والخلاص، بين حالة بولس السجين ومجد المختارين، بين الموت والقيامة، بين الصبر والملك، بين الخيانة والأمانة، بين الحاضر والمستقبل...؛ فهذا المقطع مبنيٌّ على التباينات، الأمر الذي يجعل من أسلوب هذه الرسالة قريبًا إلى حدٍّ ما من الأدب الحكميّ، بحيث يدفع الكاتب قارئَه إلى الاختيار وأخذ القرار، إمّا بالوقوف "مع" المسيح، وبالتالي الصبر وتحمّل الألم حتّى الموت معه في سبيل القيامة، أو بالوقوف "ضدّه" وإنكاره وخيانته، فمواجهة الموت الحقيقيّ في النهاية...، بالتالي، لقد نجح الكاتب، من خلال هذا الأسلوب، بالحصول على مبتغاه، ألا وهو حثّ القارئين على الأمانة والجدّيّة في الالتزام مع المسيح رغم الألم والصعاب.

من جهة أخرى، يشدّد الكاتب، من خلال التباين، على التناقض والفرق الكبيرَين بين الحياة في العالم والحياة مع المسيح، بين حكمة العالم وحكمة الله (رج ١ كور ٢). أمّا بالنسبة إلى التباين بين الألم والخلاص، فهو يهدف إلى تعميق الهوّة بين إذلال العالم ومجد الله؛ فكلّما كثر الألم الناتج عن العالم كلّما فاض المجد المتأتّي من الله، وعظمت قيمته.

٤ – تفسير الآيات

آ ٨: "أذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات من نسل داود حسب إنجيليّ".

من جهة أولى، وبالرغم من أنّه لا يوجد أي تلميح إلى العشاء الإفخارستيّ، وجد البعض خلف تعابير هذه الآية صدًى لقول يسوع: "إصنعوا

(٥) É. COTHENET, *Les épîtres pastorales*, Cahiers Évangile, n. 72, Cerf, Paris, 1990, p. 37.

للسيّد كما للعبد، بل إنّ بولس الوسيط، كالمسيح "الوسيط الأوحد"، يطلب أن نصل "إلى الشركة" (كوينونيا، آ ١٧)، أي مشاركة فيلمون في ايمان المسيحيّين المتّحدين في شركة الإيمان الواحدة، أي الحياة المسيحيّة بشكل عامّ (آ ٦)، وتتجسّد بشكل خاصّ في إعلان الإنجيل (آ ٢-١٣)، قوّة الله التي تخلق جديداً.

١٢- والخيرُ الأكبرُ: فداء

يقول بولس لفيلمون: "إحسب ذلك عليّ" (آ ١٨). يوقّع الرسول بولس التماهي بين نفسه وبين العبد العائد إلى سيّده "أنا بولس أتعهّد" (آ ١٩). "أرح (αναπαυσον) أحشائي في المسيح" (آ ٢٠)، أرح صدري، أرح قلبي في الربّ.

إنّ استعمال اللفظة "أرح" بشكل متواتر في مثل هذه الرسالة القصيرة لَهُوَ دليل على اشتراك بولس الشخصيّ في هذه المسألة.

١٣- نحة في تاريخ تفسير الرسالة حول موضوع العبوديّة

لم يكن استعمال الرسالة إلى فيلمون واسع النطاق في القرون المسيحيّة الأولى، ولربّما يعود السبب في ذلك إلى أنّ معالجة قضيّة العبوديّة كانت دقيقة للغاية. كان العبيد يؤلّفون، على الأقلّ في أيام أغسطس، حوالى نصف سكّان الأمبراطوريّة الرومانيّة، وكان نظام العمل مرتكزًا عليهم. ولم تكن حالة العبيد في روما أفضل ممّا كانت عليه في أثينا. وكان في روما مفرزة للشرطة متخصّصة في البحث عن العبيد الفارّين واعتقالهم، عُرفت باسم fugitivarii.

من هنا فإنّ منح العبيد حريّتهم من قبل سادتهم المسيحيّين دفع الكثيرين منهم إلى اعتناق المسيحيّة. ويشيد أغناطيوس الإنطاكيّ في رسالته إلى بوليكربوس (٤: ٣) بذلك الوضع، إذ تمّ فيه تجاوز الحدود كلّها: "لا تتكبّر على العبيد رجالاً ونساءً".

ويعرض يوحنا الذهبيّ الفم لتعاليم الرسالة:

١- "ينبغي للأجناس المستعبدة ألاّ تصل إلى حافّة اليأس، ولو انتهى بها الأمر إلى أقصى الشقاء"؛ فإذا كان العبد الفارّ قد صار رجلاً فاضلاً بحيث إنّ بولس يرغب في الاحتفاظ به إلى جانبه، "فكم بالأحرى يجب على الأحرار ألاّ يقعوا في اليأس أبدًا".

٢- "ينبغي ألاّ يفصل أحدٌ بين العبيد وسادتهم".

أمّا في أيّامنا الحاضرة، فيؤكّد كلٌّ من رئيس مدرسة Tübingen (بَوَر F.C. Baur)، وفَيْتسيكر (C. Weizsäcker) أنّ الرسالة قد عرضت بشكلٍ قصصيّ كيف عُولجت في عصر ما بعد الرسل مسألة العبوديّة ضمن الجماعة المسيحيّة.

الخاتمة

يلاحظ أنّ "الحريّة" قد تُركت لفيلمون لاختيار الطريقة التي بها سيُظهر محبّته تجاه العبد العائد إليه.

وحده ثبات الكنيسة بتعاليم الربّ يسوع يحطّم كلّ سلاسل الاستعباد. ليس في الرسالة ما نسمّيه اليوم تحرير العبيد – كان ذلك مستحيلاً في ذلك العهد – لكنّا نجد فيها تحسينًا لحالة الرقيق، وإعلانًا صريحًا لتساوي الجميع أمام الله في المسيح، لا نظريًا فقط، بل عمليًّا أيضًا، وفقًا لما كان بولس قد علّمه. بيد أنه في رسالته هذه إلى فيلمون يُعلن بصراحة أنّ العبد المتنصِّر الذي حرّره دم المسيح لا يسوغ له مع ذلك أن ينبذ عنه نير مولاه الزمنيّ. وكذلك المولى المسيحيّ عليه واجبات نحو عبده المؤمن بالمسيح. وجلُّ ما هناك أن بولس يتمنّى لو أُعتق العبدُ بعد تنصّره، لكنّه يترك هذا الإعتاق لضمير المولى المسيحيّ ومحبّته (أغابي)، التي أُعطي لها أي تتملّى "فرحًا جزيلاً" و"عزاء" (παρακλησις) وإراحة فيلمون لقلب القدّيسين.

فلا يمكن للماضي أن يشكّل مركز ثقل أقوى من الحاضر، وهو حاضر مفعم، قبل كلّ شيء، بالرجاء وتنفتح على المستقبل الذي يليه (آ ١٥: "لكي يكون لك إلى الأبد").

يبقى تعليم بولس "أسيرِ المسيح"، "رسولِ الإنجيل"، المُعْتِق البشريَّةَ من أسر الاستعباد، مرجعًا على مدى الأحقاب.

لتكون الآمال المنشودة أكثر مثالاً". فتحوُّل أونسيموس من إنسان عديم النفع إلى إنسان نافع لهو أمرٌ يعود بالأساس إلى شخص المسيح (χριστος) الذي بات يؤمن به الآن بفضل بولس.

٨- فالعبد يعود أخًا حبيبًا

ضمن إطار العائلة الروحيّة في المسيح، يجب فهم عبارة أونسيموس "أخ" لفيلمون (آ ١٦)، طالما هذا الأخير قد وُلد أيضًا في الإيمان الجديد على يد بولس.

إنّ الاستقبال التي يُنتظر من فيلمون أن يحتفظ به لعبده أونسيموس سيكون كما يريده بولس، لا استقبال سيّد رحيم يستعيد إلى خدمته عبدًا تاب عن ماضيه، بل استقبال أخ يستقبل أخاه في المسيح (آ ١٦). وهكذا حين أعاد بولسُ أونسيموس إلى فيلمون جعل الرجلين وجهًا لوجه. وهذه هي "حضارة الوجه". وهي من وحي التجسّد والفداء والمصالحة والأخوّة الشاملة. فالقضيّة هي أن نعيد الاعتبار إلى الإنسان، ونؤسّس علاقة جديدة، علاقة الأخوّة؛ فالاخوّة الحقيقيّة "بالمسيح" تستطيع أن تلغي واقع العبوديّة. فالعبد صار "بالمسيح"، أكثر من عبد، هو "أخ محبوب" (αδελφος αγαπητος)، مسيحيّ في جسد المسيح، "في الجسد وفي الرب" (και εν κυριω). بعبارة "في الجسد" (εν σαρκι) اشارة إلى الصِّلة الاجتماعيّة (أخ في خدمة الحاجات الجسديّة)، وبعبارة "في الرب" (εν κυριω) إشارة إلى الصِّلة الروحيّة (مساواة وتبادل في شركة الإيمان والتبنّي المشترك إلى الآب).

٩- أونسيموس أخ مشترك

قال بولس لفيلمون: "كنت أودّ (εβουλομην) أن أحتفظ به" (آ ١٣). ما قال بولس "إني أردت أن أحتفظ بقربي بعبدٍ هارب"، بل قال: "بعد أن صارت الأمور هكذا في المسيح، كنت أودّ "أن أحتفظ به عندي". إنّ فعل "احتفظ" (κατεχειν) يُستعمل للحفظ والحماية اللذين تقدّمهما الهياكل لعبيد فارّين. يودّ بولس أن يستفيد من أونسيموس لخدمة (διακονια) حرّة ونبيلة، لا لخدمة العبيد (δουλεια)، بل لخدمة متبادلة تعارض العبوديّة. على هذا النحو، يبدو أنّ أونسيموس "نافع" بشكل مزدوج؛ فهو سيقوم بخدمة بولس من جهة، وهو من جهة أخرى، سيقوم بالخدمة تقام فيلمون نفسه: "عوضًا عنك" (υπερ σου). ففي خدمة الإنجيل لا يتميّز السيّد عن العبد. وهكذا حين يعمل العبد من أجل الإنجيل. بالطبع "كعبد لي ما بعد، بل أفضل من عبد، أخًا محبوبًا، ولا سيّما إليّ، فكم بالحريّ إليك في الجسد والربّ معًا" (آ ١٦). وهكذا يتحقّق الخير العميم.

١٠- الأخوة ملازمة للخير

يتمنّى بولس أن يرى فيلمون يعمل "من أجل الخير" (آ ٦)؛ فحين يفعل السيّد "خيرًا" من أجل عبده، فهو يعمل أيضًا من أجل خيره الخاصّ. هذا لا يعني أنّ فيلمون سيجد عبده أمينًا إلى الأبد، ومستعدًّا أن لا يضرّ أبدًا، بل يعني أنّ على السيّد أن يغلّب المحبّة أيضًا.

١١- فالخير يخلق من جديد

في الرسالة أقنع بولسُ فيلمون أن يقبل عنده أونسيموس التائب "لا عبدًا، بل أخًا حبيبًا" (آ ١٥-١٦). لا يكون استقبال فيلمون لاونسيموس استقبالاً يحتفظ به لعبدٍ فارّ يعاقبه. يتجاوز بولس مستوى العبد ليصل إلى مستوى الحرّيّة الداخليّة، فالأخوّة والمحبّة. فالحياة التي يشدّد عليها بولس منذ بداية الرسالة، لا تعارض واقع وجود عبيد؛ فحياة المحبّة أو المحبّة في الحياة تأخذ على عاتقها واقع العبوديّة لكي تحوّله وتنقله إلى أبعد من ذلك، تنقله ممّا كان عليه إلى واقع جديد اسمه الأخوّة والمحبّة. وهكذا تبدو العبوديّة وكأنّها أُلغيت بالقبول والمحبّة قبل أن تُمَسَّ أشكالها الخارجيّة؛ فالداخل يمكن أن يحوّل الخارج. إنّ القضيّة مبدأٌ ونعمةٌ وتفاعلٌ روحيٌّ ميدانيٌّ في آن. في أيّ حال، ليست القضيّة مسألة عواطف خارجيّة ومجاملات ظواهريّة وبيانات للإعلام والادّعاء والفريسيّة، تُظهرها

هذا لذكري"[٥]. من جهة ثانية، تبدو عبارة "يسوع المسيح القائم من بين الأموات" معروفة من قِبَل المُرسَلة إليه ("أذكر"، υνημόνευε) ، وهي موازية لـ رو ١٣: ٣؛ لذلك فهي تعود، على الأرجح، إلى تقليدٍ شفهيٍّ ذي أصلٍ يهوديّ–مسيحيّ يهدف إلى الاعتراف بوجود المسيح بحسب الجسد وبحسب الروح على السواء. ولكن يلفت انتباهنا في ٢ تم ٢: ٨ أوّلاً الترتيب المعاكس في الزمن الكريستولوجيّ (ذكر القيامة قبل ذكر بشريّة أو ميلاد يسوع)؛ ومن ثمّ استخدام المصدر، "القائم" (ἐγηγερμένον)، في الماضي التامّ (participe parfait)؛ وعدم ذكر المسيح كابن الله، مما يُضفي طابعًا خاصًّا على الآية، مردّه إلى إطار النصّ وهدف الرسالة المحدَّد.

في ما يتعلّق بالترتيب المعاكس، نستخلص أوّلاً، أنّ الكاتب أراد التركيز على القائم من الموت. لقد تمّ ذكر القيامة في هذه الآية لا كحدثٍ تاريخيٍّ وإنّما كصفةٍ وحالةٍ متّصلةٍ جذريًّا بيسوع المسيح، وذلك يعود، على الأرجح، إلى أنّ سرّ القوّة المسيحيّة، وبالأخصّ الرسوليّة منها، يكمن في النظر صوب الربّ القائم من الموت. ثانيًا، يشير ذِكرُ عبارة "من نسل داود" (ἐκ σπέρματος Δαυίδ) بعد القيامة إلى أنّ مرمى الكاتب ليس الكلام على المسيح المتجسّد والقائم كتحقيق لتدبير الله في التاريخ، وإنّما التشديد على "جسدانيّة" القائم من الموت. فالمسيح قد حقّق، من جهة، وَعْدَ الربّ لإسرائيل (٢ صم ٧: ١٢) بكونه من نسل داود وقد أصبح، من جهة أخرى، ربًّا بكونه قام من الموت.

أمّا بالنسبة إلى إستخدام المصدر "القائم" في الماضي التامّ، فذلك للدلالة أوّلاً على أنّه عمل صادر من الله، وثانيًا على أنّ فعل القيامة ما زال حاضرًا ومستمرًّا. بات إذًا حدثُ المسيح القائم تصويبًا للتأويلات الخاطئة حول موضوع القيامة والتي يَرِدُ ذكرها في ٢ تم ٢: ١٨؛ فالكاتب نجح في إعادة مفهوم القيامة إلى مركزه الوحيد، أي المسيح بحيث أنّ قيامة المسيح وحدها قد تَمّت نهائيًّا، في حين أنّ المؤمن يبقى مدعوًّا للمشاركة في قيامة المسيح بالإيمان. بتعبير آخَر، تركّز ٢ تم ٢: ٨ على "قيامة الأجساد"، وبالتالي على قيامة المسيح بشكل حصريّ، جوابًا على "هيمنايوس وفيلينوس" اللذَين زعمَا أنّ القيامة تمّت"[٦] (٢ تم ٢: ١٨).

هذا هو المسيح الذي يجب على تيموتاوس أن يبقيه نُصب عينيه لأنّه كان لا بدّ للمسيح أن يتألّم ويُصلب ليدخل في المجد الأبديّ (رج لو ٢٤: ٢٦)، وعلى تيموتاوس أيضًا سلوك الطريق عينه لينال الخلاص. هذا هو أساسُ حياةِ كلّ مسيحيّ... هذا هو جوهر العقيدة الموحاة الذي يشكل، بالنسبة إلى بولس، أساسَ الخلقيّات ودافعًا للشعور بالطمأنينة في خضم الاضطّهادات.

"**بحسب إنجيلي**" (κατὰ τὸ εὐαγγέλιόν μου) : عبارة خاصّة ببولس (نجدها أيضًا في رو ٢: ١٦ و١٦: ٢٥)، تُلقي الضوء، بحسب البعض، على الطابع البولُسيّ لمضمون البشارة، وبحسب البعض الآخر على أهمّيّة العلاقة بشخص بولس الذي من أجله يُستَحَقّ احتمالُ الألم؛ وهي بالتالي تعني أنّ الربّ جعل بولسَ رسولاً مميّزًا للبشارة السارّة. لَم يعد التركيز إذًا على تاريخ الخلاص، بل على الكرازة بوجه عامّ، وعلى الكرازة البولسيّة بشكل خاصّ. إنطلاقًا من هنا أصبح الألمُ ألمَ بولس، والإنجيلُ إنجيلَ بولس.

آ ٩: "الذي فيه أعاني الشرّ حتى القيود كالمجرم، لكنّ كلمة الله ما قُيِّدَت.

"**الذي فيه**" (ἐν ᾧ): يعتبر بولس سجنه نتيجةً لكرازته (فل ١٣)، وهو رغم السلاسل، لا يتوانى أبدًا عن

(٦) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، رج: L. PIROT & A. ROBERT, *Dictionnaire de la Bible, Supplément*, t. 7, p. 32

التبشير بالمسيح (رج ٢ تم ٤: ١٧) إذ يعتبر أنّ عيش آلام المسيح يشكّل بحدّ ذاته كرازةً بالإنجيل.

"كالمجرم" (κακοῦργος): عبارةٌ تنتمي إلى المفردات القانونيّة (على الأرجح كان يُنعَت بها المسيحيّون حينها تجاه الأمبراطوريّة الرومانيّة)، والتي لا تَرِدُ في العهد الجديد سوى في لو ٢٣: ٣٢-٣٣، ٣٩، لتدلّ على اللصَّين اللذَين صُلبَا مع المسيح؛ وبذلك تلميحٌ واضح إلى أنّ الرسول يشارك بآلامه حالة سيّده المزرية على الصليب؛ فهو شبيه بالمسيح المصلوب. نعم، يدفعنا الكاتب بهذه الطريقة إلى المقارنة بين بولس السجين الذي بقي وحيدًا كالمجرم، وبين يسوع المسيح الذي تُرِك من قبل أتباعه ليُجابه الموت وحيدًا كالمجرم على الصليب. فالرسول الذي يعاني الاضّطهاد هو "مسيح آخر مصلوب". من هنا يتّضح لنا أكثر فأكثر مفهوم بولس للرسالة: يُتمّم يسوع سرَّه الخلاصيّ من خلال كلّ رسول (رج كول ١: ٢٤؛ ٢ كو ١: ٥-٦) أو بتعبير آخَر، "ليس بولس مَن يتألّم، بل المسيح يتألّم فيه". وكما أنّ صليب المسيح شكّل نواة البشارة ومنه انطلق الإنجيل والخلاص إلى العالم، هكذا تشكّل قيود الرسول شهادةً حيّة تنطلق منها كلمةُ الله إلى كلّ العالم على الرغم من جميع قيود العالم.

"كلام الله" (λόγος τοῦ θεοῦ): ويعني هنا الإنجيل، ولكنّ الكاتب لم يستخدم هنا كلمة "إنجيل" كما في آ ٨، وذلك لأنّ عبارة "كلام الله" تعني أنّ صاحب الكلام ليس الرسول وإنّما الله، وبالتالي، ولو استطاع الناس تقييد الرسول، فإنّ الكلام يبقى حرًّا وفاعلاً، كون صاحب الكلام هو الله؛ فلا يمكن لأحد أن يقيّده البتّة؛ فما نطق به اللّه لا يمكن أن يمحوَه إنسان، حتّى أنّ كلّ قيدٍ أو شرط له يتحوّل مناسبة لانتشارٍ أوسع وأشمل، ما دام الرسول أمينًا لقيامة يسوع. فلا يمكن لأحد أن يُقيِّد كلام الله إلاّ بسلاسل الخوف والشكّ. وبما أنّ يسوع القائم من الموت يبدّد كلّ خوف أو ارتياب، نرى بولس متأكّدًا، رغم السلاسل التي تقيّده، بأنّ كلمة الله لن يطالها أيُّ قيد، لا بل ستشكّل هذه السلاسل بحدّ ذاتها وسيلةً لانتشار البشارة، كونها تعبيرًا للشهادة ليسوع المسيح. بتعبير آخر، حتّى ولو استطاع الناس أن يقيّدوا قلم رسول البشارة، فإنّه يبقى شاهدًا للإنجيل، إن لم يكن بقَلَمه فبِألَمه.

بالإضافة إلى ذلك، يعبّر بولس، بطريقة غير مباشرة، ومن خلال عبارة **"كلام الله غير مقيّد"** (οὐ δέδεται)، عن أنّ كلمة الله ما عادت حكرًا على الرسول وإنّما صارت وديعةَ الكنيسة جمعاء. من هنا لا يمكن لأيّ قوّة بشريّة أن تحُدّ من انتشار كلمة الله في العالم، لأنّه، لو كان رسول الكلمة مقيَّدًا، إلاّ أنّ الكلمة تبقى في عهدة المبشِّرين –أمثال تيموتاوس– المؤتَمَنين على إيصالها من جيلٍ إلى جيل.

آ ١٠: "لذلك أصبر على كلّ شيء في سبيل المختارين كي يحصلوا هم أيضًا على الخلاص في المسيح يسوع مع مجدٍ أبديّ".

"لذلك" (διὰ τοῦτο): يربط حرف السبب "لذلك" (آ ١٠) بما قبلها، ممّا يعني أنّ السبب الرئيسيّ الذي يدفع بولس إلى الاحتمال والصبر هو الكرازة وانتشار كلام الله. فهو يتألّم لا عن خنوع بل بدافع الحبّ.

"أصبر" (ὑπομένω، ٤٣: ٢): هو الفعل نفسه الذي استُخدم في آ ١٢ من النشيد، ممّا يربط آ ١٠ بما بعدها (نشيد آ ١١-١٣). وهذا مفادُه أنّ صبر بولس هو تطبيق فعليّ وشخصيّ لصبر المؤمنين الوارد ذكره في النشيد الليتورجيّ.

"في سبيل" (διά): عبارة ذات طابع خلاصيّ تشير إلى المعنيّين بالخلاص، كما في أش ٥٢-٥٣، وهذا ما يؤكّده مضمون آ ١٠ب: "حتّى يحصلوا هم أيضًا على الخلاص".

"المختارين" (ἐκλεκτούς): تدلّ كلمة "المختارين" بدون ريب على المؤمنين الذين قبلوا الخلاص من المسيح (رج رو ٨: ٣٣؛ كول ٣: ١٢)، وهي كلمة لها طابعها الإسكاتولوجيّ.

لذلك من المفيد التذكير هنا بأنّه يمكننا أن نكتشف وراء كلمات هذه الآية صدى الأدب النهيويّ اليهوديّ حيث تسبق الآلامُ والمصائبُ الزمنَ

٨)، بحبّ، بفيض محبّة، "لسبب الحبّ"، و"بفضل الحبّ"، "من أجل المحبّة" (διὰ τὴν αγαπην) في سبيل تلبية مطلبه، أن يتقبّل (προσλὰβον) (آ ١٧) العبد الذي خطئ حين ترك بيت سيّده. اذًا يطلب بولس من فيلمون أن يقبل أونسيموس، كما لو كان يقبله هو نفسه، أي بنفس المحبّة والفرح والحرارة القلبيّة؛ فالمحبّة لا تعرف الحدود بين عبد وسيّد.

٤- والمحبّة، ثمرة الإيمان، مشاركة

بعدما أشاد بولس بمحبّة فيلمون وكشف عن عمق انعطافه ناحية أونسيموس، وعن تغيير هذا الأخير الجذريّ، يبلغ إلى التصريح جليًّا عن طلبه في آ ١٧: "إن كنتَ تحسبني شريكاً فاقبله نظيري". فبولس وفيلمون هما فعلاً شريكان التقيَا على المحبّة ذاتها والإيمان الواحد. إنّ مركز الثقل يقع على معنى الشركة التي تتأسّس وتُدشَّن بدم المسيح على الصليب.

وبولس وَلَدَ أونسيموس إلى الإيمان. والإيمان واحد مشترك. فايمان فيلمون يجب أن يصبح فاعلاً (إنرغيس). وهذا هو نقل الإيمان إلى الآخرين، ومنهم أونسيموس. فالشركة (كوينونيًا) تستند إلى الإيمان. وإن "شركة الإيمان"، أو "شركة إيمانك"، أو "مشاركتك في الايمان" (آ ٦ ، η κοινωνια της πιστεως σου) هي ذروة طلب الرسول بولس بالنسبة إلى أونسيموس (آ ١٦)، والتي ستتبعها إشارة أخرى إلى "تضامن" (كوينونوس) في آ ١٧. فالتضامن بين المسيحيّين شركةٌ بين السيّد والعبد، في "كلّ الصلاح" (παντος αγαθοι)، في "معرفة كلّ الصلاح".

٥- فالعبد لا يزال ابنًا

يقول الرسول بولس لفيلمون إنّ أونسيموس هو ابن بولس بالايمان. على يده ارتدّ أونسيموس إلى الإيمان. فإيمان فيلمون يجب أن يرفعه هو أيضًا إلى قبول أونسيموس، لأنّهما، بالإيمان الواحد المشترك، أصبحَا من أبناء الله. فالايمان يجعل السيّد والعبد يلتقيان، لأنّ العبد المتّهم لدى فيلمون والذي يستحقّ العقاب بعد أن فرّ من بيت سيّده، تبدّل كليًّا بما فعله الإنجيل فيه.

لهذا ردّ بولسُ أونسيموسَ إلى فيلمون (آ ١٢). فذاك الذي يرسله بولس لم يعد عبدًا، بل هو "أحشاؤه" (آ ٧، ٩، ١٢، ٢٠) (σπλαχνα) الخاصّة، ولده "ابن له" ، ابنه الخاصّ (ἐμου τεκνου) ، أو، كما نقول في اللغة العربية، "فلذة كبده".

٦- لذا ضرورة الوقوف بجانب العبد

يتضرّع (باراكالو) بولس بمحبّة، عَبْرَ (دیا) المحبّة (أغابي)، وعزم وإرادة أيضًا، كأنّنا ببولس "الشيخ" (آ ٩)، الرسول السجين (آ ١)، وقف بجانب العبد، على مثال يسوع، الذي وقف بجانب الخاطئة في بيت سمعان الفريسيّ (لو ٧: ٣٦-٥٠)، أو على مثال الروح القدس، الـ "باراكليتوس"، النصير (يو ١٤: ١٦). هذا لأنّ أونسيموس، بعد أن اهتدى صار "نافعًا".

٧- أونسيموس صار "نافعًا"

"إنّه غير نافع" (αχρηστον) قبل اهتدائه، "فصار نافعًا" (ευχρηστον) مفيدًا بعد اهتدائه، صالحًا للخدمة، أي اسم على مسمًّى (آ ١١-١٢). في العهد القديم كان الاسم يدلّ على الشخص؛ فالارتداد إلى المسيحيّة كان يقود إلى تبديل الاسم: سمعان صار بطرس "بِتْرَا" (مت ١٦: ١٨)، وشاول صار بولس. فأونسيموس كان عبدًا رديئًا في الماضي حين هرب، لكنّه اهتدى فصار مفيدًا، يقوم بخدمة حقيقيّة بعد ارتداده (آ ١٣). لقد تغيّر جذريًّا، فصار "نافعًا" لفيلمون كما لبولس أيضًا. يعترف بولس بخطيئة أونسيموس، فيمحي بهذه الكلمة غضب فيلمون. ولربّما عنى الرسول، بشكل غير مباشر، أنّه بات من الموافق لفيلمون الآن أن يستعيد أونسيموس طالما أنّ هذا الأخير صار الآن "نافعًا" للرسول نفسه. يقول يوحنا الذهبيّ الفم إنّ الرسول نفسه "وضع شخصه في الوسط

العبوديّة
في رسالة بولس إلى فيلمون

الأب لويس الخوند
أستاذ مادة اللاهوت الخُلُقي، جامعة الروح القدس –الكسليك

مقدّمـــة

إنّ موضوع الرسالة هو: عبوديّة، فهرب، فلجوء، فاحتضان، فتشفّع، فعودة، فقبول، فمحبّة، فأخوّة وتحرّر بالإيمان والخدمة "في الربّ يسوع المسيح".

أونسيموس ονὴσιμος هو عبد فيلمون. فرّ من العبوديّة. إلتجأ إلى بولس "الشيخ" (πρεσβυτης) يتناول بولس موضوع إعادة اللحمة بين عبد فارّ – مسيحيّ وسيّده المسيحيّ. الإنسانُ المتقدّم، "أسيرُ" يسوع المسيح في السلاسل، يحضن أونسيموسَ ويشفع له عند سيّده فيلمون، "الحبيب والمعاون" للرسول. يرسل بولسُ العبدَ الهارب إلى سيّده من جديد. إنّ "شركة (كُوْيْنُونيًا) الإيمان "في الربّ" هي ذروة طلب بولس بالنسبة إلى أونسيموس (آ ١٦)، والتي تتبعها إشارة أخرى إلى "التضامن" (آ ١٧).

لا بدّ لفيلمون من أن يعود فيقبل أونسيموس، "لا كعبد، بل كأخ حبيب، مثل بولس (آ ١٥–١٧ و١٩)، لأنّه مسيحيّ (آ ١ و٢)، تربطه فيه "صلة الربّ" (آ ١٦–١٧).

١– العبودية والحرية

إن كان لا بدّ للعبوديّة فهي للربّ يسوع فقط. هكذا فإنّ أونسيموس، العبد الهارب، هو إنسان حرّ، مخلوق من جديد، لأنّه معمَّد على يد بولس. إنّه مولود من جديد في المسيح (آ ١٠)، ولهذا يطلب بولس من فيلمون أن يعود فيقبله كأفضل من عبد (آ ١٦ و١٨).

لا يتحدّث بولس بشكل مباشر عن إلغاء العبوديّة، التي كانت تميّز المجتمع في ذلك العصر، بل يتناول حادثة محدّدة لعبد فارّ يعيده إلى من هو سيّده حسب منطق هذا العالم، بعد أن صار مسيحيًّا.

عالج الرسول بولس بشكل جديد ومضيء قضية دقيقة حصلت بين سيّد مسيحيّ وعبده الذي ارتدّ إلى المسيحيّة على يد بولس، وذلك حين كان الرسول في السجن، حيث ردّه إلى الايمان (آ ١٩).

٢– هل تدخل بولس كذي سلطة؟

لا يلجأ بولس إلى سلطته كرسول، بل يقدّم نفسه على أنّه "سجين" (δεσμιος) يلتمس خدمة (دياكونيًا) "تَسَلَّمَها في الربّ لكي يتمّها". فسلطة بولس تحمَل السلام (إيريني) (آ ٣) من "الله أبينا والربّ يسوع المسيح"، من أجل البناء. لهذا فهو يرجو فيلمون وبروح مسيحيّة، أن يتقبّل من جديد عبده الهارب، وكأنّه هو بشخصه (آ ١٢ و١٧ و٢١)، إذ هو ولده "في القيود"، "قيود الانجيل" (δεαματον) ευαγγελιον لحياة جديدة.

يدرك بولس الرسول جيّدًا أنّه "بالثقة (παρρησια) أو الدالّة (εξουσια)، التي له بالمسيح"، يستطيع أن يفرض على فيلمون ويأمره بما يجب أن يقوم به "بما يليق".

٣– تغليب المحبّة بين سيّد وعبد

ما يريد الرسول بولس أن يحرّكه لدى فيلمون هو المحبّة (أغابي، آ ٥ و٧ و٩ و١٦)، بشكل خاصّ، التي يجب على فيلمون أن يمارسها حتى يستقبل أونسيموس. فمحبّة فيلمون المؤمن أمرٌ معروف جدًّا، وهي تصل إلى الجميع. لذا يطلب الرسول بولس من فيلمون، يناشده (παρακαλω، آ ٩)، يحثّه (آ

المشيحانيّ، زمنَ المجد الحقيقيّ الأبديّ. هذا ما نلاحظه أيضا في مت ٢٤: ٩–٣١ حيث يتمّ ذكر "المختارين" (آ ٢٤ و٣١) و"النهاية" (آ ١٤) و"النكبات" (آ ٩، ٢١، ٢٩). بالنسبة إلى المسيحيّ لقد ابتدأ الزمن الإسكاتولوجيّ بالطبع مع المسيح، ولكنّه لم يكتمل؛ من هنا يرى الرسول في النكبات والآلام تسريعًا لمجيء المسيح الثاني (رج ٢ تس ٢: ١–١٢؛ رؤ ٦: ١١)، وهذا ما يؤكّد عليه ذكرُ الخلاص والمجد الأبديّ في الآية.

يهدف بولس من خلال الصبر والاحتمال، كما تهدف كلّ كرازة، إلى استمرار عمل الله الخلاصيّ من خلال آلام المؤمنين، على مثال المسيح. وبهذا تكون الكرازة بالإنجيل تأوينًا للسرّ الفصحيّ الخلاصيّ، حتى أنّ الرسول نفسه يماحي "المخلّص" بمعنى أنّ له دورًا خلاصيًّا. وأمّا بالنسبة إلى آ ١٠، فقد اعتبرناها آيةً مفصليّة إذ نجدها متعلّقة بما قبلها إن من خلال العلاقة السببيّة ("لذلك")، وإن من خلال خبرة بولس في احتمال الآلام؛ ومتعلّقة أيضًا بما بعدها– أي النشيد– إن من خلال التوازي بين الكلمات "أصبر" (συναπεθάνομεν، آ ١٢ // ὑπομένω، آ ١٠)، أو حتّى في الأسلوب المعتمد: سبب–نتيجة (أحتمل – خلاص المختارين/ متنا– عشنا) حيث النتيجة هي دائمًا الخلاص: (آ ١٠/آ ١١–١٢ عشنا، ملكنا).

آ ١١ب: "إذا متنا معه سنحيا معه".

يدفعنا التوازي الواضح بين هذه الآية و بين رو ٦: ٨، "إن متنا مع المسيح، نؤمن أيضًا أنّنا سنحيا معه"، إلى الاستنتاج بأنّ المضمون اللاهوتيّ لهذا النشيد يعود إلى لاهوت العماد[٧]. وتزيد على ذلك عبارة "الموت مع (συν) المسيح" عند بولس التي لا تعني الموت الجسديّ وإنّما الموت عن الخطيئة (رج رو ٦: ١١؛ كول ٢: ١٢–١٣؛ ٣: ١). كما أنّ تصريف فعل "مات" بزمن الماضي التامّ (aoriste)، συναπεθάνομεν، يلمّح إلى المعموديّة. غير أنّ دراسة النصّ ضمن إطاره تدفعنا إلى الاعتقاد بأنّ لآيات النشيد بُعدًا استشهاديًّا[٨]، حيث أنّ الكلام الذي سبق (٢: ١–٧) يدور حول الآلام والاضّطهادات وبولس المعرَّض لخطر الموت (في السجن)؛ فيصبح فعلُ "متنا" إشارة إلى موت الشهادة، وبالتالي يُضحي مضمون النشيد موجّهًا إلى المؤمنين المعرَّضين للاضّطهاد، فيشجّعهم مؤكّدًا أنّ الآلام الحاضرة تنتهي بالحياة والملك مع المسيح.

على أيّ حال، "إن متنا معه" عبارةٌ تشير إلى أمانة المؤمن إلى حدِّ عدم التردّد في الموت معه على مثال توما الرسول. بالمعموديّة، انطلَقَتْ مسيرةُ الموت مع المسيح، ولكنّها لا تبلغ ذروتَها إلاّ عبر الاستشهاد في سبيل المسيح؛ وفي هذه الرسالة لا ينأى بولس عن تشجيع تلميذه في وقتٍ بلغ فيه خطر الاضّطهاد ذروته.

إلى ذلك يلفت نظرنا تصريف الأفعال: فالفعل "مات" قد صُرِّف في الماضي التامّ بتدرّج زمنيّ معناه: الموت مع المسيح يعني اليوم الصبر والاحتمال؛ أمّا الفعل "سنحيا" (συζήσομεν) فقد صُرِّف في زمن الحاضر على خلاف رو ٦: ٤–٦، لأنّ "هدف الكاتب ما عاد الحياة الحاضرة أو حياة النعمة"[٩]، بل المشاركة في الملكوت، وذلك بغية تصحيح التأويل الخاطىء الذي سبق وذكرناه، والذي يزعم بأنّ القيامة تَمّت كفعل ماض (٢ تم ٢: ١٨)[١٠]. فيكون الكاتب بذلك قد أكّد على أنّ الإيمان المسيحيّ يرتكز على قيامة المسيح، الوحيدة التي تَمّت واكتملت، في حين أنّ قيامة المؤمنين لم

(٧) P.H. TOWNER, «Goal», p. 104; SPICQ; HANSON

(٨) Y. REDALIE, *Paul après Paul…*, p. 194

(٩) É. COTHENET, *Les épîtres pastorales*, Cahiers Évangile, n. 72, Cerf, Paris, 1990, p. 37

(١٠) P.H. TOWNER, Goal, p. 104

تكتمل بعد (لا بدّ من الانتباه هنا إلى التناقض الفاضح بين فعلَي الموت والحياة الذي تكلّمنا عليه سابقًا).

آ ١٢أ: "إنْ صبرنا، سنملك أيضًا معه".

مَن شارك بآلام المسيح، شارك هذا الأخير في المجد (رو ٨:١٧)؛ لا تنفكّ هذه الآية تردِّد التقليد الإنجيليّ الذي يذكر وعود المسيح للذين يتخلّون عن كلّ شيء فيتبعونه (رج مت ١٩: ٢٨؛ لو ٢٢: ١٨-٣٠).

أضف إلى ذلك أنّنا نجدُ صدى الإشارة إلى "المُلْك مع المسيح" (συμβασιλεύσομεν) في رؤ ٢٠: ٤-٦ حيث الشهداء يملكون مع المسيح لفترة "ألف سنة"، وهذا دليلٌ آخر على الطابع النُّهيويّ / الإسكاتولوجيّ والاستشهاديّ لهذا النشيد.

أمّا إذا قمنا بمقارنة هذه الآية مع آ ١١ب، فإنّنا نجدُ توازيًا واضحًا (συναπεθάνομεν//ὑπομένομεν) مفادُه أنّ الصبر يشكّل نوعًا من أنواع الموت مع المسيح، كما أنّ الملك معه ليس سوى مشاركته الحياة الأبديّة والقيامة.

آ ١٢ب: "إن أنكرناه فذاك سينكرنا".

تتضمّن هذه الآية تعبيرًا قاسيًا بالنسبة إلى مضمون النشيد، ممّا يدفَعنا إلى اعتبارها قد أُضيفَت إلى النشيد الأصليّ من أجل ردع المؤمنين عن الابتعاد عن الحقّ (٢ تم ٢: ١٨)، أو التذرّع بالحصول على سرّ المعموديّة كَواقٍ من الضعف أو كحوازٍ للخلاص. ولا ريب أنّ مضمون هذه الآية مُقتَبَس من أقوال المسيح الحقيقيّة (*Logia*) بخصوص الإنكار، والتي نجدها عند الإزائيّين، مثل مت ١٠: ٣٣؛ لو ١٢: ٩. تتكلّم هذه الآيات على شريعة المثل بالمثل الإسكاتولوجيّة، والتي مرادُها تشجيعُ المؤمنين على الثبات رغم المحن، لأنّه ليس هناك أيّ ضمانة بالخلاص سوى الإيمان بيسوع المسيح والأمانة له.

آ ١٣: "إن كنّا غير أمناء، ذاك يبقى أمينًا، لأنّه لا يستطيع أن ينكر نفسه".

دفع الأسلوب والنبرة القاسيَين في آ ١٢ب البعض إلى إعطاء هذه الآية أيضًا معنىً قاسيًا، معنى التهديد، ففسّروها على النحو التالي: إن كنّا غير أمناء، بقي الله "أمينًا"، أي صارمًا في حكمه، عادلاً في دينونته (بمعنى العدالة التي تكافىء الإنسان القويم وتعاقب غير الأمين). لكنّ كلمة "أمين" (πιστὸς) لا تأخُذ أبدًا هذا المعنى في العهد الجديد، كما هي الحال استثنائيًّا في خر ٣٤: ٦-٧؛ تث ٧ : ٩-١٠، بل تندرج عند بولس ضمن لاهوت العهد لتُفيد أوّلاً بأنّ الخلاص لا يعتمد على البشر، ولتؤكّد ثانيًا أنّ إرادة الربّ مستمرّة لخلاص البشر رغم أخطائهم. إذًا لا يمكن لعدم أمانة الإنسان أن تغيّر شيئًا في أمانة الله (رج رو ٣: ٣؛ ١ كو ١: ٩؛ الخ)، ويبقى بالتالي وعدُ الربّ بالخلاص قائمًا رغم كلّ شيء (٢ تم ٢: ٢٥-٢٦)؛ فالربّ هو صخرة إسرائيل (تث ٣٢: ٤) والأمانةُ صفةٌ أساسيّة من صفاته، فهو لا يكذب (تي ١: ٢)، ولا يتراجع بكلامه (عد ٢٣: ١٩)، وقد أظهر لنا ذلك جليًّا في شخص ابنه يسوع الذي يبقى "هو هو اليوم أمس وإلى الأبد"، وبالتالي لا يمكن إذًا لخطيئة الإنسان أن تكون دافعًا لليأس، ولكنّها تبقى "السبيل" الذي من خلاله تعمل نعمة الربّ الخلاصيّة، وتفعل في قلب الإنسان (رو ١١: ٣٢؛ ٢ تم ١: ٩). أمّا على الصعيد الأدبيّ الشعريّ، فتأتي هذه العبارة لـ "تكسرَ" إيقاع النشيد، ولذلك مدلولُه اللاهوتيُّ، ألا وهو أنّ أمانة الربّ "تكسِر" كلَّ توقّعٍ أو منطقٍ بشريّ.

باختصار يمكننا القول بأنّنا، عند قراءتنا لهذا النشيد، نجد أنفسنا أمام كاتب مُوقنٍ بالأناجيل وببعض الرسائل وبكتاب الرؤيا، فاختار بعضها (لو ١٢: ٩؛ رؤ ٢٠: ٤-٦)، وغيَّر في بعضها الآخر (رو ٦: ٨) لتتلاءم مع هدفه ونواياه وإطار الرسالة، مشكّلاً بذلك نشيدًا كريسولوجيًّا يُعبِّر أحقّ التعبير عن خبرة الجماعات المسيحيّة الأولى.

خاتمة

يبني كاتب الرسالة كلّ هذا المقطع

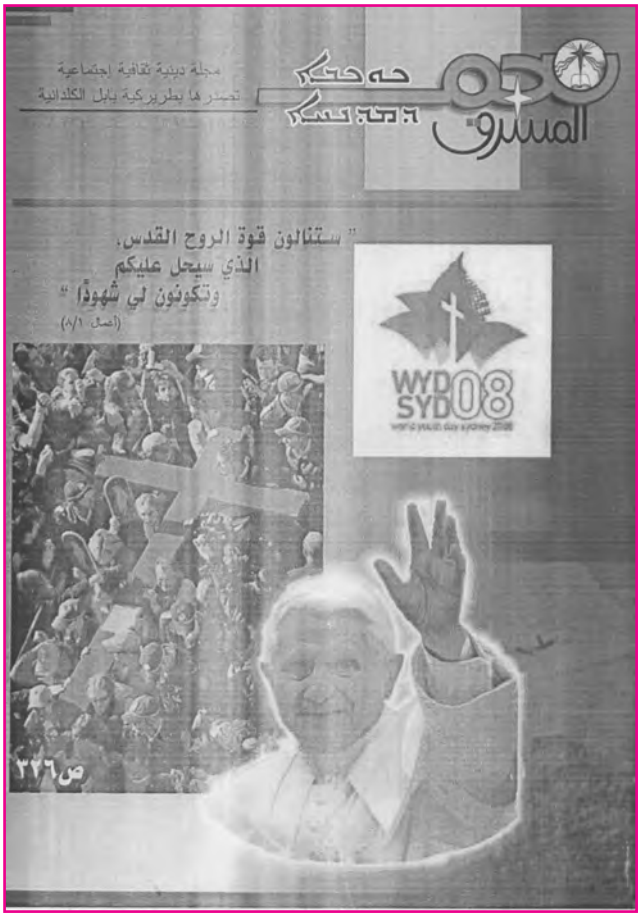
المسرة
مجلة دينية ثقافية اجتماعية
تصدرها بطريركية بابل الكلدانية
" ستنالون قوة الروح القدس،
الذي سيحل عليكم
وتكونون لي شهودًا "
(أعمال ١/٨)
WYD SYD 08
ص ٢٢٦

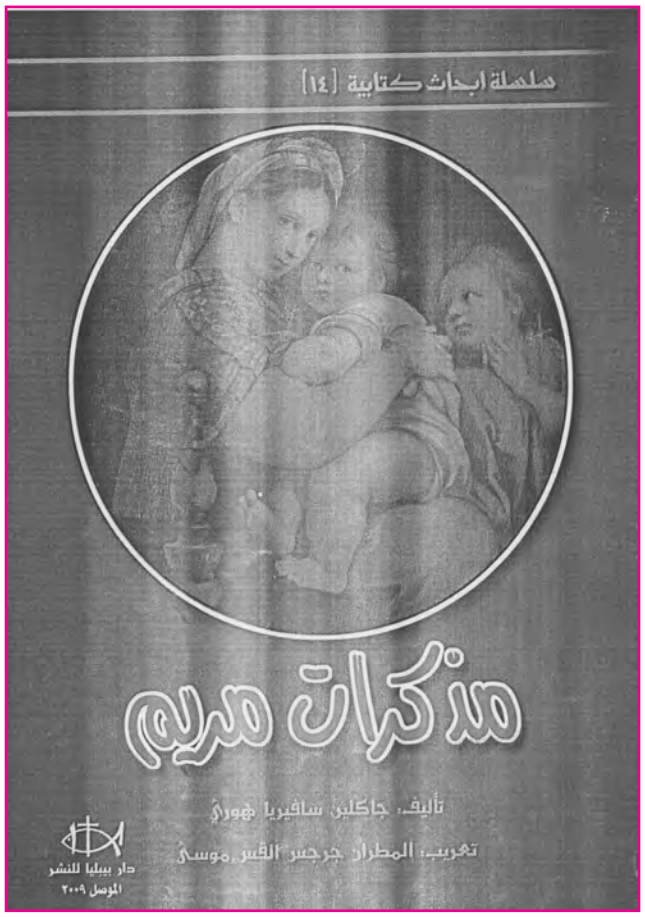
سلسلة ابحاث كتابية [١٤]
مذكرات مريم
تأليف: جاكلين سافيريا شوري
تعريب: المطران جرجس القس موسى
دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠٠٩

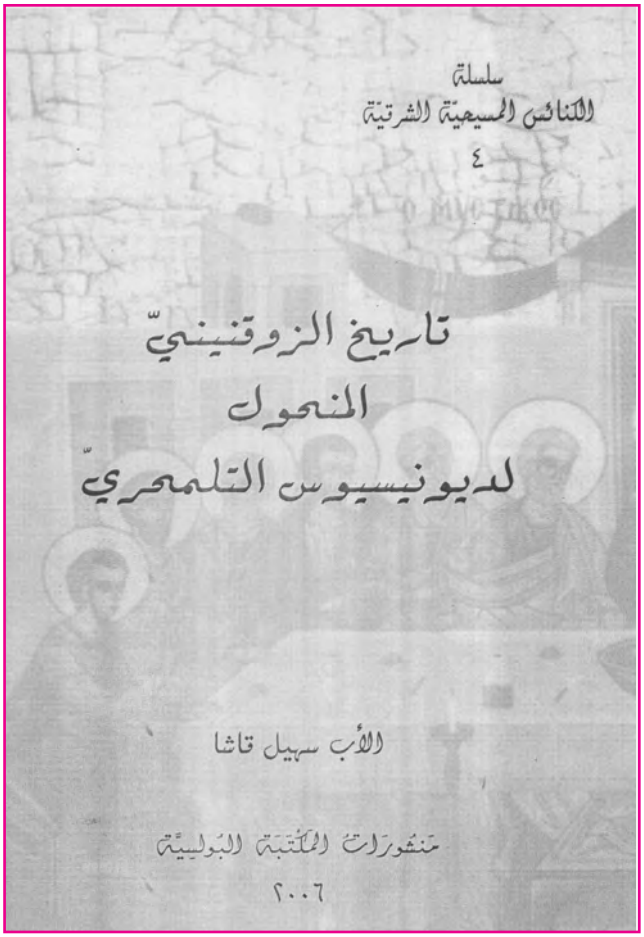
سلسلة
الكنائس المسيحية الشرقية
٤
تاريخ الزوقنينيّ
المنحول
لديونيسيوس التلمحريّ
الأب سهيل قاشا
منشورات المكتبة البولسية
٢٠٠٦

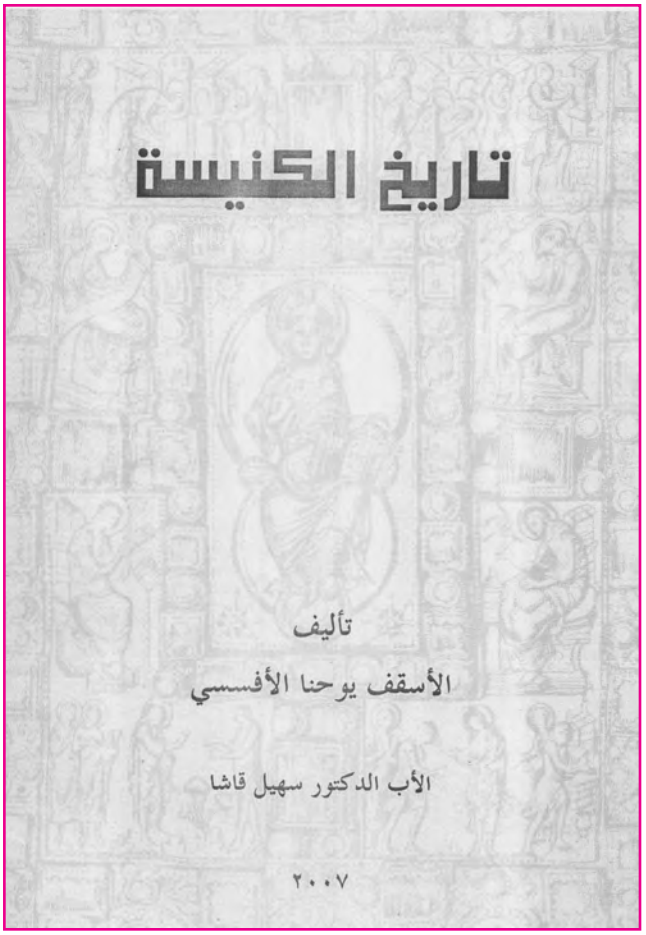
تاريخ الكنيسة
تأليف
الأسقف يوحنا الأفسسي
الأب الدكتور سهيل قاشا
٢٠٠٧

المراجـــــع

بولس الفغالي، "رسالة القدّيس بولس إلى تلميذه فيلمون"، **بولس ورسائله**، سلسلة دراسات بيبلية ٢٣، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠٠١، ص ٢٩١–٢٩٣.

BARCLAY John M. G., "Paul, Philemon and the Dilemma of Christian Slave-Ownership", *NTS* 37 (1991) 161-186.

BRUCE F. F., *The Epistles to the Colossians, to Philemon, and to the Ephesians*, Grand Rapids, Eerdmans, 1984.

COLLANGE C. F., *L'épître de saint Paul à Philémon*, CNT 2e série 11c; Genève, Labor et Fides, 1987.

CARREZ M. et alt., *Lettres de Paul, Jacques, Pierre et Jude*, La petite bibliothèque des sciences bibliques, NT 3, Desclée, Paris 1983, pp. 712-220.222.

ELLIOTT John H., "Philemon and House Churches", *BT* 22/3 (1984) 145-150.

GETTY Mary Ann, "The Letter to Philemon", *BT* 22/3 (1984) 137-144.

LEGASSE Simon, *L'épître aux Philippiens. L'épître à Philémon*, Cahiers Évangile, n. 33, Cerf, Paris 1980.

DAUB David, "Onesimos", *HTR* 79/1-3 (1986) 40-43.

LEHMANN R., *Épître à Philémon. Le christianisme primitif et l'esclavage*, Genève, Labor et Fides 1978.

LOHSE E., *Colossians and Philemon*, Hermenia, Philadelphia, Fortress, 1971.

WINTER S. C., "Paul's Letter to Philemon", *NTS* 33 (1987) 1-15.

WRIGHT N. T., *Colossians and Philemon*, TNTC, Leicester, Intervarsity, 1986.

على فكرة أساسيّة هي "الأمانة"، (πιστὸς) فالآيات ٨–١٠ تُخبِر عن "أمانة" الرسول عبر احتماله الآلام؛ ثمّ تأتي آ ١١–١٢ لتدعو كلَّ مؤمن إلى "الأمانة" ليسوع من خلال الصبر حتى الموت؛ فتختِم آ ١٣ بتأكيدٍ على أمانة الربّ يسوع رغم كلّ شيءٍ. كلُّ هذا من أجل تحريض المؤمن على الأمانة؛ لذلك يمكن إيجاز هذا المقطع بالعنوان التالي: **الأمانة للمسيح الأمين**.

المراجـــع

بولس الفغالي، **رسالة القدّيس بولس الثانية إلى تلميذه تيموتاوس**، سلسلة محطّات كتابيّة ٢٢، الرابطة الكتابيّة، لبنان ٢٠٠٠.

بولس الفغالي وأنطوان عوكر، **العهد الجديد، ترجمة بين السطور**، الجامعة الأنطونيّة، لبنان ٢٠٠٣.

DORNIER P., *Les épîtres pastorales*, Sources bibliques, Gabalda 1969.

FARMER W., *The International Bible Commentary*, The Liturgical Press, Collegeville, Minnesota 1998.

KARRIS R., *The Collegeville Bible Commentary*, New Testament, The Liturgical Press, Collegeville, Minnesota, 1992.

REDALIE Y., *Paul après Paul*, coll. Le monde de la Bible, Labor et Fides, Genève 1994.

REUSS J., *Les deux lettres à Timothée*, coll. Parole et prière, Desclée, 1963.

REYNIER C. et TRIMAILLE M., *Les épîtres de Paul*, III, Bayard 1997.

SPICQ P.C., *Saint Paul, les épîtres pastorales*, Gabalda 1947.

٢ تم ٣: ١-٩

تحذير من أخطار الأيّام الأخيرة

الخوري أنطوان مخايل
أستاذ مادّة اللاهوت العقائديّ، جامعة الروح القدس – الكسليك

موضوع المعلّمين والأنبياء الكذبة هو موضوع شائع في الأدب البيبليّ والرؤيويّ: في الأزمنة الأخيرة، يبلغ الشرّ ذروته، والأشخاص الفاسدون يكثر عددهم. أمام خبث البشر، وخداع المعلّمين الكذبة، يدعو بولس تلميذه تيموتاوس، في هذا المقطع، إلى الحفاظ على ثقته بأنّ "الأساس الراسخ الذي وضعه الله يبقى ثابتًا" (٢ تم ٢: ١٩). فانتفاضة قوى الشر في الأزمنة الأخيرة هذه، قد تمّ إعلانها مسبقًا: إنّها جزء من تصميم سرّيّ، ولا يجب بالتالي أن تحبط الرسول.

كان بولس قد عالج موضوع المعلّمين الكذبة والأنبياء الدجّالين سابقًا[1]، وها هو يعود إليه من جديد، ممّا يعني أنّه لا يزال مطروحًا، وأنّ هؤلاء الأشخاص لا يزالون يؤثّرون بشكل سلبيّ على حياة الجماعة. لا يكشف بولس هنا شيئًا عن أمور جديدة ، بل يكتفي بدعوة تيموتاوس ليكون أكثر حذرًا من أمور يعرفها قبلاً.

من حيث التركيبة يشبه هذا النصّ النصوصَ الأخرى التي تعالج الموضوع نفسه في الرسائل الرعويّة، من حيث منحاه التحذيريّ والتحريضيّ؛ ولكنّه يتميّز بأنّ بولس يستعمل فيه مجموعة من التعابير تَرِدُ للمرّة الوحيدة في العهد الجديد أو في الرسائل البولسيّة، ممّا يجعل منه نصًّا فريدًا، ويوحي بحساسيّة المسألة التي يعالجها، وخطورتها، وضرورة حلّها.

١. طبيعة الأزمنة الأخيرة

تشير عبارة "الأزمنة الأخيرة" (أع ٢: ١٧؛ يع ٥: ٣؛ ٢ بط ٣:٣)، التي لا تَرِدُ في مكان آخَر من الرسائل البولسيّة، إلى الزمن الذي يسبق مباشرة مجيء المسيح الثاني (أنظر ١ تم ١: ٤). كما في التقليد الرؤيويّ اليهوديّ، ستكون الأيّام الأخيرة أيّامَ "أزمنة عسيرة" (χαλεπός عبارة ترد هنا وفي مت ٨: ٢٨ فقط)، أزمنة شدّة وضيق وشرور، يصعب على الرسول وعلى المؤمنين تحمّلها (رج أف ٥: ١٦). والسيّد المسيح نفسه كان قد أوحى مسبقًا بأنّ جحوداً عامًّا يسبق مجيئه الثاني (لو ١٨: ٨؛ مت ٢٤: ١٠-١٢). يبدو أن هذه الأزمنة قد بدأت (عب ١: ٢)، وعلى تيموتاوس أن يرى هذه البداية في فساد التعليم والأخلاق. لا يقول الرسول شيئًا عن مدّة هذه الأيام، لكنّ استعماله الأفعال بصيغة المضارع يوحي بأنّنا نختبر طلائعها فقط، وبأن زمن الشدّة هذا سيكون طويلاً.

من بين الإضطّهادات الكثيرة التي ستنزل بالمؤمنين (أنظر مت ١٠: ١٧-٢٢؛ ٢٤: ٩؛ يو ١٥: ٢٠؛ ١٦: ٢)، يشدّد النصّ على تنامي الخطيئة[2]. ففي الأيّام

(١) رج مقالتنا حول ١ تم ٤: ١-٧ في **مجلة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٥٥-٦٠؛ رج ٢ تم ٢: ١٤-٢٠.

(٢) موضوع شائع في كتب العهد الجديد: مت ٢٤: ٥، ١٢؛ لو ١٨: ٨؛ ٢ تس ٢: ٩-١٢؛ ٢ بط ٢: ١-٣؛ ١ يو ٢: ١٨-١٩؛ ٤: ١-٣؛ يه ١٨؛ رؤ ١٢: ٩؛ ١٣: ٤؛ ١٩: ٢٠؛ ٢٠: ٧-٨. وفي كتاب **عهد الآباء الإثني** عشر نقرأ: "إعلموا، يا أولادي أنّه، في الأيّام الأخيرة، سيترك أبناؤكم البساطة، ويتمسّكون بشهوات لا تُشبع، ويتخلّون عن البراءة ويغرقون في الرذائل؛ ويرفضون وصايا الربّ ويتمسّكون ببليعال" (أنظر أيضًا موضوع الصراع بين أبناء الظلمة وأبناء النور في كتابات قمران).

١١ – ثقة بولس بفيلمون

"أجل، أخي، إنّي لأبتغي أن تنفحَني بخدمة في الرّبّ، فاشرحْ صدري في المسيح" (آ ٢٠)؛ ويضيف: "لقد كتبت إليك، وأنا واثقٌ بطاعتك" (آ ٢١). عاد بولس من جديد ليؤكّد على أنّه هو المرجع، وهو الرسول، أمّا فيلمون، فهو مؤمن متعلّق ببولس وتحت سلطانه؛ لذلك هو يعبّر له عن ثقته بأنّه سيلبّي سؤلَه بصريح العبارة: "أنا عالم أنّك ستفعل أكثر ممّا أقول" (آ ٢١). يتكلّم بولس إلى أخ حبيب، إلى شخص يثق به.

يحاول بولس الأسير أن يحرّر أونسيموس الأسير، خاصّةً وأنّه اختبر الأسرَ القاسي، وبالتالي فهو يسكب كلَّ حنانه على أسيرٍ بإمكانه أن يحرّره، ويخاطب بحنانه الأبوي أيضًا فيلمون الحبيب.

ولأنّه أسير ويرجو أن ينال هو أيضًا الحرّيّة ويعود الى أحبّائه، طلب من فيلمون بكلّ دالّة وثقة قائلاً: "أعددْ لي منزلاً، فإنّي أرجو بصلواتكم أن أوهب لكم" (آ ٢٢).

١٢ – الرسالة شخصية وجماعيّة

لقد كتبَ بولسُ الرسالةَ إلى فيلمون بخطّ يده (آ ١٩)، وشاءها **رسالةً شخصيّةً**، أي إلى شخص معلوم الهويّة، اسمه فيلمون، وفي الوقت عينه **جماعيّة**، أي إلى الكنيسة التي في بيت فيلمون (آ ٢)، كون موضوعها يهمّ الكنيسة بأسرها[٤]. إنّها بالتأكيد تحفة رائعة، غنيّة بالإيمان، وعابقة بالعاطفة، وتنمّ عن حسن تدبير للأمور؛ فهي تتضمّن توصية بأونسيموس، وتشفّعًا به، وتوسّطًا من أجله لدى فيلمون، وهذا الأمر كان مألوفًا في الكنيسة الأولى (أنظر رو ١٦: ١؛ ٢ كو ٣: ١–٢؛ كول ٤: ١٠؛ ٣ يو ٩–١٠ و١٢). لقد كان فرار العبيد من بيوت مواليهم أمرًا رائجًا.

وبالرّغم من أنّ الرسالة محصورة بمسألة فرديّة معيّنة، فإنّها ذات **طابع رسوليّ**[٥]، كغيرها من الرسائل، كتبها بولس وهو "أسير" (آ ١، ٩، ٢٣)، لتُقْرأ في الجماعة (آ ٣، ٢٥). هي تعجّ بالكلمات التي تعبّر عن المحبّة: "حبيبنا" (آ ٢)، "أخ حبيب" (آ ١٦)، "محبّتك" (آ ٥، ٧)، "المحبّة" (آ ٩)، الخ؛ بكلمة "حبيبنا" (آ ١)، اعتاد بولس أن يعبّر عن محبّته للمؤمنين (رو ١: ٧؛ ١ كو ١٠: ١٤؛ ١٥: ٥٨؛ ٢ كو ٧: ١؛ ١٢: ١٩؛ فل ٢: ١٢؛ ٤: ١)؛ وفي هذه الرسالة تشديد خاصّ على موضوع المحبّة (آ ٥، ٧، ٩، ١٦) التي تشكّل مفتاح الحلّ لمسألة أونسيموس مع فيلمون سيّده، ونهجًا كنسيًّا لصالح أولاد الكنيسة أجمعين[٦].

خلاصة

ما قيل في هذه العجالة، إنّما هو مدخل إلى فهم الرسالة. يبقى أن نغوص في عمق الموضوع، ونتوقّف عند كلّ كلمة، ونشرحها ونضعها في الإطار العامّ، ونُبرِزَ التصميم، لنبلغ إلى المعنى البيبليّ واللاهوتيّ والروحيّ للرسالة.

من خلال هذه الآيات القليلة يعلّمنا بولس أمورًا رائعة وسامية: الحرّيّة هي للجميع، فليس هناك عبد وحرّ، ولا يونانيّ أو يهوديّ، لا أسكوتيّ أو أعجميّ؛ لقد أصبح الجميع بالمسيح متساوين. لذلك أخذت هذه الرسالة أهمّيّة كبيرة في تاريخ الكنيسة، خاصّة لدى الطبقات المناضلة للحرّيّة.

(٤) John H. ELLIOTT, "Philemon and House Churches", *BT* 22/3 (1984) 145-150.

(٥) F. F. BRUCE, *The Epistles to the Colossians, to Philemon, and to the Ephesians*, Grand Rapids, Eerdmans, 1984; C. F. COLLANGE, *L'épître de saint Paul à Philémon*, CNT 2e série 11c; Genève, Labor et Fides, 1987; M. CARREZ et alt., *Lettres de Paul, Jacques, Pierre et Jude*, La petite bibliothèque des sciences bibliques, NT 3, Desclée, Paris 1983, pp. 712-220.222.

(٦) Mary Ann GETTY, "The Letter to Philemon", *BT* 22/3 (1984) 137-144.

على مثال بولس وفيلمون، إبنَ الإيمان، وبالتالي كلُّه إفادة وخير للاثنين معًا: "إنّني أرجعه إليك، إيّاه هو حُشاشتي" (آ ٢١)؛ يعيدُ بولس أونسيموس، لأنّه كان قد فرّ من عند فيلمون، وقد صار "حُشاشته"، أو "قلبه"، دلالةً على أعمق المشاعر وأطيبها.

٧ – التخلّي الكبير

"كنت أحبّ أنا نفسي أن أبقيه عندي، ليقوم مقامك، بخدمتي في سلاسل الإنجيل" (آ ١٣). بتخلّي بولس عن أونسيموس، هو يقوم إذًا بفعل تجرّد، وإماتة، وتضحية، حبًّا بفيلمون، مع أنّه كان يتمنّى أن يبقيه معه، خاصّة وأنّه قد صار ابنَه بالايمان، وأصبح بالتالي مرتبطًا به برباط المحبّة الشديدة، لكنّه الآن يتخلّى عنه لصالح فيلمون. "لم أشأ أن أفعل شيئًا من دون موافقتك، لئلاّ يكون إحسانك اضطرارًا بل طوعًا" (آ ١٤). حتّى ولو كانت لبولس دالّة على فيلمون، وباستطاعته أن يُبقيَ أونسيموس عنده، فإنّه يتوسّل إليه، لأنّه لا يريد أن يفعل دون رضاه.

٨ – من عبد فارّ إلى أخ حبيب

"ربّما فُصلَ عنك لوقت، لكي تحوزَه الى الأبد" (آ ١٥). إنّ سبب انفصال أونسيموس عن فيلمون هو هرب الأوّل، ربّما لأنّه كان يشعر أنّ حقوقه مهضومة، أو أنّه عبد مأسور؛ ولكنّه، بعد أن ولده بولس في المسيح، أصبح له ولفيلمون إلى الأبد، لأنّه لم يبقَ ما يفصلُ بينهم، بل صاروا جميعهم جسدًا واحدًا في المسيح. يكرّر بولس هنا الفكرة ذاتَها التي وردت في الرسالة إلى كولوسّي، "لا عبد، بل أيضًا أرفع من عبد، أخ وحبيب" (آ ١٦)، ممّا يعني أنّه باستطاعة المسيحيّ أن يكون حرًّا، حتّى ولو كان مقيّدًا بالسّلاسل ومرميًّا في غياهب السّجون أو مقيّدًا بالعبوديّة.

٩ – من العبوديّة إلى الحرّيّة

تنبع الحريّة من الدّاخل، لأنّ الله هو مصدرها؛ فإذا كان المؤمن في علاقة حميمة مع الله، فإنّه يبقى دائمًا في السعادة والحرّيّة، مهما ضايقه المضايقون أو اضطّهده المضطّهِدون، لأنّ محبّة المسيح تنتصر فيه وتنصره، لأنّ له "حرّية أبناء الله"، ولأنّ "حياته هي المسيح"، فلا مكانَ بالتالي للخوف عنده. يردّ بولس أونسيموس، ليس كعبد، بل أرفع من عبد: أخًا حرًّا وحبيبًا. إنّها المرّة الثانية التي يستعمل فيها بولس كلمتَي "أخ وحبيب" (آ ١٦)، لذا قال لفيلمون: "إذا كنت تحسبني شريكًا، فاقبله كما تقبلني" (آ ١٧). يرفع بولس هذا الإنسان الذي كان عبدًا وهاربًا، أي مخالفًا، إلى مستواه هو بالذات؛ فالإثنان محرَّران بالمسيح، ولذلك فهو يرجو فيلمون أن يقبل عبدَهُ، كما لو كان يقبل الرسولَ بالذّات. ويذهب بولس إلى النهاية في تحرير فيلمون، ليس فقط من الإساءة، بل أيضًا من الدَين المالّي: "أمّا إن كان قد أساء إليك، أو كان مديونًا لك، فاحسبْ ذلك عليّ" (آ ١٨). ويضيف: "أنا أوفي (إذا كان هناك من دَيْن)، لئلاّ أقول إنّك أنت مديون لي حتّى بنفسك" (آ ١٩)؛ تدلّ هذه الكلمات على الدّالة التي كانت لبولس على فيلمون، مع هذا، فإنّه يسأله ما يسأل بالتوسّل.

١٠ – بالمسيح بَطُلَت العبوديّة

يحدّد بولس هويّةَ المعمَّدين بأنّهم خلق جديد: "فَمَنْ هو في المسيح هو خلقٌ جديد: ذهبَ العتيقُ، وصارَ خلقٌ جديد" (٢ كو ٥: ١٧). في هذا الواقع الجديد، بَطُلَتْ الفروقاتُ والمقاماتُ التي كانت تتقاسم مجتمعَ ذاك الزّمان، لصالح مساواة رائعة في المسيح: "لا يهوديّ بعدُ ولا يونانيّ، لا عبدَ ولا حرّ، لا ذَكَرَ ولا أنثى، فإنّكم واحدٌ في المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٨)؛ "فنحن، يهودًا ويونانيّين، عبيدًا وأحرارًا، عُمِّدنا جميعًا جسدًا واحدًا، وسُقينا جميعًا روحًا واحدًا" (١ كو ١٢: ١٣)؛ "فلا يونانيَّ بعد ولا يهوديَّ، لا ختانةَ ولا قلفةَ، لا أعجميَّ ولا إسكوتيّ، ولا عبدَ ولا حرّ، بل المسيحُ هو الكلُّ وفي الكلّ" (كول ٣: ١١).

الأخيرة، سيعمّ الفساد البشريّة بأسرها، وهو ما تؤكّد عليه لائحة الرذائل الطويلة (١٩ رذيلة)[٣] التي يعدّدها بولس في الآيات ٢–٤، والتي يبدو أن لا رابطًا منطقيًّا بينها سوى ترتيبها على شكل أزواج متناغمة لفظيًّا (يظهر هذا واضحًا في الأصل اليونانيّ). تبرز هذه اللائحة خطايا الجسد وخطايا الروح على حدّ سواء، وفيها يتقصّد الرسول الإكثار من أنواع الرذائل ليحدث صدمة، وليبيّن جسامة الموقف. نحن أمام أشخاص خطرين لا يلقون اعتبارًا لا لله ولا لأيّة شريعة طبيعيّة كانت أم إلهيّة.

٢. حبّ الذات أصل كلّ الشرور

يفتتح بولس سلسلة الرذائل التي يقترفها البشر عمومًا بحبّ الذات" (φίλαυτος بتناقض مع "حبّ الله" (φιλόθεος في آ ٤)، ممّا يعني أنّ السبب العميق لكلّ الخطايا هو رفض الإنسان لوضعه كمخلوق، وجعله من نفسه قاعدة لنفسه (تك ٣). بالتالي يضع الرسول حبّ الذات في مصدر كلّ الرذائل. وأحد مظاهر هذه الأنانيّة هو حبّ المال (استعمال وحيد في العهد الجديد؛ رج لو ١٦: ١٤) الذي هو بدوره "أصل كلّ شرّ" (١ تم ٦: ١٠)، لأنه يعبّر عن الكبرياء (١ يو ٢: ١٦). فكلّ من يحبّ المال هو عابد وثن (أف ٥: ٥).

الأشخاص المتلئون من ذواتهم يميلون، كما الفريّسيّ في لو ١٨: ١١، إلى الاعتداد بأنفسهم. إنهم متبجّحون (ἀλαζόνες هنا في ٢ تم ٣: ٢، وفي رو ١: ٣٠ فقط) ومتكبّرون (ὑπερήφανοι، ٢ تم ٣: ٢؛ رج رو ١: ٣٠؛ لو ١: ٥١؛ يع ٤: ٦؛ ١ بط ٥: ٥)، يهوون المظاهر وتحقير الآخرين[٤]. فالأشخاص الذين يرفضون كلّ ما عداهم، لا يمكنهم أن يمتلكوا روحًا دينيًّا أصيلاً. إنّهم مجدّفون (أنظر ١ تم ١: ١٣؛ أع ٦: ١١؛ ٢ بط ٢: ١١)، يمتهنون تحوير الأمور وتحريف الحقائق؛ عاصون لوالديهم، وهذا هو الجحود الأكبر، متمرّدون (رج رو ١: ٣٠؛ تي ١: ١٦؛ ٣: ٣)، ناكرو الجميل (ἀχαρίστοι هنا وفي لو ٦: ٣٥ فقط)، وفُجّار (كما في ١ تم ١: ٩ حيث تعني العبارة "مُدنّسيّ المحرّمات"). ترتبط كلّ هذه الرذائل بحبّ الذات المفرط، بحيث يصبح أناس الأزمنة الأخيرة بلا قلب (ἄστοργοι) وبلا رحمة (ἄσπονδοι)، عبارتان لا تردان إلا في رو ١: ٣١. فبسبب تحجّر قلوبهم وقساوتها، لا يستطيع هؤلاء الأشخاص أن يتمتّعوا بعواطف بشريّة. فماذا يحبّون؟ أنفسهم والمال. وماذا يقدّرون؟ ذواتهم وسلطتهم واستقلاليتهم. وماذا يرفضون؟ والديهم، وطاعة الله، والاعتراف بالجميل وكلّ خير.

بالتالي لا يمكن الوثوق بمثل هؤلاء الأشخاص، والدخول في علاقة ثابتة معهم. أضف إلى ذلك، أنهم نمّامون (كما في ١ تم ٣: ١١؛ تي ٢: ٣)، يشيعون أخبارًا كاذبة عن القريب، ليثيروا الخلافات؛ ومفرطون (ἀκρατεῖς، عبارة ترد هنا للمرّة الوحيدة في العهد الجديد، والمقصود بها أنّهم يفقدون السيطرة على ذواتهم، ويطلقون العنان لأهوائهم، سواء في معنى الفجور أو في معنى الخبث)؛ وشرسون (عبارة تذكّر بالوحوش الخبيثة في تي ١: ١٢). هذا ما يقودهم إلى خيانة إخوتهم (آ ٤؛ إستعمال وحيد في العهد الجديد؛ رج لو ٦: ١٦؛ مت ٢٤: ٩؛ أع ٧: ٥٢)، والادّعاء عليهم أمام السلطات الوثنيّة، والتهوّر الذي يقود إلى الغرور وعدم اعتبار أيّ شيء أمام تحقيق الغاية. والسبب الرئيسيّ لكلّ هذه الرذائل هو إشباع اللذّة (بعودة إلى آ ٢)؛ فمن الطبيعيّ ألاّ يكون هؤلاء أصدقاء الخير والصلاح، وألاّ يحبّوا الله بل ذواتهم فقط.

٣. الرياء ميزة المعلّمين الكذبة

تختتم آ ٥ تعداد رذائل هؤلاء الأشخاص بالرذيلة الأسوأ: الرياء الذي

(٣) نجد لائحة شبيهة في رو ١: ٢٩–٣١؛ ٢ كو ١٢: ٢٠–٢١؛ غل ٥: ١٩–٢١؛ ١ تم ١: ٩–١٠، ولدى فيلون الإسكندري، وفي كتابات قمران.

(٤) النموذج البيبليّ لهؤلاء هو أنطيوخوس إبيفانوس (٢ مك ٩: ٧ حيث يضحي التكبّر "تعجرفًا").

يتوّج زحمة الرذائل هذه، ويشكّل عقدة الأفاعي، ولباس التقوى والتديّن. يبدو الطباق قويًّا بين "المظهر الخارجيّ" (μόρφωσιν؛ أنظر رو ٢: ٢٠)، و"حقيقة الداخل" (حرفيًّا "قوّته"، δύναμιν)[٥]. تتكلّم الرسائل الرعويّة على التقوى بصفتها قوّة تعمل من داخل الإنسان لتحوّل حياته بالكليّة؛ فالمؤمن قَبِلَ "روح القوّة" (٢ تم ١: ٧؛ رج أع ١: ٨) الذي يقوده (رو ٨: ١٤)، ويحييه (غل ٥: ٢٥)، ممّا يجعل من التصرّف الخارجيّ غير ذي قيمة ما لم يعبّر عن ديناميّة الروح، ما لم يكن "ثمرة الروح" (غل ٥: ٢٢). فإذا ظهر التبشير الرسوليّ فعّالاً، فلأنه تمّ بقوّة الروح، وهذا ما يميّزه عن أيّ كلمة بشريّة أخرى (١ كو ٢: ٥). أمّا الأنبياء الكذبة فرسالتهم عقيمة لأنّهم لا يملكون من هذه القوّة سوى ظاهرها المُخادع. من جهته، كان تقليد الأناجيل قد حذّر المؤمنين من رياء الأنبياء الكذبة الذين يشبهون القبور المكلّسة، ويأتون "في لباس الخراف، وهم في باطنهم ذئاب خاطفة" (مت ٧: ١٥؛ ٢٣: ٣؛ أنظر أع ٢٠: ٢٩). وكلّنا يعلم بأي قوّة قرّع يسوع الفريسيّين على ريائهم في مت ٢٣ (أنظر أيضًا رو ٢: ١٧–٢٣؛ تي ١: ١٦). إن التصرّف على مثال المعلّمين الكذبة يعني التنكّر لجوهر رسالة الإنجيل الحقيقيّة ("أنكر"، كما في ١ تم ٥: ٨؛ ٢ تم ٢: ١٢؛ تي ١: ١٦؛ ٢: ١٢).

ممّا يزيد في خطورة هؤلاء المرائين، هو أنّهم يعيشون في قلب الجماعة، متظاهرين بممارسة الحياة المسيحيّة الحقّة. لهذا السبب، لا يمكن النقاش معهم، وعلى تيموتاوس أن "يُعرض" عنهم (ἀποτρέπου). إنها المرّة الوحيدة التي يستعمل فيها هذا الفعل القويّ في العهد الجديد؛ وهو لا يعني مجرّد تجنّب هؤلاء الأشخاص، بل الهرب منهم كما من وحوش برّيّة أو مرضى معدّيين. وبما أن صيغة الفعل هي في الحاضر، فهذا يعني أنّ على الرسول أن يمتنع، منذ الآن، عن أي علاقة معهم.

٤. خطورة التعاليم الجديدة

في آ ٦ و٧، يوضح بولس لتلميذه لماذا عليه أن يهرب من المرائين؛ فمن كثرة اعتيادهم على الرياء، لا يجرؤ هؤلاء على الظهور علنًا في الجماعة (حيث يسهل فضحهم)، بل "يتسلّلون إلى البيوت" (استعمال فريد في العهد الجديد) وهو ما يشير إلى رغبتهم في تجنّب المراقبة، ليستطيعوا بسهولة تعليم النساء في غياب أزواجهنّ ومسؤوليّ الكنيسة[٦]. إنّ استعمال بولس للتصغير "نسيّات" هو استعمال للتحقير أراده الرسول للتشديد على سرعة عطب تلك المستمعات الفكريّة والأخلاقيّة، مما يجعلهنّ طرائد سهلة في أيدي المعلّمين الكذبة الذين يستعملون معهنّ استراتيجيّة الإغواء الناجحة (رج روم ٧: ٢٣؛ ٢ كو ١٠: ٥؛ في المعنى نفسه، يلمّح بولس، في ١ تم ٢: ١٤، إلى رواية تجربة حوّاء من قبل الحيّة في غياب آدم تك ٣: ١–٦)[٧]. من الواضح أنّه لا يمكن اعتبار تلك النساء نموذجًا للفضيلة، فهنّ "مثقلات بالخطايا، منقادات لمختلف الشهوات" (آ ٦: قد تكون هذه الشهوات شهوات حسّيّة أو فكريّة)، فيما ينقاد المؤمنون الحقيقيّون للروح القدس (رو ٨: ١٤). ومِمّا يزيد في قابليّة تلك النساء للتعاليم الفاسدة، كونهنّ متعطّشات للمعرفة السهلة والتعاليم الجديدة؛ فبسبب خفّتهنّ وحشريّتهنّ

(٥) يعطي بعض الشرّاح لعبارة "قوّة" معناها الفلسفيّ كطبيعة أو خاصّية مميّزة، ويستشهدون بأفلاطون الذي يعتبر δυναμις مبدأ تحديد الكائنات، المبدأ الذي يكشف عن خاصّياتهم، وفي الوقت نفسه، يمنحها قوّة محرّكة تؤكّد على هذه الخاصّيات. من هنا يستعمل أفلاطون هذه العبارة بعلاقة مع عبارة φυσις.

(٦) تقنيّة التسلّل هي تقنيّة خاصّة تتميّز بها الشيع الصغيرة المنفصلة عن الديانات التقليديّة الكبرى.

(٧) يشهد تاريخ الكنيسة الأولى على أنّ الغنوصيّة عرفت نجاحًا ملفتًا في الأوساط النسائيّة. يخبرنا القدّيس إيريناوس عن شخص يدعى مرقس كان يجهد في تعليم النساء، بخاصّة الأنيقات والثريّات؛ وسمعان الساحر كان يجول في السامرة برفقة إمراة تدعى هيلانة، وهي غانية سوريّة كان يسمّيها "فكرة". كما ساهمت النساء بقوّة في نشر العبادات الشرقيّة في الأمبراطوريّة الرومانيّة، والمسيحيّة نفسها استفادت من اهتداء نساء قيّمات (أع ١٦: ١٣–١٤؛ ١٧: ٤).

٢ – مسألة العبودية

يَرُدُّ بولس إلى الإيمان عبدًا فارًّا، ويكتب إلى مولى هذا الأخير متوسّطًا من أجل العفو عنه وقبوله، دون أن يطلب إخلاء سبيله، وهذا ما يبعث على التساؤل، خاصّةً وأنّ هناك موقفًا واضحًا من مسألة العبوديّة، يحثُّ الرسولُ من خلاله العبيدَ على الاستمرار على حالهم، فيقول: "أَدُعيتَ وأنتَ عبدٌ ؟ لا أخذَكَ همٌّ! حتّى ولو أمكنكَ أن تتحرّر، فأحْرِ بكَ أن تستفيدَ من حالتكَ؛ فَمَن دُعِيَ في الرّبّ وهو عبدٌ، فهو مُعْتَقٌ للرب. كذلك مَن دُعِيَ وهو حُرٌّ، فهو عبدٌ للمسيح. بثمنٍ قد اشتُريتم، فلا تَصيروا عبيدًا للناس !" (١ كو ٧: ٢١–٢٢).

كذلك يحضُّ بولسُ هؤلاء على الطاعة لمواليهم، قائلاً: "أيّها العبيد، أطيعوا في كلّ شيء أربابَكُم حَسَبَ الجَسَد، لا في مُراقَبَة، مُرْضينَ للنَّاس، بل في بَساطَةِ قَلْب، مُتَّقينَ للرَّبّ. أيَّ فعلٍ تَفْعَلُون، فمِنَ الصَّميمِ اعْمَلُوهُ، كما للرَّبّ لا للنَّاس، عالمينَ أنَّكُم منَ الرّبّ ستَنالُونَ الميراثَ جَزاء، فالرَّبَّ المَسيحَ أنتُم تَخْدُمون: لأنَّ الظّالمَ سيلْقَى ما به ظَلَمَ، واللهُ لا يَعْبأُ بمقامات بَشَر!" (كول ٣: ٢٢–٢٥).

فإذا كان الأمرُ على هذه الحال، فإنّنا نتساءل عن قيمة هذه الإعلانات النظريّة عن المساواة، والمبنيّة على الانتماء المشترك إلى المسيح! قبل رسمِ جوابٍ على ذلك، ينبغي اعتبار ظروف الرسالةَ حصرًا إلى فيلمون.

٣ – شكر وصلاة

يستهلّ بولس رسالته إلى فيليمون بفعل شكر لله على كلّ ما جاد به عليه وعلى عمله الرسوليّ، وبالصلاة، لأنّه أوّلاً رَجُلُ صلاة، وليضمنَ النّجاحَ لمهمّته التبشيريّة، وحسنَ المجازاة لنفسه من عند الربّ: "أشكر إلهي على الدّوام، ذاكرًا إيّاك في صلواتي" (آ ٤). يَجمع الرسول بين الصّلاة والمديح لفيلمون، عندما يضيف: "لأنّي سامعٌ بمحبّتك، وبالإيمان الذي تَكنُّ للرّبّ يسوع ولجميع القدّيسين. لتكن مشاركتك في الإيمان فاعلة، فتعرف كلَّ صلاح يَسعُنا أن نفعله من أجل المسيح" (آ ٥–٦). كما نرى، هو يركّز على فضيلتَي المحبّة والإيمان التي يضيف إليهما في بعض رسائله فضيلة الرجاء في ترتيب متنوّع.

٤ – فرح وتعزية

"فلقد حصل لي فرح كبير وتعزية بمجيئك" (آ ٧). مَن يحتاج إلى التّعزية هو مَن أَلَمَّتْ به مأساة ما، أو حلّت به مصيبة. يتعزّى بولس في أسره بمجيء مَن يحبّ، ومَن يكنّ للرسول الوفاء والإخلاص والأمانة: "لأنّ صدور القدّيسين قد انشرحت بك، أيّها الاخ" (آ ٧). لنلاحظ استعمال الكلمات الرقيقة لفيلمون، وذلك لكي تكون بمثابة مقدِّمة لما سيطلب منه الرسول لاحقًا.

٥ – دالّة وتوسّل

"برغم ما لي عليك من كبير دالّة في المسيح" (آ ٨). إنّ لبولس دالّةً على فيلمون تمكّنه من أن يطلب منه ما ينوي لصالح العبد الفارّ: "حتّى آمرك بما يجب، مع كلّ ذلك، أتوسّل إليك" (آ ٨ و٩). كذلك لبولس سلطان روحيّ ومعنويّ على فيلمون، وبإمكانه بالتالي أن يأمره لأنّ له فضلاً عليه، وهو مديون للرسول بإيمانه؛ مع هذا، فإنّه يتوسّل اليه: "أتوسَّل إليك بالأحرى كرامةً للمحبّة، لأنّي أنا بولسَ شيخٌ، والآن أسيرُ المسيح يسوع. ومرّة أخرى أتوسَّل إليك، من أجل ولدي أونيسموس الذي ولدتُه بالسلاسل" (آ ٩–١٠).

٦ – ولادة بالروح وأبوّة

هو بولس مَن ولدَ أونيسموس في السّجن ولادةً روحيةً في الإيمان، وفي أصعب الظُّروف، إذ كان "في السّلاسل، وشيخًا". ما يسترعي الانتباه بقوّة هو دفق الحنان في موقف بولس وفي تعابيره الرائعة: "كان أونيسموس في ما مضى غير نافع لك، أمّا الآن، فهو نافع لك ولي" (آ ١١). لم يكن نافعًا، لا بل مضرًّا، أمّا الآن، وقد أصبح مؤمنًا، فلقد صار،

رسالة القدّيس بولس إلى فيلمون
أبرز موضوعاتها

الأب أيّوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدس
جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمـــة

يزيّنُ صفاءُ نَفْسِ القدّيسِ بولسَ الإنسانيّ إلى أقصى الحدود الرسالةَ إلى فيلمون، التي تُعتَبَر إلى حدٍّ ما وثيقة تاريخيّة هامّة، تفيد عن كيفيّة تعامل الكنيسة مع مسألة العبوديّة[١]، كما نتبيّن ممّا كتبه بولس إلى أهل كورنتس:

"ومهما يكن من أمر، فَلْيَسِرْ كلُّ واحد في حياته على ما قسم له الربّ كما كان عليه إذ دعاه الله، وهذا ما أفرضه في الكنائس كلّها. فَلْيَبْقَ كلُّ واحد على الحال التي كان فيها حين دعي" (١ كو ٧: ١٧–٢٤؛ رج غل ٣: ١٨).

لقد طُرِحَتْ مسألة العبوديّة على ضمير الكنيسة الأولى[٢]، وكان من بين المهتدين إلى الإيمان بالمسيح عبيدٌ كثيرون، وكان الحلّ، من أجل مَحْوِ العبوديّة، يقضي باعتماد المبدأ التالي: تكفي المحبّةُ والأخوّةُ في المسيح يسوع!

إنّ الدافع إلى كتابة الرسالة إلى فيلمون هو التالي: كان لفيلمون بين مستخدميه عبدٌ اسمُه "أونسيموس" (آ ١)، فَرَّ من بيت سيّده (آ ١٥)، ولكنّ السبب غير معروف، ومن غير المؤكَّد أنّه سرقه، بالرغم من الآيتَين ١٨–١٩؛ مع هذا، فإنّ هذا الفرار قد سبّب لفيلمون ضررًا كبيرًا[٣].

من غير المعروف في أيّة ظروف أو لأيّة دوافع التقى أونسيموسُ بولسَ في المدينة التي كان هذا الأخير مُحتَجَزًا فيها (آ ٩، ١٠، ١٣، ٢٣). ما هو واضح هو أنّه، وبتوجيه من الرسول، ارتدّ أونسيموس إلى الإيمان المسيحيّ (آ ١٠)، فأصبح هكذا ابنًا روحيًّا بالنسبة إلى بولس، لا بل موضوع عطف خاصّ: "أتوسّل إليك من أجل ولدي أونسيموس الذي ولدته في السّلاسل" (آ ١٠)؛ "هو حُشاشتي" (آ ١٢)؛ "إذًا، إنْ كنتَ تَحسبُني شريكًا، فاقبله كما تقبَلُني" (آ ١٧).

استنادًا إلى أقوال بولس بالذات، كان يُعتَقَد أنّه، بفضل توصياته، وبفضل حالة أونسيموس الجديدة، سيلقاه فيلمون، "ليس عبدًا، بل أرفعَ من عبد، أخًا حبيبًا" (آ ١٦). من المحتمل أنّ بولس كان يبغي أن يُبقِيَ فيلمونُ أونسيموسَ عنده، ولكنّه لم يشأ أن يفرضَ هذه المبادرة على فيلمون، فترك الأمرَ لكَرَمِه (آ ١٤). في كلّ الأحوال، لا يبدو أنّ بولس يسأل في الوقت عينه إعتاق العبد؛ فحتّى لو عاد ليخدم بولس، فهو يبقى مِلْكًا لفيلمون.

هكذا، بالتالي، لا يكون هناك مساسٌ بالمؤسّسة. لكن، كيف يمكن فهم ما يعلّمه بولس بأنّه، في المسيح، "لا عبدَ ولا حرّ" (غل ٣: ٢٨؛ ١ كو ١٢: ١٣؛ كول ٣: ١١) ؟

(١) R. LEHMANN, *Épître à Philémon. Le christianisme primitif et l'esclavage*, Genève, Labor et Fides 1978.

(٢) John M. G. BARCLAY, "Paul, Philemon and the Dilemma of Christian Slave-Ownership", *NTS* 37 (1991) 161-186.

(٣) David DAUB, "Onesimos", *HTR* 79/1-3 (1986) 40-43.

السطحيّة المفرطة (كما كانت حال مستمعيّ بولس في أثينا، في أع ١٧: ٢١)، فهنّ لا يستطعن التفكير للوصول إلى معرفة الحقيقة التي تحرّرهنّ من خطاياهنّ (يو ٨: ٣٢)، والحقيقة هنا هي المسيح (يو ٨؛ ٣٦؛ ١٤: ٦)[٨]، فيقعن بسهولة تحت تأثير بلاغة المعلّمين الكذبة. باختصار، لا يستطيع هؤلاء المعلّمون الكذبة، وقد أضاعوا المدخل إلى المعرفة الحقّة، أن يقودوا النساء الشابّات إلى معرفة الإيمان الحقيقيّة[٩].

في الاتجاه نفسه، تقارن آ ٨ عمل هؤلاء المضلّلين الهراطقة بعمل الساحرَين المصريَّين اللذَين نافسَا موسى وهارون في صنع المعجزات (خر ٧: ١٢؛ ٩: ١٢). لا يذكر سفر الخروج اسمي الساحرَين؛ لكنّ **ترجوم يوناتان المنحول** (على خر ١: ١٥؛ ٧: ١١، وعلى عد ٢٢: ٢٢) يسمّيهما يناس ويمبرس (أو ممبراس)، ويعتبرهما من أبناء بلعام[١٠].

يذكر بولس خبر مقاومة هذَين الساحرَين لموسى (رج غل ٢: ١١؛ رو ١٣: ٢) كنموذج لمعارضة الهراطقة للحقيقة المسيحيّة. لهذه المقابلة معنى عميق؛ فبالنسبة إلى كلّ العهد الجديد، تشكّل جماعة الصحراء نموذجًا للجماعة المسيحيّة (أنظر ١ كو ١٠: ١–١٣؛ عب ٣: ٧–٤: ١٣؛ رؤ ١٥: ٣): كما أنّ موسى قاد جماعة الإسرائيليّين الخارجين من مصر–العبوديّة إلى أرض الميعاد، هكذا حرّر المسيح الجماعة المسيحيّة من عبوديّة الخطيئة، وأدخلها إلى ملكوت الله. في هذا الإطار العامّ، تصبح مختلف مراحل الخروج وأحداثه نماذج تعليميّة وتحريضيّة للأحداث الكبرى التي تطبع حياة الكنيسة. للمقابلة هنا هدف التعارض: فكما أن يناس ويمبراس قاومَا موسى بصنعهما الآيات نفسها التي صنعها، كذلك يعارض الهراطقة تيموتاوس بتبشيرهم بالإنجيل نفسه الذي يبشّر به هو. في موضوع الإيمان، يدّعي هؤلاء امتلاك معرفة أوسع من تلك التي لدى مسؤوليّ الكنيسة، وفي هذا الإطار، يقدّمون أنفسهم كمجدّدين. لكنّ الحقيقة هي أنّ معرفتهم مشوّهة وفاسدة (استعمال وحيد في العهد الجديد؛ رج ١ تم ٦: ٥)؛ ممّا يجعلهم غير صالحين للإيمان لأنهم لم يخضعوا للمحنة أو للاختبار (وفي هذا إشارة إلى محنة بولس الأخيرة، أي دنوّ أجَله)؛ فكما تمّ فَضْحُ خداع أولئك السحرة أمام الفرعون، كذلك يعود الآن إلى بولس، المشرف على رحلته الأخيرة، أن يفضح هؤلاء المعلّمين الكذبة، الذين يقاومون تلميذه الحبيب في أفسس[١١].

يختم بولس كلامه على المعلّمين الكذبة ونجاح دعايتهم بمنحى إيجابيّ (آ ٩): لن يذهب هؤلاء بعيدًا في نشر غوايتهم، لأنّ الجميع سيعرفون

(٨) يبدو أن كتاب **أعمال الرسل المنحول** استوحى روايته حول بولس وتقلا، من هذا المقطع. تقلا هي شابّة أُخذت بتعليم الرسول وتعلّقت به بشدّة، وفسّرته كدعوة لرفض الزواج لصالح مثال أعلى (١ كو ٧)، وهذا ما سبّب شقاقًا كبيرًا في عائلتها. حول معرفة الحقيقة أنظر ١ تم ٢: ٤؛ ٢ تم ٢: ٢٥؛ تي ١: ١.

(٩) يوضح تركيز بولس على النساء، في هاتين الآيتين، توصياته بخصوص النساء عمومًا التي نجدها في ١ تم ٥: ٣–١٦؛ ٢: ٩–١٥؛ تي ٢: ٣–٥؛ أنظر ١ كو ١٤: ٣٥)؛ فالرسول كان حذرًا من شغف النساء بالتعاليم الجديدة، خصوصًا الصوفيّة والزهديّة منها، التي تقدّم لهنّ سراب الكمال، ومن ميلهنّ السريع إلى التعلّق بها.

(١٠) في التقليد اليهوديّ نشأت وتطوّرت أسطورة حول هذَين الساحرَين، أسطورة تجعل من يناس ويمبراس نموذج الأنبياء الكذبة؛ فأمام اضطرارهما للاعتراف بتفوّق موسى عليهما، إدّعَيا أنّهما اهتديا إلى الدين اليهوديّ، وانضمّا إلى الخارجين من مصر. في الطريق إلى أرض الميعاد، حاول هذان على عدّة مراحل، بخاصّة في حادثة عجل الذهب، أن يجعلا الشعب يحيد عن إيمانه، لكنّهما هلكَا في النهاية. يرد ذكر يناس ويمبراس في بعض الأناجيل المنحولة كإنجيل نيقوديموس، وعند بعض آباء الكنيسة كأوريجانوس. كما يورد البابا جيلاسيوس الأول (٤٩٦)، على لائحة الكتب القانونيّة التي وضعها، **كتاب يناس ويمبراس**، ويصنّفه من بين الكتب المنحولة.

(١١) من المحتمل أن يكون ذكر الساحرَين المصريّين يشير إمّا إلى تعليم المعلّمين الكذبة المتعلّق بالسحر، وإمّا إلى الممارسات السحريّة والشعوذات التي استقدمها يهود من مصر، ونشروها في آسيا الصغرى. في أيّ حال، من الشائع أن تذكر سير القدّيسين مجادلات بين ساحر ومسيحيّ يفحمه بآيات يصنعها.

جنونهم وسخافة تعليمهم (ανοια، استعمال وحيد عند بولس؛ رج لو ٦: ١١)؛ فنجاح الضلال لا يمكن أن يدوم، كما حدث مع يناس ويمبراس. يمكن للمظاهر البرّاقة أن تخدع للوهلة الأولى، لكنّ الزمن كفيل بكشفها على حقيقتها. بالتالي، لا يمكن للهراطقة أن ينجحوا في مواجهة الكنيسة، عمود الحقّ الراسخ (رج ٢ تم ٢: ١٩). إنّهم سيختفون، تمامًا كما سيزول تعليمهم الفاسد، وضلالهم وغوايتهم. هذا ما يؤكّد عليه سفر الرؤيا حين يقول لملاك كنيسة أفسس تحديدًا: "وقد امتحنت الذين يقولون إنّهم رسل وليسوا برسل، فوجدتهم كاذبين" (رؤ ٢: ٢).

أخيرًا، لا يبقى أمام تيموتاوس، لكي يواجه كلّ هذه التحدّيات والأخطار الداخليّة والخارجيّة، سوى المثابرة في الحياة المسيحيّة، والاقتداء بمثله، والأمانة لتعليمه.

بعض مراجع هذه الدراسة

DORNIER P., *Les épîtres pastorales*, Gabalda, Paris 1969.
REYNIER Ch. et TRIMAILLE M., *Les épîtres de Saint Paul*, III, Bayard/Le Centurion, Paris 1997.
SPICQ C., *Les épîtres pastorales*, coll. Études bibliques, Gabalda, Paris 1947.

ملفات
الكتاب المقدس
العماد
في الكتاب المقدس
اطلب الهدية
مع العدد
تعريب: المطران جرجس القس موسى
مركز الدراسات الكتابية
الموصل - العراق
بيبليا للنشر

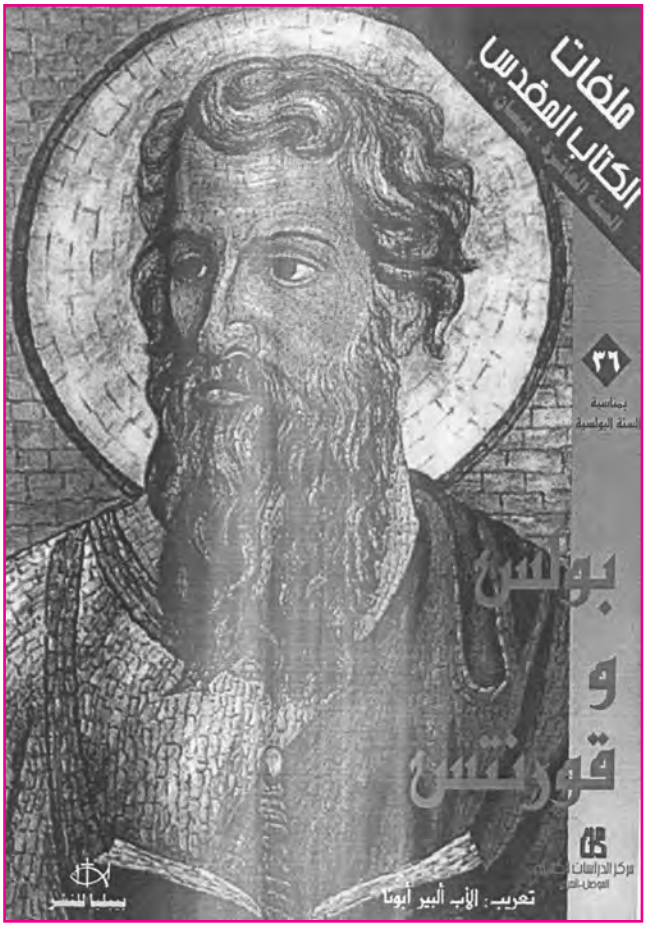
ملفات
الكتاب المقدس
٣٦
بمناسبة
السنة البولسية
بولس
و
قورنتس
تعريب: الأب ألبير أبونا
مركز الدراسات الكتابية
الموصل - العراق
بيبليا للنشر

عدد خاص
ملفات
الكتاب
المقدس
مركز الدراسات الكتابية - الموصل / العراق
٢٠٠٠-٢٠٠٩
العهد
روح
العنصرة
ملحق الملف ٣٥
بمناسبة السنة العاشرة
كانون الثاني ٢٠٠٩
بيبليا للنشر

سلسلة أبحاث كتابية /١٣
سلسلة تفاسير (١)
الانجيل
بحسب
القديس
متى
دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠٠٨
تأليف: كلود تاسان
ترجمة: الأب يوسف عفاص

الكثير من العاطفة والحنان. يعتبر بولس أونيسيموس ابنًا له في الإيمان، وقد ولده في السلاسل (آ ١٠). في استخدامه مثل هذه التعابير، نلاحظ أنّ بولس قد أراد أن يحميَ أونيسيموس من ردّة فعل سيّده فيلمون الذي قد يكون غاضبًا عليه بسبب فراره من منزله. بالإضافة إلى عاطفة بولس الأبويّة والصادقة تجاه أونيسيموس، فهو ألقى عليه رداء البنوّة، رافعًا عنه كلّ لعنة وقصاص. في تصرّفه هذا، يطبّق بولس على نفسه منطق إنجيل المسيح الذي "مات من أجلنا إذ كنّا خاطئين" (رو ٥: ٨)، وصالحنا مع الآب شافعًا فينا لديه.

المراجـــع

COLLANGE J.-F., *L'épître de Saint Paul à Philémon*, Labor et Fides, Genève, 1987.

LEHMANN R., *Épître à Philémon, le christianisme primitif et l'esclavage*, Labor et Fides, Genève, 1978.

THURSTON Bonnie B. & RYAN Judith M., *Philippians and Philemon*, Sacra Pagina Series, vol. 10, Harrington Editor, Liturgical Press 1985.

على هامش الكتاب
-١٤-

إمتداد الأدب البولسي في الأسفار المنحولة

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابية

على هامش الكتاب
-١٥-

الحركة الغنوصية في أفكارها ووثائقها

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابية

على هامش الكتاب
-١٦-

الأقوال السيبلية

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابية

القراءة الربية
-١٩-

الأبانا عند آباء الكنيسة - I -

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابية

٢ تم ٣: ١٠-١٧

أمّا أنتَ فاثبُتْ على ما تعلَّمْتَه

الأب أيّوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

بعد أن ذَكَرَ القدّيس بولس الماضي (٢ تم ١)، وبيّن لتيموتاوس كيف ينبغي له أن يواجه الصعوبات الحاضرة (ف ٢)، يُفيده الآن حول المخاطر الآتية، من فساد خُلُقيّ، وعقائد ضالّة، واضطّهادات، وحول كيفيّة مقاومتها، خاصّة **بالأمانة الراسخة للكتاب المقدّس**. لدينا في **نظام الجماعة** في قمران، تَعَارُضٌ بين الأمانة للتوراة، وبين الشرور التي تنتج عن الروح الشرّير[١]. بالنسبة إلى مَن يتجنّد للمسيح، القوّة هي ضروريّة، كون الأعداء مهدِّدِينَ وخَطِرِين باستمرار[٢]. مرّة جديدة، تبرهن هذه القطعة من الرسالة (٢ تم ٣: ١٠-١٧) أنّ حياة المسيحيّين الأوائل الخُلُقيّة لم تكن دومًا مثاليّة؛ فلقد كانوا دومًا عرضةً لتجربة الوقوع في الهرطقة[٣] والجحود، ولكنّ هذا لا يشكّل سببًا لفقدان الشجاعة. لقد سبق الربُّ وأنبأ، وكذلك فَعَلَ بولس، بهذا الصراع بين الخير والشرّ[٤]، وحتّى بانتصار ظاهر للشرّ[٥]. وكما هي العادة في "خطب الوداع"[٦]، يعلن الراحلون عن مستقبل قاتم، لأنّ المعلّمين الأشرار سيقفون في وجه الحقيقة، ويسعون إلى إغواء المؤمنين.

١ – النصّ: آ ١٠-١٧

١٠ أمّا أنتَ فقد تبعتني في تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وصبري ومحبّتي وثباتي،

١١ والاضطّهادات والآلام التي أصابتني في أنطاكية وأيقونية ولسترة، وكم من اضطّهاد عانيت وأنقذني الربّ منها جميعًا.

(١) "[٩] أمّا روح الضلال ففيه الطمع، والتهرُّب من خدمة البرّ، فيه الكفر والكذب، والكبرياء وترفُّع القلب، والنفاق والغشّ، والقساوة، [١٠] ووفرة اللصوصيّة، وقلّة الصبر، وكثرة الجنون، والوقاحة الحامية، والأعمال المشينة التي يقترفها روح الفجور، وطرق النجاسة في خدمة الدنس، [١١] واللسان المجدِّف، وعمى العينين، وقساوة الأذن، وصلابة الرقبة، وثقل القلب، التي تجعل الإنسان يسير في طرق الظلمة وشرّها وحيَلِها" (**نظام الجماعة** ٤: ٩-١١ = في: 1QS IV, 9-11 **كتابات قمران**، ج ١، تقديم وتعريب بولس الفغالي، سلسلة على هامش الكتاب ١، الرابطة الكتابيّة، لبنان ١٩٩٧، ص ٣٢). أنظر أيضًا: J. CARMIGNAC, *Les textes de Qumran*, Paris 1961-1963; H. BRAUN, *Qumran und das N.T.*, Tübingen 1966, I, p. 239.

(٢) "والروح يقول صريحًا إنّ بعضهم يرتدّون عن الإيمان في الأزمنة الأخيرة، ويتبعون أرواحًا مضلّة ومذاهب شيطانيّة، وقد خدعهم رياء قوم كذّابين كُوِيت ضمائرهم" (١ تم ٤: ١-٢).

(٣) أنظر تحديد كلمة "هرطقة" وأسبابها ونتائجها في **معجم اللاهوت الكاثوليكيّ**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٤) "إذا أبغضكم العالم فاعلموا أنّه أبغضني قبل أن يبغضكم" (يو ١٥: ١٨ي). "لا يخدعنّكم أحد بشكل من الأشكال، فلا بدّ قبل ذلك أن يكون ارتداد عن الدِّين، وأن يظهر رجل الإلحاد، ابن الهلاك، الذي يقاوم ويناصب كلّ ما يحمل اسم الله أو ما كان معبودًا، حتّى إنّه يجلس في هيكل الله ويعلن نفسه إلهًا" (٢ تس ٢: ٣-٤).

(٥) رج يو ١٥: ١٨-١٦: ٤٤؛ ٢ تس ٢: ٣ي.

(٦) "ثم دعا يعقوب بنيه وقال: إجتمعوا لأنبئكم بما يكون لكم في لاحق الأيّام، إجتمعوا وأصغوا، يا بني يعقوب، أصغوا إلى إسرائيل أبيكم" (تك ٤٩: ١-٢). J. MUNCK, "Discours d'adieu dans le NT", in *Mélanges M. Goguel*, Paris 1950, pp. 155-170.

في إعلان البشارة واتّخاذ الموقف الذي تمليه عليه المسألة. لكنّه لم يحتج هنا إلى الاتكال على هذه السلطة الرسوليّة لأنّه يتوجّه إلى فيلمون، ابنه المَدين له بالإيمان (آ ١٩).

يظهر أنّ حلّ المشكلة الناشئة بين فيلمون وعبده لا يتوقّف على ما يريده بولس نفسه بل على ما يطلبه الله. لقد وجد بولس نفسه في موقف مَن يقود الكنائس والمؤمنين الذين آمنوا على يده نحو مشروع الله (رو ١: ١، ٥؛ ١ كو ٩: ١٦-١٧). تتبلور جرأة بولس في إعلانه مشيئة الله وما هو حقّ وواجب، إذ هو يعلم، منذ مطلع الرسالة، ما يريده الله في هذه المسألة.

٤) يتمحور نداء بولس إلى فيلمون حول موضوع المحبّة. بالرّغم من أنّ المحبّة تركت لفيلمون الحريّة الكاملة في التصرّف، إلاّ أنّ ذلك لم يدع له مجالاً آخر ليختار ما يجب فعله سوى على أساس أنّه "شريك" بولس في جوابه (آ ١٧). لم يتعامل بولس مطلقًا مع شريكه فيلمون على كونه حديث الإيمان يحتاج إلى نصيحة أو توجيه. فهو يشكره بمحبّة عظيمة ويحترم تدبيره على أساس أنّه معاون له والكنيسة تجتمع في بيته. فالمحبّة بطبيعتها لا تجبر على شيء ولا تتسلّط (رج ١ كو ١٣: ٥؛ ٢ كو ١٠: ١-٢). المحبّة تُعرض وتتطلّب جوابًا. وبما أنّ فيلمون هو مُضيف الكنيسة التي يتوجّه إليها بولس أيضًا من خلال هذه الرسالة (آ ٣، ٢٢، ٢٥)، لذلك فإنّ بولس يعرض على صديقه فيلمون أن يُعطي جوابًا يقود من خلاله الجماعة بأسرها.

يتوجّه بولس إلى كلّ الكنائس التي أسّسها بحنان وعاطفة شديدين، ويعتبر المؤمنين فيها كأولاده الأحبّاء. نسمعه يقول لأهل كورنتس: "لا أريد في ما أكتبه أن أخجلكم، بل أريد أن أنصحكم نصيحتي لأبنائي الأحبّاء. فقد يكون لكم ألوف الحرّاس في المسيح، ولكن ليس لكم عدّة آباء، لأنّي أنا الذي ولدكم بالبشارة في المسيح يسوع" (١ كو ٤: ١٤-١٥). يظهر لنا أنّ الرسول يعطي لعلاقته بالمؤمنين طابعًا خاصًّا قد ميّز علاقة الله الوديّة بشعبه المختار، فهي علاقة أبويّة (أش ٦٣: ١٦؛ ٦٤: ٧) وأموميّة (أش ٤٩: ١٥) على حدّ سواء. وقد استمرّت هذه العلاقة مع المسيح تجاه شعب الله (رج مت ٢٣: ٣٧). يقتدي بولس بالله الذي يحبّ شعبه، فهو دائم السهر على أولاده الروحيّين حين يبتعدون عن جوهر الإنجيل (غل ٤: ١٩)، ولا ينفكّ يغذّي أبناءه (١ كو ٣: ٢)، يعزّيهم (١ تس ٢: ٧-٩)، يحضّهم ويشجّعهم (١ تس ٢: ١١) ويوبّخهم عند الضّرورة (١ كو ٤: ١٤؛ ٢ كو ٦: ١٣).

٥) يصف بولس ذاته في آ ٩ بكونه "أسير يسوع المسيح" كما في مطلع الرسالة (آ ١)، وهذا الوصف يرتبط ارتباطًا وثيقًا بدعوته إلى عيش المحبّة (آ ٩). وعبارة "أسير يسوع المسيح" قويّة الوقع، تحتاج إلى تعمّق لنقدر أن نفقه معناها في كلّ كتابات الرسول بولس. يلفت انتباهنا تفكير بولس حول أسره، مع كلّ المشقّات والآلام التي تكبّدها (٢ كو ١١: ٢٣-٢٨)، فهو دليل على رغبته في تحمّل الآلام في سبيل المسيح وكنيسته وإنجيله. إنّ الألم والضعف، بالنسبة إلى بولس، هما سمتَا رسالته. كلّ ذلك يضعه في خطّ مَن دعا نفسه في العهد القديم "عبد الله" وبين كوكبة الأنبياء الذين تألّموا لأجل كلمة الله (رو ١: ١، ٥؛ ٢ كو ١: ١). أضف إلى ذلك أنّ الآلام التي يعانيها بولس لأجل البشارة تجعله شبيهًا أكثر، وعلى وجه أكمل، بالمسيح الذي "قد صُلب بضعفه، ولكنّه حيّ بقدرة الله" (٢ كو ١٣: ٤).

٦) مؤثّرة هي الكلمة التي فيها يُخبر بولس فيها فيلمون أنّه يردّ إليه أونيسيموس عبده الذي هو "قلبه" وابنه الروحيّ. هو كلام فيه

من الدّاخل قبل الخارج، لأنّنا في المسيح نصبح "خليقة جديدة".

كيف نفهم عبارة "إن في صلة بشريّة وإن في صلة في الربّ" (καὶ ἐν σαρκὶ καὶ ἐν κυρίῳ)؟ تحمل عادة عبارة "في الجسد" (ἐν σαρκι) أو بحسب الجسد عند بولس مدلولاً سلبيًا، فهي تعارض السلوك "في الروح" (رج رو ٨: ١-١٣؛ ٢ كو ١: ١٧،١٠؛ غل ٥: ١٣)، كما بإمكانها الإشارة إلى الوضع الإنسانيّ في ضعفه وهشاشته (رج ٢ كو ١٠: ٣؛ غل ٢: ٢٠؛ فل ١: ٢٢، ٢٤). في هذه الآية التي نحن بصددها، تَردُ ولمرّة واحدة في رسائل بولس، عبارة "إن في صلة بشريّة وإن في صلة في الربّ". توثّقت بين فيلمون وأونيسيموس صلة في الربّ أُضيفت إلى الصلة التي كانت تجمع بين العبد وسيّده. عندما نعيش علاقاتنا الإنسانيّة "في الربّ"، تأخذ حياتنا الماديّة والجسديّة كلّها بُعدًا جديدًا، وتسمو إلى ما هو فوق الأرضيّات. لقد أصبح أونيسيموس منذ الآن حبيب فيلمون، سواء في الحياة اليوميّة أم في الإيمان المشترك في الربّ. لذلك، فالأخوّة بالنسبة إلى فيلمون تتعدّى البعد الروحيّ ("في الرب") لتطبع أيضًا الحياة البشريّة العمليّة.

٣- أهمّ الاستنتاجات

١) يرتكز هذا القسم من الرسالة إلى فيلمون (آ٨-١٦) على الهيكليّة ذاتها المعتمدة في أسلوب التراسل اليونانيّ: افتتاحيّة (آ ٨-١٤)، القسم الوسطيّ أو صلب الرسالة (آ ١٥-١٧)، وخاتمة (آ ١٨-٢٠). تتضمّن الافتتاحيّة عادة مناسبة الرسالة مع بعض المعلومات حول المُرسِل والمرسَل إليه. وفي هذه الرسالة (آ ٨-١٤) نرى أنّ بولس يستفيض في الكلام مقارنة مع رسائله الأخرى، وكأنّي به يمهّد الطريق للطلب الذي يريد أن يقدّمه في آ ١٧. في القسم الوسطيّ، يعرض بولس الرسول وبشكل موسّع كلّ الأفكار التي يحتاج إليها في الإقناع قبل أن يبوح بطلبه المباشر إلى فيلمون. أمّا الخاتمة فتأتي متجانسة مع المرافعة التي قام بها بولس سابقًا والتي ذلّل فيها كلّ العقبات التي تمنع فيلمون من تلبية طلبه (آ ١٨-١٩). وقد ختم بولس صلب الرسالة مستخدمًا العبارات نفسها الدّالة على الفرح كما في آ ٧، إذ توجّه إلى فيلمون بالقول: "فاشرحْ صدري في المسيح" (آ ٢٠).

٢) في افتتاحيّة صلب الرسالة (آ ٨-١٤)، نجد أنّ الرسول بولس قد اعتمد أسلوب الحجج المنطقيّة الخاصّة بالبلاغة الأدبيّة (لغة القلب والعقل والأدب: *pathos, logos, ethos*)، وذلك بهدف الحصول على دعم وموافقة صديقه فيلمون. لجأ بولس أوّلاً إلى العلاقة الشخصيّة والعاطفيّة التي تربطه بفيلمون (*pathos*). نداؤه الموجّه إلى فيلمون أساسه المحبّة (آ ٩) وعلاقة البنوّة والأبوّة الروحيّة التي خلقتها توبة أونيسيموس (آ ١٠)، واعتبار بولس عبد فيلمون بمثابة "قلبه" (آ ١٢).

من ناحية ثانية، اعتمد بولس أيضًا في ندائه على لغة العقل (*logos*)، فهو أظهر لفيلمون أنّ أونيسيموس قد أصبح الآن نافعًا للبشارة ولخدمة سيّده على وجه أفضل، حتى أنّ بولس نفسه يودّ الاحتفاظ به. وأخيرًا نضيف أنّه من الواضح لقارىء الرسالة أنّ بولس قد مهّد لطلبه من فيلمون بقبول أونيسيموس كأخ حبيب بإثارته للخصال الحميدة التي يتميّز بها فيلمون (آ ٤-٧). وهنا تكمن لغة الأدب البلاغيّة (*ethos*) التي استعملها بولس في منطقه.

٣) تعكس جرأة بولس في بداية هذا القسم (آ ٨) جرأة طلبه الذي يهدم الحواجز التي تفصل بين السيّد والعبد بناءً على حياة الجماعة المسيحيّة وعلى الصلة الجديدة في الربّ (آ ١٦). يعود حقّ بولس في توجيه طلبه إلى فيلمون إلى سلطته الرسوليّة

١٢ فجميع الذين يريدون أن يحيوا حياة التقوى في المسيح يسوع يُضطَّهدون.

١٣ أمّا الأشرار والمشعوذون، فسوف يسيرون إلى ما هو أسوأ، وهم خادعون مخدوعون.

١٤ فاثبت أنت على ما تعلّمته كنت منه على يقين. فأنت تعرف عمن أخذته،

١٥ وتَعلَّم الكتب المقدّسة منذ نعومة أظفارك، فهي قادرة على أن تجعلك حكيمًا، فتبلغ الخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع.

١٦ فكلّ ما كُتب هو من وحي الله، يفيد في التعليم والتفنيد والتقويم والتأديب في البرّ،

١٧ ليكون رجل الله كاملاً مُعَدًّا لكلّ عمل صالح.

٢ – البنية

من الناحية اللغويّة، تؤلّف آ ١٠–١٧ جملةً واحدة تتضمّن جزءَين:

– في الأوّل (آ ١٠–١٣)، يتوجّه بولس بالكلام إلى تيموتاوس: "أمّا أنتَ" (σὺ δὲ، آ ١٠)، مذكِّرًا إيّاه بالماضي؛

– في الثاني (آ ١٤–١٧)، يقول له مرّةً جديدةً: "أمّا أنتَ" (σὺ δὲ، آ ١٤)، موصيًا إيّاه بالثبات في المستقبل.

٣ – التفسير

آ ١٠

– **تيموتاوس يتبع بولس** (Σὺ δὲ παρηκολούθησας)

على تناقض تامّ مع القادة الكَذَبَة، "الأشرار والمشعوذين" (آ ١٣)، وهذا ما تبرزه عبارة "أمّا أنت" (آ ١٠، ١٤)، يبدو تيموتاوس مثالَ المؤمن الأصيل، ذا الكفاءة العالية لأنْ يُعَلِّم الإيمان، كونه قد تَبِعَ الرسولَ كما الولدُ أباه، والتلميذُ معلِّمَه[٧]: "أمّا أنت فقد تبعتني في تعليمي...". وفي حين أنّ الإنجيليّين الإزائيّين يستعملون بكثرة الفعل ἀκολουθειν[٨] ("تَبِعَ")، فإنّ الرسائل الرعويّة، بالمقابل، تستبدله بالأفعال المركَّبة التالية: ἐπακολουθειν[٩]، "تَبِعَ عن قُرْب"، "تعلّق بأحدٍ ما"، "لحق بـ" (١ تم ٥: ١٠؛ مر ١٦: ٢٠؛ ١ بط ٢: ٢١)؛ παρακολουθειν[١٠]، "آزَرَ"، "رافَقَ"، "صَحِبَ" ("الآيات تصحب المؤمنين"، مر ١٦: ١٧)، "تبعَ تفكيرًا"، "فَهِمَ عقيدة أو استوعبها" (١ تم ٤: ٦)، أو أيضًا "تَابع أحداثًا" وكان على عِلْمٍ بها[١١]، ممّا يعني بالتالي امتلاك معرفة شخصيّة مباشرة وأصيلة؛ فيصبح المعنى أنّ تيموتاوس تَبِعَ بولسَ ورافَقَه، أصغى إليه وفَهِمَ ما يعلّمه، راقَبَه بانتباه شديد، واعتادَ على نظريّاته وعلى طُرُق عمله، واقتدى به وشاركه في كلّ شيء كمساعدٍ له، وعلى تنسيقٍ تامٍّ معه.

– الخصال

يفترض اتّباعُ التلميذ لمعلِّمه الاقتداءَ بخصال هذا الأخير الحميدة، لذلك يلي الكلامَ على اتّباع تيموتاوس لمعلِّمه بولس كلامٌ على **تسع خصال** تشكّل سيرةَ حياةٍ وجيزة للرسول، تحكم فيها الخصلةُ الأولى الخصالَ الأخرى: "أمّا أنت فقد **تبعتني** في تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وصبري ومحبّتي وثباتي والاضطّهادات والآلام" (٢ تم ٣: ١٠–١١أ)؛ فـ"التعليم" هو أساسيٌّ على أكثر من صعيد، خاصّةً على صعيد الإيمان والسلوك والثبات. لكن، وكالمعتاد،

(٧) أنظر كلمة "تيموتاوس" في: بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، بيروت ٢٠٠٣، ص ٣٩١–٣٩٢؛ المؤلّف ذاته، **رسالة القدّيس بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس**، سلسلة محطّات كتابيّة ٢١، لبنان ٢٠٠١، ص ٣١ي.

(٨) للفعل ακολουθειν معنى اللحاق بـ، كما في مت ٨: ١٩: διδασκαλε ἀκολουθήσω σοι، "أتبعك، يا معلّم،..."؛ رج مت ٢١: ٩؛ "تَبِعَ" كتلميذ (مر ١: ١٨؛ ٢: ١٤)؛ "رافَقَ" (يو ٦: ٢)؛ الخ. أنظر مختلف معاني الفعل ἀκολουθείν في:

W. BAUER, *A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature*, The University of Chicago Press, Chicago and London 1979, p. 31.

(٩) ἐπακολουθεω in W. BAUER, *A Greek-English Lexicon*..., p. 282.

(١٠) παρακολουθεω in W. BAUER, *A Greek-English Lexicon*..., p. 618-619.

(١١) رج يوسيفوس، **ضدّ أبيون** (= *Contre Apion*)، ١: ٥٣.

"يكون الناس مُحِبِّينَ لأنفسهم، مُحِبِّين للمال، مُدَّعين، متكبّرين، مُجدّفين، عاقِّين للوالدين، منكرين للجميل، منتهكين للحرمات..." (٢ تم ٣: ٢)، فيفقد التعليمُ عندها قوّته وفاعليّته، ولا يبقى للخصال من مقام، فيتمّ كلامُ عاموس النبيّ القائل: "إنّ الزمان زمان سوء يسكت العاقل فيه" (عا ٥: ١٣)، فيستعلي الجاهل ويستكبر، وتنتفي الحياة، ويسود الموت، لأنّ الربّ أوصى قائلاً: "أطلبوني فتحيوا" (٥: ٤، ٦)، لكنّ الأحمق بدلاً من ذلك، "يسقي النذراء خمرًا، ويأمر الأنبياء بألاّ يتنبّأوا" (٢: ١٢)، و"يحوّل الحقّ إلى مرارة، ويطرح البِرّ إلى الأرض" (٥: ٧). إنّ القضاء على الخصال هو طريق الانحلال والهلاك.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الخصال الحميدة تؤمّن القوّة اللازمة للمؤمن لكي يتمكّن من الشرّ وينبذه، من جهة، ويعمل الخير بثبات على المبادىء والقِيَم بفرح الروح، من جهة ثانية، حتّى ولو كلّف ذلك التضحيات الجسام.

- "تعليمي" (μου τῇ διδασκαλίᾳ)

يحدّد **معجم اللاهوت الكتابيّ** "التعليم" كما يلي: "في كلا العهدَين القديم والجديد، يرتكز الإيمان على وحي إلهي، يحمله الأنبياء... من هنا تبرز أهمّيّة دور التعليم في شعب الله، دور يقدّم علم الأشياء الإلهيّة، عن طريق التلقين. هنا التعليم هو، بادئ ذي بدء، بشارة تعلن خلاص اللّه...، ثمّ إنّه يقدّم عن الخلاص مفهومًا أكثر عمقًا، ويبيّن كيف تحقّق عمليًّا حالة العهد الذي أقامه الله، في مختلف أوضاع حياتنا"[١٢]. يحوي هذا التعليمُ عناصرَ الإيمان الأساسيّة، أي تعليمًا أخلاقيًّا ينصبّ حول الشريعة الإلهيّة، كما جاء في سفر تثنية الاشتراع: "هذه الكلمات التي أنا آمرك بها، كرّرها على بنيك" (تث ٦: ٧؛ ١١: ١٩). وعلى كهنة العهد القديم، في هذا المجال، وبموجب وظيفتهم، الاهتمام بشؤون العبادة والشريعة، فإنّهم بصفتهم هذه يقومون بدور تعليميّ (تث ١٧: ١٠-١١؛ ٣٣: ١٠؛ رج ٢ أخ ١٥: ٣)، وعليهم أن يعرّفوا شعب إسرائيل بكلمة الله لكي تكون على الدوام نصب عينيه (تث ١١: ١٨-٢١). عندما يتغذى المعلِّم بالتعليم المتوارث، يستطيع أن يسلّم "أبناءه" الحكمة الحقيقيّة (أي ٣٣: ٣٣) والمعرفة، ومخافة الرب (أم ٢: ٥؛ مز ٣٣: ١٢)، أي المعرفة الدينيّة الضروريّة للحياة السعيدة.

كذلك يولي يسوع، في حياته العلنيّة، قسطًا وافرًا من نشاطه للتعليم في المجامع (مت ٤: ٢٣//يو ٦: ٥٩)، وفي الهيكل (مت ٢١: ٢٣//يو ٧: ١٤)، و في الأعياد (يو ٨: ٢٠)، بل وكلّ يوم (مت ٢٦: ٥٥). ولقد أوكل الربُّ هذه المهمّة الخلاصيّة إلى تلاميذه قائلاً لهم: "إذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم...، وعلّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصيتكم به" (مت ٢٨: ١٩-٢٠).

بهذا التعليم يوصي بولسُ تلميذَه تيموتاوس في ٢ تم ١: ١٣ ، مشدِّدًا على أن يكون تعليمًا سليمًا سمعه منه فيقول: "إجعل مثالاً لك **كلمات سليمةً** سمعتَها منّي بالإيمان والمحبّة التي في المسيح يسوع". وكان قد نبّه، في ١ تم ٦: ٣-٤، إلى ما يلي: "إن كان أحدٌ يعلّم **تعليمًا مخالفًا**[١٣]، ولا يعكف على الكلمات السليمة، كلمات ربّنا يسوع المسيح، وعلى التعليم بمقتضى التقوى، فهو متكبّر أعمى، لا يَعْلَمُ شيئًا..." (رج غل ١: ٦-٩؛ ١ تم ١: ١٠). هكذا في ٢ تم ٣: ١٠ أيضًا، يهتمّ الرسول بالتعليم الذي يُعطَى بالكرازة، ويولي **التعليم السليم** عنايته الكبيرة، "كلمات الإيمان والتعليم الحَسَن" (١ تم ٤: ٦)، ويهتمّ بطريقة عيشٍ مطابقة تمامًا

(١٢) أنظر كلمة "تعليم" في **معجم اللاهوت الكتابيّ**، دار المشرق، بيروت ١٩٧٤، ص ٢٠١.

(١٣) أيوب شهوان، "١ تم ١: ٣-٧. مهمّة تيموتاوس: مواجهة التضليل ونقل البشارة بأمانة"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ١٩-٣٠. حول التعاليم الزائفة والباطلة في القرن الثاني م، رج دونالد جوثري، **الرسائل الرعوية**، تعريب نكلس نسيم، سلسلة التفسير الحديث للكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٤، ص ٣٩-٤١.

تُقدّم في بعض الهياكل الوثنيّة للعبيد الفارّين. في هذا المنحى، نستطيع القول إنّ أونيسيموس قد لجأ إلى بولس ليحميه من سخط معلّمه، فكلاهما مسيحيّان.

ما هي يا ترى الخدمة التي يُمكن لأونيسيموس أن يؤدّيها لبولس؟ إنّها بدون أدنى شكّ خدمة "في سبيل البشارة": يعاني بولس الأسر، وهو مسؤول عن كنائس وجماعات تحتاج منه لنصائح ومتابعة. لذلك، من السّهل علينا أن نفهم نوعيّة الخدمة التي يقدر أونيسيموس أن يتولاّها: هي خدمة حرّة وشريفة (διακονια) لا علاقة لها بالعبوديّة. في خدمة الإنجيل، يصبح السيّد والعبد شريكين على قدم المساواة. نسمع بولس يعلّم أهل غلاطية قائلاً: "فليُشرك من يتعلّم كلمة الله معلّمه في جميع خيراته" (غل ٦: ٦).

آ ١٤: "غيرَ أنّي لم أشأْ أن أفعلَ شيئًا
من دون رضاكَ لكَيلاَ يكونَ
منكَ الإحْسانُ كَرْهًا، بل
طَوعًا".

عبّر بولس في الآية السابقة عن ودّه (εβουλομην) الاحتفاظ بأونيسيموس، لكنّه لم يرد (والفعل مصرّف في الماضي التام: ηθελησα) أن يفعل شيئًا دون رضى أو موافقة فيلمون. وكلمة "رضى" تأخذ هنا معنًى قانونيًّا محدّدًا: إنّه الرضى الحرّ المُعطى في اتّفاق ما. يرغب بولس في هذا الإطار أن يتّخذ فيلمون قراره بكلّ حريّة وليس كرهًا؛ فبذلك يكون قد تصرّف "بحسب الخير الذي يستطيعه في سبيل المسيح" (آ ٦). الخير هنا لا يطال أونيسيموس وحده، بل يشمل فيلمون أيضًا: بصنعه الخير تجاه عبده، يجني فيلمون في الوقت عينه خيره الشخصيّ.

آ ١٥: "ولعلّهُ لم يُفصَلْ عَنكَ ساعةً
إلاّ لِيُعادَ إلَيكَ لِلأبَد".

يدعو بولس فيلمون إلى عدم الاقتصاص من عبده الفارّ، والأعجب من ذلك، يدعوه إلى اعتبار حادثة الهرب هذه فرصة جميلة إذ سمحت له بأن يخضع للاختبار وأن يعيش واقعًا جديدًا. تدلّ كلمة "لعلّ" (ταχα) إلى هذا الاحتمال. لا بدّ من التنويه بأنّ الفاعل لفعل "يُعاد" أو "يُقبل" (άπεχω) في النصّ اليونانيّ هو فيلمون وليس أونيسيموس، فالأوّل إذًا هو الرابح والمستفيد من هروب الثاني. يقدّم رجوع أونيسيموس إلى سيّده سانحة جميلة كي يختبر فيلمون قوّة النّفس التي تتجلّى في قبول الأخوّة وسط الصدام والخلاف. لم يكن الصدام إلاّ مؤقّتًا ("ساعة"، προς ωραν)، بينما الرّجوع هو "للأبد" (αιωνιον)، وكأنّ فيلمون لن يجد بعد الآن سوى عبد أمين، نادم على فراره، وفيّ له إلى الأبد. تدلّ كلمة "للأبد" ربّما وبشكل مباشر على عدم رغبة بولس في الاحتفاظ بأونيسيموس لديه. وبالتالي، فإنّ علاقة فيلمون وأونيسيموس قد تأسّست على قاعدة ثابتة لن تتزعزع من بعد لأنّها مبنيّة على المسيح.

آ ١٦: "لا لِيَكونَ عَبْدًا بَعدَ اليَوم،
بل أفْضَلَ مِن عَبْد، أي أخًا
حَبيبًا، وهو أخٌ حَبيبٌ جدًّا
إلَيَّ فكم بالأحْرى إلَيكَ، إن
في صِلَة بَشَرِيَّةٍ وإن في صِلَةٍ
في الرَّبِّ".

يجد بولس أنّ استقبال فيلمون لأونيسيموس يتعدّى كونه استقبال سيّد مُهان أو مجروح بسبب عبد مذنب وهارب (ουκετι ως δουλον)، إنّما هو استقبال مطبوع بعاطفة الأخوّة والحبّ الصادق. إنّ كلمة "أخ" غالبًا ما كانت تستخدم بين المسيحيّين الأوّلين (آ ١ و٧)، كما أيضًا كلمة "الحبيب" (αγαπητος) التي كانت تجمع في ما بينهم (آ ١، ٥، ٧، ٩). لقد جمع بولس هنا الكلمتين بطريقة فريدة ليعبّر عن رغبته الشديدة في استقبال أونيسيموس من قبل فيلمون بحسب مبادىء الحياة المسيحيّة النابعة من الإنجيل. إنّ فيلمون الذي يحبّه بولس (آ ١) والذي يحرّكه الحبّ (آ ٥ و٧) لا يقدر سوى أن يحبّ أونيسيموس كما يحبّه بولس نفسه (آ ٨)؛ فالحياة المسيحيّة لا تقف بوجه العبيد إنّما تعارض روح العبوديّة. لسنا هنا في وارد تحرير العبد أونيسيموس، لأنّ تحريره يأتي كنتيجة طبيعيّة لعيش قيم الإنجيل. يضمحلّ منطق الاستعباد

الرّوماني أو التمايز عن الشريعة اليهوديّة، إنّما لكي يقدر الإنجيل مرّة جديدة أن يأتي بثماره محوّلاً العلاقات بين الناس بطريقة جذريّة. من يردّه بولس ليس بعد الآن عبدًا بل "قلبه" ("قلبي": τὰ ἐμὰ σπλάγχνα)، أي أحشاؤه، شخصًا مولودًا منه، غاليًا عليه. والكلمة التي استعملها بولس تحمل في طيّاتها عمق الحبّ الأموميّ، وهي الكلمة ذاتها التي تعبّر عن العلاقة التي تربط إبراهيم بإسحق (حك ١٠: ٥). لقد كان بإمكان بولس أن يحرّر رسالة إلى فيلمون مع الاحتفاظ بأونيسيموس إلى جانبه بانتظار ردّ الأوّل، لكنّه آثر أن يحترم الحقّ الذي يعود لفيلمون على عبده.

٢- "أونيسيموس أخوك" (آ ١٣-١٦)

يتابع الرسول بولس في هذا القسم تقديم حججه، مكرّرًا بعض المواضوعات التي ذكرها سابقًا، معمّقًا إياها بصورة أفضل. إنّه يحذر أن يُملي على فيلمون ما يجب فعله لأنّ الإنجيل هو نبع الحريّة والمسؤوليّة (آ ١٣-١٤). إنّ أونيسيموس هو "أخ حبيب جدًا" (آ ١٦) بالنسبة إلى فيلمون وذلك لسببين رئيسيّين: أولاً، هو أخ حبيب "في المسيح" الذي يُدخل كلّ أعضاء كنيسته في أخوّة حقيقيّة، وثانيًا، هو أخ حبيب بسبب ارتباطه ببولس الذي يُعتبر الأب الروحيّ لأونيسيموس (آ ٨) ولفيلمون (آ ١٣ و١٧) على السّواء. لا يمكننا أن نفكّر بعد الآن أنّ استقبال فيلمون لعبده سيكون استقبال سيّد مسامح يرأف بعبده التائب، بل استقبال الأخ لأخيه. وهذه الأخوّة ستطال كلّ النواحي: فهي ليست أخوّة روحيّة أو دينيّة وحسب ("في المسيح"، آ ١٦)، بل أيضًا أخوّة إنسانيّة وواقعيّة.

لعلّنا نتساءل حول الدوافع الحقيقيّة التي جعلت بولس يُرسل بكتابه هذا إلى فيلمون: هل كان يرغب حقًّا ببقاء أونيسيموس إلى جانبه (آ ١٣)؟ هل كان يتمنّى أن يُعتق هذا العبد، إمّا ليتابع مهمّته عند فيلمون وإمّا ليحتفظ بولس به؟ في الواقع، لا يجزم نصّ الرسالة في هذا المجال. لقد انقسم الشرّاح حول هذه النقطة: بعضهم مثل Lohmeyer يعتبرون أنّ بولس يطلب بطريقة غير مباشرة إعتاق أونيسيموس، والبعض الآخر مثل Müller وStuhlmacher يشدّدون على الحريّة المتروكة لفيلمون بأن يعمل ما يريد. في كلّ حال، إنّ الحريّة التي ينادي بها الإنجيل واحترام استقلاليّة فيلمون في اتّخاذ القرار المناسب هما بلا شكّ أساس تلك العلاقة المتجدّدة والأخويّة التي يجب أن تجمع بين العبد وسيّده.

في كلّ هذه الحسابات، لا يمكننا أن نغفل عن موقف أونيسيموس نفسه من كلّ هذه القضيّة وقد أصبح الآن أخًا وحبيبًا. هل سيكون إعتاقه الحلّ المناسب لبناء مستقبله وضمان وضعه الاجتماعيّ؟ عندما أراد بولس أن يردّ أونيسيموس إلى فيلمون، فهو برهن أنّه لا يخضع بطريقة عمياء إلى القانون القائم. لقد وضع الاثنين وجهًا إلى وجه، كشخصين متساويين في الكرامة، وترك لهما حريّة التفكير وتدبّر الأمر. نستطيع القول إنّه لم يكن هَمَّ بولس الأوّل حلّ مسألة العبوديّة أو اتّخاذ موقف منها؛ لقد عنيَ بولس بإعادة العلاقة بين الاثنين إلى مجاريها على أساس الحبّ والأخوّة التي هي وحدها كفيلة بأن تبيّن المفهوم الحقيقيّ للعبوديّة.

آ ١٣: "وكانَ بِوَدِّي أن أَحتَفِظَ به
لِنَفْسي فيَخدُمَني بَدَلاً لَكَ
في تِلكَ القُيودِ الَّتي أَحمِلُها
مِن أَجْلِ البِشارة".

نرى هنا أنّ سلطة بولس الرسوليّة تتوكّد أكثر فأكثر: لقد شارك في ارتداد فيلمون (آ ١٩)، وها هو أيضًا "يلدُ" أونيسيموس في الإيمان. يستطيع بولس الاحتفاظ بأونيسيموس إلى جانبه ليخدمه، لكنّه لا يهتمّ بما تفرضه القوانين المدنيّة عندما تناقض روح الإنجيل. إنّه الآن في الأسر بسبب الإنجيل، وإعادة أونيسيموس إلى سيّده لم تكن مفروضة عليه.

إنّ فعل "احتفظ" (κατεκειν) يستعمل في بعض الأحيان بمعنى "حمى"، وهذه الحماية هي التي كانت

لمتطلّبات الإيمان[١٤].

– "سيرتي" (μου τῇ ἀγωγῇ)

"إنّ سيرة الإنسان هي تصرّفه وطريقة معاملته للناس. يتحدّث بولس عن طريقة معاملته للكنيسة قبل إيمانه على أنّها سيرته (غل ١: ١٣)، كما يوصي الرسول بطرس بقداسة السيرة (١ بط ١: ١٥)"[١٥].

تعبّر كلمة ἀγωγή[١٦] (٢ تم ٣: ١٠)، عن سلوك أصليّ يتمّ السعي إلى اعتماده بهدف التشبّه بأحد ما (٢ مك ٤: ١٦؛ ٦: ٨)، كما في ١ تس ٢: ١٠–١٢: "نناشدكم أن تسلكوا مسلكًا جديرًا بالله الذي يدعوكم إلى ملكوته ومجده" (رج أف ٤: ١؛ فل ١: ٢٧؛ ٢ تس ١: ٥؛ ١ بط ٥: ١٠)؛ "صوِّبوا أنظاركم إلى السالكين على ما ترون من مثال فينا" (فل ٣: ١٧). ويمكن مقاربة "السيرة" هنا من ١ كو ٤: ١٧ حيث، بواسطة تيموتاوس، يذكّر بولس أهلَ كورنتس بكيفيّة تنظيمه الجماعات المسيحيّة وحُكْمِها: "لذلك بعثتُ إليكم تيموتاوس، فهو ولد حبيب وأمين في الربّ، ليذكّركم طرقي في المسيح يسوع، كما أعلّم في كلّ مكان، في كلّ كنيسة". تعني كلمة "طريق" النهج في التفكير والمسلك معًا، كما نتبيّن من أع ٩: ٢ حيث يطلب شاول من عظيم الأحبار رسائل إلى مجامع دمشق كي يسوق إلى أورشليم الأناس الذين يكونون "على تلك الطريقة"، أي النهج الجديد الذي عاشه المسيحيّون الأوّلون؛ ويتفرّد لوقا باستعمال هذه الكلمة بهذا المعنى في أع ١٨: ٢٥، ٢٦؛ ١٩: ٩، ٢٣؛ ٢٢: ٤؛ ٢٤: ١٤، ٢٢. ولنتذكّر هنا تعليم يسوع القائل: "أنا الطريق" (يو ١٤: ٦)؛ في الحقيقة، دُعِيَ النهج الجديدة الذي رسمه يسوع "طريقًا" (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣؛ عب ١٠: ٢٠)؛ ودُعِيَت المسيحيّة في بدايتها "الطريق" (رج أع ٩: ٢؛ ١٨: ٢٥؛ ٢٤: ٢٢).

لكن لنرجع إلى هذه الكلمة الهامّة في ٢ تم ٣: ١٠، ἀγωγή، "سيرة"، لنشير إلى أنّها تعني في علم الحساب "تَوَجُّه التفكير، أو مَسَار البَرهَنَة"، وبالتالي اتّباع رَسْمِ خَطٍّ بدءًا من نقطة انطلاقه. هكذا يضحي بولس بالنسبة إلى تيموتاوس النقطة المرجعيّة فكرًا، وسلوكًا، ونهجًا، وطريقًا، الخ.

– "قصدي" (μου τῇ προθέσει)

يعني الفعل "قَصَدَ" (فلانًا)، "نَحَا نحوه"، "قَصَدَ إليه"، و"اعتمده"[١٧]. إنّ "القصد" الذي يعنيه القدّيس بولس بشكل ثابت هو ذاك المتعلّق بتصميم الله أو بمخطّطه[١٨]: "الله الذي خَلَّصنا ودعانا دعوة مقدّسة، لا وفق أعمالنا، بل وفْق قصده هو ونعمته..." (٢ تم ١: ٩)؛ "ونعلم أنّ كلّ شيء يعاون على الصلاح الذي يحبّون الله، الذين هم بحسب القصد مدعوّون" (رو ٨: ٢٨)؛ "لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ الله حَسَبَ الاخْتِيَارِ، لَيسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو" (رو ٩: ١١)؛ "حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (أف ٣: ١١)؛ الخ.

يدلّ "القصد" دائمًا، في العهد القديم، على الترتيب: "وادخلْ المائدة، ورتِّبْ عليها ما يجب ترتيبه" (خر ٤٠: ٤)؛ وعلى تنضيد الخبز المعروض: "مَن كان على خبز التنضيد ليهيّئوه في كلّ سبت" (١ أخ ٩: ٣٢)؛ من هنا عبارة "مائدة التنضيد" في ١ مك ١: ٢٣. ولدينا في ٢ مك ٣: ٨ القصد هو النيّة أو التصميم على أمرٍ ما: "وكان هَلْيُودُرُس في الواقع يقصد إنفاذ مَرَام الملك".

أمّا في العهد الجديد، فـ"المقاصد" هي نوايا القلب: "وشرع برنابا يحثّهم جميعًا على أن يتمسّكوا بالربّ، والقلب عازم" (أع ١١: ٢٣)؛ "وهبَّتْ

(١٤) Cf. J. DUPONT, *Les sources du livre des Actes*, Bruges-Paris, 1960, pp. 101ss.

(١٥) أنظر كلمة "سيرة" في **قاموس الكتاب المقدس**، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧١، ص ٤٩٦.

(١٦) Ἀγωγη in: W. BAUER, *A Greek-English Lexicon...*, p. 14-15.

(١٧) أنظر كلمة "قَصَدَ" في بطرس البستاني، **محيط المحيط. قاموس مطوّل للغة العربيّة**، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٧، ص ٧٣٧ي.

(١٨) أنظر عبارة "قصد الله" في **معجم اللاهوت الكتابي**، ص ٦٢٧ي.

ريحٌ جنوبيّة، فظنّوا عزْمَهم على الإقلاع ممكنًا" (أع ٢٧: ١٣)؛ أمّا في ٢ تم ٣: ١٠، فالكلمة تعني تَعَهُّد منهجيّات بولس الرسوليّة، كإعلان البشرى للوثنيّين، ومشروع السفر إلى إسبانيا وتبشيرها (رج رو ١٥: ١٦-٢٩)، ورفْض التبشير في الأماكن التي سبقه إليها آخرون وبشّروا فيها بالمسيح (رج ٢ كو ١٠: ١٢-١٦)، والدوافع لجمع التبرّعات (١ كو ١٦: ١-١٠؛ ٢ كو ٨-٩)، والطواعيّة لإشارات الروح القدس (أع ١٦: ٦-١٠؛ ٢٠: ١٣)، الخ.

- "إيماني" (μου τῇ πίστει)

يُولي بولسُ الأمانةَ لإيمان الكنيسة، وللارتباط الأصيل بتعليمها، عنايةً خاصّةً في مَثَله كما في كلامه؛ فعلى القائد الحقيقيّ في الكنيسة أن يقتفي خطى بولس، خاصّةً في تَحَمُّله الآلام التي تنتج عن التشبُّث بالإنجيل. ففي ١ تم ١: ٥ يقول: "وما غاية هذه الوصيّة إلا المحبّة[١٩] الصادرة عن قلب طاهر وضمير سليم **وإيمان** لا رياء فيه"؛ كذلك في ١ تم ٤: ١٢: "لا يستخفنّ أحد بشبابك، بل كن قدوة للمؤمنين بالكلام والسيرة **والمحبّة والإيمان** والعفاف". يشدّد القدّيس بولس إذًا على "الإيمان والمحبّة"، جامعًا الاثنين معًا، كما في ٢ تم ٢: ٢٢، حيث يوصي تلميذه تيموتاوس قائلاً: "أهرب من أهواء الشباب، واطلب البرّ والإيمان والمحبّة والسلام مع الذين يدعون الربّ بقلب طاهر".

يعلّم الرسولُ ذلك في سياق كلامه على "**طول أناته**" (μου τῇ μακροθυμίᾳ)، كما في ٢ كو ٦: ٦ حيث يكتب: "بل نوصي بأنفسنا في كلّ شيء على أنّنا خدم الله بثباتنا العظيم في الشدائد والمضايق والمشقّات والجَلْد والسجن والفتن والتعب والسهر والصوم، بالعفاف والمعرفة والصبر واللطف..." (٢ كو ٦: ٤-٦)؛ وكما في كول ١: ١١: "متقوّين كلّ قوّة بقدرته العزيزة، على الثبات التامّ والصبر الجميل"؛ أو أيضًا في ٢ تم ٤: ٢: "وَالْزَمِ الصبرَ والتعليم".

كذلك يُعتَبَر "**الصبر**" (ὑπομονη) بالنسبة إلى الرسول، صنوًا للاحتمال فيكتب في ١ كو ١٣: ٧: "المحبّة... تتحمّل كلّ شيء" (رج ٢ كو ٦: ٤)؛ وفي ٢ كو ١٢: ١٢ يقول بولس للكورنثيّين: "إنّ العلامات المميّزة للرسول قد تحقّقت بينكم بصبر تامّ وآيات وأعاجيب ومعجزات"؛ وفي ١ تم ٦: ١١: "أمّا أنت، يا رجل الله، فاهرب من ذلك، واطلب البِرَّ والتقوى والإيمان والمحبّة والصبر والوداعة" (أنظر أيضًا تي ٢: ٢؛ ٢ تم ٢: ١٠، ١٢).

آ ١١

- "اضطّهاداتي" μου τοῖς διωγμοῖς

يَربط بولسُ "**الاضطّهادات**" التي تُقاسَى "من أجل الكلمة" (كما جاء في مت ١٣: ٢١: "يطرأ بسبب الكلمة ضيقٌ أو اضطّهاد")، أو "من أجل المسيح" (كما جاء في ٢ كو ١٢: ١٠: "لذلك أرتضي بضعف وشتم وضرورة واضطّهاد وحصر من أجل المسيح")، بـ"**المحبّة**" (رو ٨: ٣٥: "مَن يفصلنا عن محبّة المسيح؟ أضيقٌ أم حصرٌ أم اضطّهاد...؟")، وبـ"**الاحتمال**" (٢ تس ١: ٤: "إنّنا نفتخر بكم في كنائس الله لثباتكم وإيمانكم في جميع اضطّهاداتكم والمضايق التي تحتملون")، كما أيضًا بـ"**الآلام**" (παθήματα)[٢٠] التي تكثر في الرسول: "فكما تزداد علينا آلامُ المسيح، كذلك بالمسيح تزداد أيضًا تعزيتنا" (٢ كو ١: ٥-٧)؛ "إنّي أفرح الآن بالآلام من أجلكم، وأُتمّ في جسدي ما نقص من مضايق المسيح" (كول ١: ٢٤؛ رج أف ٣: ١، ١٣؛ أع ٩: ١٦؛ ٢ كو ٤: ١٠-١٢؛ ١١: ٢٣؛ ٢ تم ٢: ١٠؛ كول ٢: ١؛ ١: ١٨).

(١٩) C. SPICQ, *Les composantes de la notion d'agapé dans le NT*, Sacra Pagina, Paris 1959, pp. 440-455.

أنظر شرح تعليم الرسول القائل: "إنّ غاية هذه التوصية المحبّة" (١ تم ١: ٥)، في أيوب شهوان، "١ تم ١: ٣-٧. مهمّة تيموتاوس..."، ص ٢٥-٢٦.

(٢٠) جمع كلمة πάθημα التي تعني "معاناة" أو "محنة" (رو ٨: ١٨؛ ٢ كو ١: ٥-٧؛ فل ٣: ١٠؛ كول ١: ٢٤؛ ٢ تم ٣: ١١؛ عب ٢: ٩؛ ١٠: ٣٢؛ ١ بط ٤: ١٣؛ ٥: ١، ٩؛ "آلام المسيح" (١: ١١)؛ كما تعني أيضًا "الألم" (رو ٧: ٥؛ غل ٥: ٢٤).

"ابني الذي ولدتُه في القيود". لقد "ولدَ" (ἐγέννησα) بولس ابنًا له (τοῦ ἐμοῦ) وهو بمثابة قلبه أو أحشائه (τέκνου آ ١٢: τὰ ἐμὰ σπλάγχνα. إنّ الصورة البيانيّة للأبوّة الروحيّة كانت رائجة في اليهوديّة وفي العالم الهلّينيّ. وهذه الصورة غالية على قلب بولس، إذ غالبًا ما يقدّم نفسه كأب وأمّ للمؤمنين الذين ولدهم ببشارة الإنجيل (١ كو ٤: ١٥؛ غل ٤: ١٩؛ ١ تس ٢: ١١).

يذكر بولس ولمرّة واحدة في الرسالة اسم "أونيسيموس"، وذلك بعد سلسلة من التعابير التي تدلّ على كونه شخصًا عزيزًا عليه: "ابني"، "الذي ولدتُه في القيود". واسم "أونيسيموس" كان متداولاً بين العبيد في تلك الحقبة، ومعناه "ما هو نافع"، ويُذكر في العهد الجديد في (كول ٤: ٩). كيف يمكن لعبد أن يصبح عزيزًا على بولس، رغم أنّنا نعلم أنّه "ليس نافعًا" ؟ يبرّر بولس ذلك في تمييزه بين "بالأمس" و"الآن" (آ ١١). بالأمس، لم يكن لأونيسيموس ما يشفع به، وبولس يعترف بذلك: لقد كان "غير نافع" (آ ١١)، "عبدًا" (آ ١٦)، قد أساء إلى فيلمون وكان عليه دين (آ ١٨). يمثّل أونيسيموس فئة الناس الأقلّ احترامًا في المجتمع، فهو عبد سارق وفارّ، أمّا الآن، فكلّ شيء قد تبدّل بفضل ولادته الجديدة. لقد أصبح أونيسيموس نافعًا (آ ١١: εὐχρηστον)، "أخًا حبيبًا" (آ ١٦)، يخدم بولس بكلّ أمانة (آ ١٣). إنّ من يبعثه بولس إلى فيلمون هو إنسان جديد. وأونيسيموس هذا الذي ولده بولس قد أصبح "خاصّته"، وذلك بحقّ الولادة، كما هو خاصّة فيلمون بحقّ الملكيّة. إنّه يخصّ الاثنين معًا.

آ ١١: "الّذي كانَ بِالأَمْسِ غَيرَ نافِعٍ لَكَ، وأَمَّا الآنَ فَلي ولَكَ صارَ نافِعًا".

الاسم هو الإنسان بحدّ ذاته، حتّى أنّ الإيمان المسيحيّ في العصور الأولى كان يقود إمّا إلى تغيير الاسم دلالة على الحياة الجديدة في المسيح (سمعان أصبح بطرس، وشاول بولس)، وإمّا إلى لفت الانتباه إلى أنّ الاسم يطابق شخصيّة الإنسان الحقيقيّة. وهنا، في هذه الآية، يشير بولس إلى أنّ أونيسيموس، بارتداده إلى الإيمان المسيحيّ، قد وجد معنى دعوته الحقّة. لقد كان عبدًا سيئًا بفراره من بيت سيّده، وكان بذلك "غير نافع" (ἄχρηστος)، رغم أنّه يحمل اسم "نافع" و"مفيد" ("أونيسيموس"). لكنّه أصبح الآن بالمسيح "نافعًا" (εὐχρηστον) مطابقة مع الاسم الذي يحمله. إنّ قبول الإنجيل يحوّل الإنسان المؤمن إلى "خليقة جديدة" (٢ كو ٥: ١٧؛ غل ٥: ٦؛ ٦: ١٤). ونقرأ في إنجيل متّى كيف أنّ بطرس (πετρος) أصبح "صخرة" (πετρα) عليها تُشاد الكنيسة. نشير هنا إلى أنّ القديس يوستينوس، ومنذ القرن الثاني، قد لحظَ أنّ الجناس اللّغويّ واللعب على الكلمات (εὐχρηστος ἄχρηστος) يمكن أن يدلّ على لقاء أونيسيموس الشخصيّ بالمسيح: في الماضي، كان "بدون المسيح" (ἄχρηστος)، أمّا الآن، فهو "مع المسيح" (εὐχρηστος) (**كتاب الدفاع** ١، ٤: ١).

ما يلفت انتباهنا في هذه الآية هو الأسلوب الأدبيّ الرّقيق الذي اعتمده الكاتب؛ فقد عبّر بكلمات وجيزة عن واقع إنسانيّ عميق. أضف إلى ذلك الشفافيّة التي تميّز روح بولس الذي اعترف بخطأ أونيسيموس ("غير نافع") ودعا إلى تجاوزه مبشّرًا بمستقبل مختلف تمامًا.

"لي ولك صار نافعًا": بهذه العبارة، يجد فيلمون نفسه سيّدًا غير معزول أو متفرّد، بل في وضع يجعله على قدم المساواة مع الرسول نفسه. إنّ الإفادة التي يقدّمها أونيسيموس لبولس لا تقتصر فقط على خدمات يستطيع أن يقدّمها له (آ ١٣)، بل تفيد أكثر من ذلك: إنّه يبرهن له مرّة أخرى كيف أنّ قوّة الإنجيل تستطيع أن تفعل فعلها رغم كلّ الصّعوبات والقيود. يأمل بولس هنا أن يختبر فيلمون بنفسه قوّة الإنجيل هذه التي تغيّر القلوب والعقول.

آ ١٢: "أَردّهُ إِلَيكَ، وهو قَلْبي".

"أردّه إليك": يردّ بولس العبد أونيسيموس إلى سيّده فيلمون، وذلك ليس بدافع الحفاظ على القانون

كلّ الخير الذي تستطيعه في سبيل المسيح". يمكننا الاستنتاج أنّ بولس لم يستعمل مطلقًا فعل "أمر"، وآثرَ عليه تقديم الحجج والإقناع. وفي سائر كتاباته، يستعمل بولس أربع مرات كلمة (ἐπιταγη) ليدلّ على أمر أو وصيّة، لا منه (١ كو ٧: ٦؛ ٢ كو ٨: ٨)، بل من الله (رو ١٦: ٢٦) أو من الربّ (١ كو ٧: ٢٥)، مفضّلاً هو نفسه إعطاء رأي فقط (١ كو ٧: ١٧)، وذلك بسلطان لا يخفى على أحد (١ كو ١١: ٣٤؛ رو ١٦: ١٩).

لا يثير بولس إمكانيّة استخدام سلطته ليفرض على فيلمون تصرّفًا محدّدًا، ولكن كي يدلّه على مسلك عامّ ("ما يجب"). في رفعه صلاة الشكر (آ ٤-٧)، يبدو أنّ بولس يعرض لنا الإيمان كخيرٍ عام، كقاعدة حياة يشترك فيها الجميع (آ ٦). ولكننا نتساءل: إلامَ يشير بولس بولس هنا، أإلى قانون رومانيّ أو يهوديّ، أم إلى قاعدة سلوك مسيحيّة؟ في إعادته أونيسيموس إلى سيّده بينما هو يحتاج إليه في السّجن، يظهر لنا وكأنّ بولس يخالف الوصيّة الموسويّة التي تفرض على اليهوديّ ألاّ يطرد أو يُرجع عبدًا هرب من بيت سيّده وطلب اللجوء إليه (تث ٢٣: ١٦-١٧). لكنّ بولس في الحقيقة يحافظ من جهة على روحيّة الوصيّة الموسويّة التي تتمسّك بحقّ الملكيّة، ومن جهة أخرى على النظام القانونيّ الذي يناهض كلّ تعسّف يقوم به السيّد تجاه عبيده (خر ٢١: ٢٦-٢٧). إنّ الشريعة الموسويّة تطلب من السيّد أن يعامل عبده تمامًا كما يعامل الله شعب اسرائيل (تث ٥: ١٢-١٥؛ ١٥: ١٢-١٥). يبدو أنّ بولس يفكّر بهذه الوصيّة أو القاعدة حين يطلب من فيلمون القيام بما يجب.

آ ٩: "فقَد آثَرتُ أن أسْألَكَ باسمِ المَحَبَّة سُؤَالَ بولُسَ الشَّيخِ الكَبير الَّذي هو الآنَ مع ذلك سَجينُ يسوعَ المسيح".

في هذه الآية، نرى أنّ بولس يتوسّل باسم المحبّة. إنّ أسلوب التوسّل هنا لا يدلّ على التبعيّة، لا بل إنّ الفعل اليونانيّ παρακαλῶ يحمل مدلول الحزم والإرادة (رج ٢ كو ١٢: ٨). وإنّنا نجد في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي استعمالاً مشابهًا لفعل التوسّل هذا حيث يقول بولس بعد إعرابه عن العلاقات الوثيقة التي تربطه بالمُرسل إليهم وبلهجة حارّة وحنان أموميّ: "فوعظناكم وشدّدناكم وناشدناكم أن تسيروا سيرةً جديرة بالله الذي يدعوكم إلى ملكوته ومجده" (١ تس ٢: ١٢).

إنّ المتوسّل هنا ليس شخصًا يعتمد على وظيفة ما أوعلى مركز، إنّما على اسمه الشخصيّ "بولس" (آ ١٩): إنّه يتدخّل مباشرة مع الأشخاص المعنيين بموضوع الرسالة (آ ١-٣ و٢٣)، ويقف إلى جانب أونيسيموس ليكون المحامي والمدافع عنه وعن قضيّته أمام فيلمون. بولس هذا هو "شيخ" (πρεσβύτης). ونظرًا إلى التقارب في اليونانيّة بين لفظة πρεσβύτης، أي "شيخ"، ولفظة πρεσβευτης التي تعني "سفير"، واللغط في ما بينهما، اقترح بعض الشرّاح أن يجدوا في الكلمة المستخدمة هنا صفة "سفير"، أي سفير يسوع المسيح. في حين أنّ شرّاحًا آخرين، ومنهم Lohse وStuhlmacher، يفضّلون معنى "شيخ" اعتمادًا على إطار النصّ حيث يقدّم الرسول بولس نفسه كإنسان فقير، أسير ومجرّد من كلّ شيء. إنّ الأسر الذي يعاني منه الرسول وشعوره بالعجز، ثمّ لقاءه بأونيسيموس، كلّ ذلك سيكشف لنا غنى وفعاليّة حقيقة الإنجيل وخصب الإيمان.

تذكّرنا صورة بولس الشيخ الكبير بصورة إبراهيم أبي المؤمنين (رو ٤: ١ وما بعدها) الذي هو نفسه شعر أيضًا بالعجز في شيخوخته: "ولم يضعف (إبراهيم) في إيمانه حين رأى أنّ جسده قد مات (وكان قد شارف المائة)، وأنّ رحم سارة قد ماتت أيضًا. ففي وعد الله لم يتردّد لعدم الإيمان، بل قوّاه إيمانه، فمجّد الله متيقّنًا أنّ الله قادر على إنجاز ما وعد به" (رو ٤: ١٩-٢١). فبولس، وهو شيخ مثل إبراهيم، قد أعطاه الله أن يلد في الإيمان ابنًا له، أونيسيموس. هذا هو الإيمان الذي يجترح المعجزات.

آ ١٠: "أسألُكَ في أمْرِ ابنِيَ الَّذي وَلَدتُه في القُيود، أُونيسِمُسَ".

يستعيد بولس مفهوم الولادة الروحيّة ويوسّعه. فهذه الولادة تأخذ هنا طابعًا فريدًا إذ ترتبط "بالقيود":

لقد عانى المسيح **المضايق والآلام** حتّى الموت، وشاركه الرسل الذين واصلوا رسالته في تلك المضايق عينها (٢ كو ٤: ١٠-١٢). ويعلن بولس في ٢ كو ١: ٥، وفل ١: ٢٠ أنّه يشارك المسيح في "مضايقه" بكلّ ما يعاني من آلام في سبيل الإنجيل، وتلك المضايق هي ميزة العهد المسيحانيّ النهيويّ (مر ١٣: ٥-١٠؛ مت ٢٤: ٨؛ أع ١٤: ٢٢؛ رو ٥: ٣؛ ١ تم ٤: ١)، كما أنبأ يسوعُ بها رسلَه؛ ويَعتبر بولسُ نفسَه مَعنيًّا بها بشكل خاصّ.

لا يورد بولس من المضايقات سوى تلك التي قاساها في أنطاكية (أع ١٣: ٥٠: "أثار اليهودُ النساءَ العابداتِ النبيلات، وأعيانَ المدينة، وحرّضوا على اضطّهاد بولس وبرنابا، وطردوهما من بلادهم")، وفي إيقونية (١٤: ٥: "فَهَمَّ الوثنيّون واليهود ورؤساؤهم بإذلال الرسولَين ورجمهما")، وفي لِسْتْرَة (١٤: ١٩: "ثمّ جاء يهودٌ من أنطاكية وإيقونية، وأقنعوا الجموع، فرجموا بولس، وجَرُّوه إلى الخارج المدينة، حسبوه ميتًا")؛ كما يذكر أيضًا مضايقات الجولة الرسوليّة الأولى، والتي لم يشارك تيموتاوسُ فيها؛ ولكنّ بولس العجوز يحبّ أن يورد ذِكْرَ المِحَن الأولى (رج غل ٤: ١٣: "تعلمون أنّي في وَهْن الجسد بشّرتكم للمرّة الأولى")، منها تلك التي عاناها في لِسْتْرَة كانت في غاية القساوة (رج ٢ كو ١١: ٢٥: "ضُرِبْتُ بالعُصيّ ثلاث مرّات، ورُجِمْتُ مرّة...")، إذ ضُرِب بولس بالعصيّ مرّة في فيلبّي (أع ١٦: ٢٢)، ورُجِم مرّة في لِسْتْرَة (١٤: ١٩)؛ ومن المفروض أن يكون تيموتاوس شهد هذا الرَجْم، كما والدتُه "اليهوديّة المؤمنة" و"أبوه اليونانيّ" (١٦: ١) اللذان من المحتمل أن يكونَا قد ضَمَّدَا جراحه (رج ١٤: ٢٠). في كلّ حال، لقد أعلم بولس تلميذَه تيموتاوس بمحطّات درب آلامه، هذا الدرب الذي قاده إلى لِسْتْرَة، وسمح لتيموتاوس بأن يرتدّ إلى الإيمان، كما "سيولَد أونسيموس في قيود" بولس السجين الروماني (فلم ١٠: "أتوسّل إليك من أجل ولدي أونسيموس الذي ولدتُه في السلاسل")، أي أنّ بولس هداه إلى الإيمان بالمسيح (١ كو ٤: ١٥؛ غل ٤: ١٩) وهو في ظروف قاسية "في السلاسل".

قد يكون تيموتاوسُ رأى بولسَ مُهانًا ومشتومًا ومُضطَهَدًا، ففهم عظمةَ الإيمان الجديد؛ وبما أنّه اتّخذ شخصَ بولس وحياتَه نموذجًا يُحتَذَى، "تبعه" (٢ تم ٣: ١٠) قلبًا وروحًا في آلامه الرسوليّة: "أيّ اضطّهادات احتملتُ!"(٣: ١١).

إنّ الإيمان الذي يَنسبُ الخلاصَ إلى الله (٤: ١٧-١٨: "لكنّ الربّ قام إلى جانبي وقوّاني...، وقد نُجِّيتُ من فم الأسد؛ سينجّيني الربُّ من كلّ عمل شرّير، ويخلّصني من أجل ملكوته السماويّ..."؛ رج ٢ كو ١: ٩-١٠)، يؤدّي عفويًّا الشكر لله في صيغة ليتورجيّة معروفة بوضوح في العهد القديم (مز ٣٤: ١٨، ٢٠؛ ٩١: ٣ي؛ رج أش ٤٣: ٢-٣؛ نا ١: ٧).

آ ١٢

تربط الكلمتان καὶ... δὲ (١ تم ٣: ١٠؛ رو ١١: ٢٣)، أي "أجَل" (الترجمة البولسيّة)، أو "فـ" (الترجمتان اليسوعيّة والمشتركة)[٢١]، القولَ المأثور في ٢ تم ٣: ١٢ بما سبق، وتوسّعان مضمونَه ليشمل "جميع" (παντες) المؤمنين "**الذين يرومون**" (οἱ θέλοντες) "**أن يحيَوا بالتقوى**" (εὐσέβεια؛ أنظر ١ تم ٢: ٢: "لنقضي حياة مطمئنّة وهادئة بكلّ تقوى وشرف"؛ تي ٢: ١٢: "فإنّ نعمة الله تؤدّبنا حتّى نحيا في الدهر الحاضر برزانة وبرّ وتقوى")، أي أن يكونوا مسيحيّين أصيلين.

- "في المسيح يسوع"

توضح العبارة "**في المسيح يسوع**" نوعيّة التقوى وتحدّدها، فتعني أنّ المؤمنين يكونون متّحدين بالمسيح وفيه، وأنّ اقتداءهم بالمسيح يعني حَمْلَ الصليب: "نشارك المسيح في آلامه لنشاركه أيضًا في مجده" (رو ٨: ١٧)؛

(٢١) حرفيًا تعني العبارة καὶ... δέ، "وأيضًا"، "ولكن أيضًا".

"مَن لا يحمل صليبه ويتبعني لا يقدر أن يكون تلميذًا لي" (لو ١٤: ٢٦-٢٧). فعندما يرغب الإنسان في أن يُرضي الله، وهذا جوهر التقوى، هناك خيار يجب القيام به في العالم (مت ٦: ٢٤؛ ٢ كو ٥: ١٤ي؛ ١ يو ٢: ١٥ي) لذلك تحصل **الاضطهادات**. هنا يعلن بولس المبدأ الكبير **للخُلُقيّة المسيحيّة** الذي أطلقه يسوع: "طوبى للمضطَهَدين من أجل البِرّ" (مت ٥: ١٠؛ ١٠: ٢٨؛ رج ٧: ١٣)، كما يُعلن **التدبير الخلاصي** الإلهيّ: إنّ نهاية الأزمنة (٢ تم ٣: ١) هي نهاية "الضيق العظيم" (مت ٢٤: ٢١، ٢٩؛ رؤ ١: ٩؛ ٢: ٢٢؛ ٧: ١٤).

في لسترة وإيقونية وأنطاكية علّم بولسُ وبرنابا الإخوةَ: "علينا أن نَمُرَّ **بشدائد** كثيرة لندخل ملكوت الله" (أع ١٤: ٢٢). لكنّ هذه الشدائد هي خاصّةُ الحياة الرسوليّة (مت ١٠: ٢٢-٢٣؛ يو ١٥: ١٨ي؛ ١٦: ١-٤، ٣٣: "في العالم ستكون لكم شدائد")، وبنوع خاصّ القدّيس بولس (أع ٩: ١٦)، الذي أنبأ قائلاً: "فلمّا كنّا عندكم، كنّا نكرّر لكم القول إنّا سنعاني **مضايق**، كما صار وكما تعلمون" (١ تس ٣: ٤؛ رج ١: ٦؛ ٣: ٧). وعند اقتراب غروب حياته، أخذ واقعُ الاختبار هذا (٢ كو ١١: ٢٣ي؛ ١٢: ٧-١٠) قيمةَ شريعة وعقيدة سيعتنقهما تيموتاوس إلى أقصى حدود، وستطمئناه في مواجهة الشكّ الذي ستسبّبه المحنُ التي ستأتي.

١٣ آ

- "أناس أشرار" (πονηροὶ δὲ ἄνθρωποι)

يقف في وجه الرسل الحقيقيّين المضطَهَدين مُروِّجو نظريّة نهاية الأزمنة، الذين يَرِدُ ذكرُهم في آ ١-٩، والذين يوصَفون بأنّهم **"أناس أشرار"** (πονηροὶ δὲ ἄνθρωποι)؛ هكذا يشير العهد القديم إلى هؤلاء (أش ٢٥: ٤-٥؛ ١ مك ١٤: ١٤؛ رؤ با ١٣: ١، ٣)؛ فإنّهم عنيفون وظالمون (إر ١٥: ٢١)، الأمر الذي يجعلهم حصرًا في مواجهة الأتقياءِ الوارد ذكرهم في آ ١٢.

في العهد الجديد، "الأشرار" هم الأناس العديمو الأخلاق؛ هكذا يدعوهم بولس في ٢ تس ٣: ٢ (πονηρῶν ἀνθρώπων)؛ ويأمر في ١ كو ٥: ١٣ بأن يُبعَدَ الشرير من الجماعة: "أزيلوا الفاسد من بينكم" (ἐξάρατε τὸν πονηρὸν ἐξ ὑμῶν αὐτῶν؛ رج يو ٣: ١٩-٢٠). إنّهم "المبغِضون للصلاح" (ἀφιλάγαθοι) في آ ٣؛ لكنّ المصطلحات البلاغيّة المعاصرة تدلّ هكذا على المشعوذ (δόλιος)، كما نرى في ٢ كو ١١: ١٣: إنّهم "عملةٌ **ماكرون**" (δόλιοι)، وكأليهو في **وصيّة أيوب**: "أليهو، أليهو الشرّير وحده، لن يترك ذكرًا له وسط الأحياء. ما إن ينطفىء سراجه حتّى يخسر النور، وضياء مصباحه يحكم عليه؛ فهو ابن الظلمات لا ابن النور... نُزِعَت خطيئتُنا، طُهِّرَ إثمُنا، ولكنّ أليهو الشرّير لم يترك له ذكرًا وسط الأحياء" (٤٣: ٥-٦، ١٧)[٢٢].

- "المشعوذون" (γόητες)

من هنا كان جمع هؤلاء الأشرار مع **"المشعوذين"** (γόητες)؛ إنّهم السَحَرَة، الخدّاعون، مِثْل يَنّاس ويمبريس (آ ٨)، وتيوداس[٢٣]، الذين يقومون بمهنة **التضليل**. وكما حدث في حياة يسوع، هكذا تكثّفت الظلمات شيئًا شيئًا حتّى تمكّنت من حجب النور يومَ الصَلْب. سيذهب الكَذَبَةُ ومضطَهِدو الرسل دائمًا إلى الأمام في اختلاق "أسوأ" (χεῖρον)[٢٤] الدسائس وفي انحلالهم الروحيّ. لذا يوصي بولسُ تيموتاوس قائلاً: "وتجنَّبِ الكلامَ الفارغَ الدنيويَّ؛ فالذين يأتون به **يزدادون**

(٢٢) **وصيّات الآباء الاثني عشر**، **وصيّة إبراهيم**، **وصيّة موسى**، **وصيّة أيّوب**، تقديم وتعريب بولس الفغالي، سلسلة على هامش الكتاب ٤، الرابطة الكتابيّة، لبنان ٢٠٠٠، ص ٢٦٧ و٢٦٩.

(٢٣) يوسيفوس، **العتيقات** ٢٠: ٩٧.

(٢٤) المفردة اليونانيّة χείρων هي صيغة أفعل التفضيل للمفردة κακός، وتعني "أسوأ" أو "أكثر قسوة" (مت ٢٧: ٦٤؛ مر ٢: ٢١؛ ٥: ٢٦؛ لو ١١: ٢٦؛ يو ٥: ١٤؛ ١ تم ٥: ٨؛ ٢ تم ٣: ١٣؛ عب ١٠: ٢٩؛ ٢ بط ٢: ٢٠.

"بالمسيح" أربع مرّات (آ ٦، ٨، ٢٠ و٢٣) وعبارة "بالربّ" مرّتين (آ ١٦ و٢٠) تأكيدًا على مركزيّة المسيح في كلّ ما يقوله المؤمن ويعمله.

١ – "أونيسيموس ابني" (آ ٨-١٢)

في هذا القسم من رسالته، يدخل الرسول بولس في صميم المسألة التي تشغل فكره والتي دفعَتهُ بشكل مباشر لكتابة رسالة إلى فيلمون. بعد استعماله الكلمات الرّقيقة نحو فيلمون وتوجيه المديح له (آ ٥-٧)، يحاول بولس الآن أن يستفيد من علاقته الوديّة به كي يستجرّ عاطفته إلى القبول بطلبه ونجاح شفاعته. يعتبر بولس أنّ له "مونة" على فيلمون تمكّنه من أن يطلب منه ما هو لخير أونيسيموس العبد الفارّ من بيته. في هذا الإطار، نجد كلمة "لذلك" السببيّة (آ ٨) تربط هذا القسم الرئيسيّ بما سبقه. لقد اعتمد بولس خطّة استراتيجيّة مدروسة في تقديم طلبه إلى فيلمون. في مرحلة أولى، وبأسلوب منمّق ومتقن، لم يلجأ بولس إلى لهجة الأمر والفرض. إنّه يتمتّع بسلطان روحيّ ومعنويّ على فيلمون، كون الأخير مدينًا له بإيمانه، لكنّه آثر أن يتوسّل إليه بلهجة الشيخ والأسير (آ ٩-١٠).

لا شكّ أنّ هناك أكثر من قضيّة محاولة استمالة عاطفة فيلمون والتأثير عليه، فالهدف الأساسيّ هو الدعوة إلى المشاركة في سرّ الإنجيل حيث تظهر القوّة في الضّعف، هذا السرّ الذي انكشف في ارتداد أونيسيموس ودخوله في الإيمان، والذي يأمل بولس أن ينجليَ أكثر في عودة أونيسيموس إلى سيّده فيلمون. سنحاول للتوّ أن نتوقّف عند أهمّ التفاصيل في هذا القسم من الرّسالة والتي تساعدنا على فهم مضمونها والغرض من كتابتها.

آ ٨: "لذلك إنّي، وإن كانَ لي إلى حَدٍّ بَعيد حُرِّيَّةُ الكَلامِ في المسيحِ لأَن آمُرَكَ بما يَجبُ علَيك".

كلمة "لذلك" السببيّة تدخلنا كما ذكرنا في صلب الموضوع وتربط ما يليها بما سبقها، أي أنّ كلّ ما سيطلبه بولس من فيلمون يعتمد بشكل عام على خصال فيلمون الحميدة التي ذُكرت آنفًا (آ ٤-٧)، وعلى محبّته على وجه الخصوص (آ ٥، ٧، ٩). وهذا التوجّه يضع جانبًا لغة الأمر والتسلّط ليفتح المجال للطلب والتوسّل (آ ٩-١٠). إنّ تجنّب بولس استخدام لغة الأمر ما هو إلاّ دليل على حسّه الإنسانيّ المرهف، يأتي منسجمًا مع جوّ الرسالة وغايتها. كان نظام المجتمع الرومانيّ في زمن الرسول يقوم على احترام الهرميّة (بين السيّد والعبد، بين الرسول والمؤمن...)، أمّا النظام الجديد الذي أتى به الإنجيل فقد أسّس لعلاقات إنسانيّة قوامها المشاركة والأخوّة. كيف يمكن لبولس أن يطلب من فيلمون أن يتخلّى عن حقوقه وسلطته على أونيسيموس، وهي حقوق مشروعة، إذا أراد هو أن يفرض عليه أمرًا مستخدمًا حقّه عليه؟ في الحقيقة، إنّ بولس يعلّم بمَثله: هو يريد أن يُظهر ما هو أساس وتأثير الامتناع عن استعمال السّلطة، وخاصّة السلطة التي تنفتح على المحبّة (آ ٩).

إنّ مفهوم السّلطة (παρρησία) والذي يعني في المجتمع الديمقراطيّ اليونانيّ القديم "الحقّ في قول كلّ شيء"، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحقيقة والحريّة، قد استخدمه بولس مرّات قليلة، وضمن إطار حرّيّة القول التي يمنحها الإنجيل أو إعلان البشارة (٢ كو٣: ١٢ ؛ ٧: ٤؛ فل ١: ٢٠). إذا كانت السلطة التي لفيلمون على عبده أونيسيموس تنبع من حقّه المشروع كسيّد، فهي بالنسبة إلى بولس تخضع لسلطان روحيّ ("في المسيح") يترجم في "الأمر بما يجب" (آ ٨). عندما نعود إلى الكلمة اليونانيّة (τὸ ἀνῆκον) أي "ما يجب" ذات المدلول القانونيّ والسياسيّ، نجد أنّ هذه الكلمة لم تُستعمل في العهد الجديد إلاّ في هذا الموضع وفي الآداب البيتيّة (أف ٥: ١؛ كول ٣: ١٨). يحدّد هذا الاستعمال أنّ هدف السلطة هو الوصول إلى الخير الذي كُشفَ في المسيح والذي عناهُ بولس في الآية ٦ بقوله: "وأسأله أن يجعل مشاركتكَ في الإيمان فعّالة بمعرفة

الرسالة إلى فيلمون

أونسيمس ابني (آ ٨-١٢) وأخوك (آ ١٣-١٦)

الخوري جورج فؤاد شهوان

مُجاز في اللاهوت، جامعة الروح القدس – الكسليك

٨ لذلك إنِّي، وإن كانَ لي إلى
حَدٍّ بَعيد حُرِّيَّةُ الكَلامِ في
المسيحِ لأَن آمُرَكَ بما يَجبُ
عليكَ،
٩ فقد آثَرتُ أن أسْأَلَكَ باسم
المَحَبَّة سُؤَالَ بولُسَ الشَّيخِ
الكَبير الَّذي هو الآنَ مع ذلك
سَجينُ يسوعَ المسيح.
١٠ أسأَلُكَ في أَمْرِ ابنِيَ الَّذي
وَلَدتُه في القُيود، أُونيسمُسَ
١١ الَّذي كانَ بالأَمْسِ غَيرَ نافعٍ
لَكَ، وأَمَّا الآنَ فلي ولَكَ صارَ
نافعًا.
١٢ أَرُدُّهُ إِلَيكَ، وهو قَلْبي.
١٣ وكانَ بِوُدِّي أن أحتَفِظَ به
لِنَفْسي فيَخدُمَني بَدَلاً لَكَ في
تلكَ القُيودِ الَّتي أحمِلُها من
أَجْلِ البِشارة.
١٤ غَيرَ أَنِّي لم أَشَأْ أن أفعَلَ شَيئًا
من دون رِضاكَ لِكَيلاَ يكونَ
مِنكَ الإِحْسانُ كَرْهًا، بل
طَوعًا.
١٥ ولَعَلَّه لم يُفصَلْ عَنكَ ساعةً إلاَّ
لِيُعادَ إِلَيكَ لِلأَبَد،
١٦ لا لِيَكونَ عَبْدًا بَعدَ اليَوم ،
بل أَفْضَلَ من عَبْد، أي أَخًا
حَبيبًا، وهو أَخٌ حَبيبٌ جدًّا
إِلَيَّ فكم بالأَحْرى إِلَيكَ، إِن
في
صِلَةٍ بَشَرِيَّةٍ وإِن في صِلَةٍ في
الرَّبِّ.

مقدّمة

بعد القسمين الأوليين من رسالة القديس بولس إلى فيلمون، واللذين يتألّفان من العنوان والتحيّة (آ ١-٣) وفعل الشكر والصلاة والتهاني (آ ٤-٧)، نلجُ إلى لبّ الرسالة وموضوعها الأساسيّ، ألا وهو التشفّع من أجل أونيسيموس (آ ٨-٢١). وفي هذا القسم الوسيط والمهمّ، ينكشف لنا سبب تحرير بولس لرسالته القصيرة هذه، كما تظهر لنا جليّةً صورة بولس الإنسان المحبّ، صاحب المشاعر الرقيقة، وذلك في علاقته مع أونيسيموس وفيلمون على السّواء.

يندرج موضوع التشفّع في هذه الرّسالة على مستويّين اثنين من العلاقات:

- المستوى الأوّل مبنيّ على فكرة الإنابة (substitution): نستطيع القول إنّ أونيسيموس هو في الوقت عينه ممثّل فيلمون لدى بولس وممثّل بولس تجاه فيلمون.
- المستوى الثاني يرتكز على مفهوم المحاكاة (imitation): إنّ العلاقة التي تجمع بولس بأونيسيموس تجد نموذجها ومثالها في العلاقة التي تربط المسيح بالمؤمن. وبالتالي، هذه العلاقة يجب أن تكوّن المثال المُحتذى به للعلاقة التي من المستحبّ أن تنشأ بين فيلمون وعبده. الرجوع إلى المسيح ثابتٌ لدى بولس، فهو يستند إلى المسيح في كلّ عمل يقوم به، وفي كلّ فكرة يعيشها أو يحكم فيها. وإنّنا نراه في رسالته هذه إلى فيلمون يكرّر عبارة "في المسيح" أو

(προκόψουσιν) في الكفر تورُّطًا" (٢ تم ٢: ١٦). لكنّهم سيقعون في الفخّ الذي نصبوه، لأنّ الكذب الذي هو سلاحهم، سيكون أداةَ هزيمتهم، كما كان الصليب بالنسبة إلى الشيطان.

تُعَلِّم الكتبُ الحكميّةُ أنّ الشرّير يسقط في الهوّة التي يحفرها (مز ٧: ١٦؛ أم ٢٦: ٢٧؛ ٢٨: ١٠)، وأنّ اللهَ "يقبض الحكماء في دهائهم" (رج عو ٨؛ إر ٥٠: ٣٥؛ ٥١: ٥٧؛ دا ٢: ١٢، ١٣، ٢٤)، غير مُتيحٍ لهم أن يحقّقوا توقّعاتهم (رج أي ٥: ١٢–١٣، الذي تستشهد به ١ كو ٣: ١٩)، الذين في شأنهم يورد الترجوم ذِكْرَ عَرَّافيّ فرعون. كان بولس إذًا يعرف ذلك، كما فيلون أيضًا الذي يذكر صراع السفسطائيّين السَحَرَة ضدّ الكلام الإلهيّ ويختم: "يجعلهم نبوغهم السيّء يبلغون إلى خرابهم بالذات، وينخدعون حيث يبدون أنّهم يَخْدَعُون"[٢٥] (رج الفريسيّين العميان وقادة العميان الذين يسقطون في الهوّة، حسبما جاء في مت ١٥: ١٤).

– خادعون ومخدوعون (πλανῶντες καὶ πλανώμενοι)

يصعب نَقْل الكلمتَين المتشابهتَين، πλανῶντες καὶ πλανώμενοι، كما الفعل πλαναω، "تاه"، الذي يعني في الوقت عينه "**خدع**" (رج πάπανταν، ١ تم ٢: ١٤؛ روؤ با ٤: ٨)، و"**ضَلَّ**" (رج تي ٣: ٣)؛ لكن بما أنّ الكلام يجري على سَحَرَة وأنبياء كَذَبَة (رج ٢ تس ٢: ١١)[٢٦]، فإنّ التركيز هو أكثر فأكثر على سَفَه الكَذَبَة الذين يخدعون أنفسهم وهم **يضلّلون** الآخَرين؛ إنّهم **خادعون ومخدوعون**. ولكثرة الانحرافات، والخدائع، والتفكير الكاذب، يبلغ السفسطائيّ إلى إضاعة مفهوم الحقّ، وإلى تشويش حكمه الخاصّ (يع ١: ٢٦: "يخدع قلبه"؛ رج رو ١٦: ١٨: "يخدعون قلوب الأبرياء")؛ الساحر هو الضحيّة الأولى لسحره. لا يمكننا أن نتصوّر تهديمًا أسوأ من ذلك للعقل ("إنّهم فاسدو العقل"، آ ٨). يُعاقَب المرء بما اقترف؛ إنّ النصيحة السيّئة تؤذي صاحبها كثيرًا، وكذلك الفاسد يُفسِد نفسه بذات الفعل.

آ ١٤

– "أمّا أنت" (σὺ δὲ)

لدينا هنا نقيضة جديدة واستعادة للحَثّ الذي ورد في آ ١٠: "**أمّا أنت**" (σὺ δὲ).

–"فاثبت أنت على ما تعلَّمتَ وتيقَّنْتَ"

في حين أنّ العلماء الكَذَبَة "**يزدادون**" (προκόψουσιν، آ ١٣) شرًّا، يستمرّ (μένω) تيموتاوس راسخًا، غيرَ متزعزع، و"**ثابتًا على ما تَعَلَّمَه**" (ἐν οἷς ἐμάθες καὶ ἐπιστώθης؛ رج ٢ تم ٢: ١٣: "يظلّ أمينًا")، أي على حقائق الإيمان التي تعَلَّمَها (رج أع ١٤: ٢٢؛ يو ٨: ٣١؛ ١ تم ٢: ١٥)، ممّا يعني أنّه لم يستنبطها. هو يعرف أسباب مصداقيّتها (πίστεως)، وهو مقتنع تمامًا بصحّتها. يُستعمل الفعل πιστόω، أي "شعر بالثقة" أو "اقتنع"، للكلام على **اليقين** الراسخ الذي يمتلكه المؤمن تجاه الله وعهده (مز ٧٨: ٨، ٣٧)[٢٧]، وعلى الاقتناع الذي يحصل عليه عَبْرَ البرهان (٢ مل ١٢: ٢٥: "وأقنعهم بكلام كثير بأنّه يطلقهم سالمين")، وعلى الشهادة (مز ٩٣: ٥: "شهادتك صادقة جدًّا")، وعلى القَسَم (مز ١١٩: ١٦: "أقسمتُ وسأنجز أن أحفظ أحكام برّك")[٢٨].

(٢٥) فيلون، **هجرة إبراهيم** ٨٣ = *Migration d'Abraham*.

(٢٦) A. M. DENIS, "L'apôtre Paul, prophète messianique", *ETL* (1975) 269ss.A

(٢٧) "حتّى يضع البنون ثقتهم في الله، ولا ينسوا أعمال الربّ، بل يحفظوا وصاياه" (مز ٧٨: ٨).

(٢٨) أنظر مثلاً مز ١١٩: ١٦: "أقسمت وسأنجز أن أحفظ أحكام برّك"؛ نح ١٠: ٣٠: "ودخلوا في يمين لعنة، على أن يسيروا في شريعة الله..."؛ رج يوسيفوس، **الحرب** ٤: ٢١٣.

في العهد القديم، يطلب المؤمنون بأن "تتحقّق الكلمة" التي فاه بها الله: أنظر مثلاً ١ أخ ١٧: ٢٣: "والآن، أيّها الربّ، ليثبت للأبد الكلام الذي تكلّمتَ به عن عبدك وعن بيته، وافعل كما قلت"[٢٩]. لقد تتلمذ تيموتاوس تتلمذاً كاملاً (μαθες، من الفعل μανθάνω، "تَعَلَّمَ"، أو "تَلَقَّنَ"؛ أنظر مت ١١: ٢٩؛ مر ١٣: ٢٨؛ يو ٧: ١٥؛ ١ كو ١٤: ٣١؛ فل ٤: ١١؛ كول ١: ٧؛ ١ تم ٢: ١١؛ عب ٥: ٨؛ رج رو ١٦: ١٧: "تعليم تلقّنتموه")؛ هو رَجُلُ إيمانٍ صافٍ مقتنعٌ بهذا الإيمان (٢ تم ١: ١٢)، وقد برهن عن ذلك بالتماثل العمادي. إنّ كلمة πληροφορια، "ملء اليقين"، "يقين تامّ"، وهنا بالتالي **"ملء يقين الإيمان"**، كما في كول ٢: ٢: "ساعين إلى كلّ غنى ملء اليقين"؛ وفي عب ١٠: ٢٢: "فلنُقبِلْ بقلب صادق في ملء يقين الإيمان"؛ بالنتيجة هناك لدى تيموتاوس صلابة في اليقين والإيمان وعدم تَبَدُّل في القناعة، خاصّةً لأنّه "عالِم على مَن تَعَلَّمَ".

آ ١٥

-"تَعَلَّمتَ الكتبَ المقدّسةَ منذ نعومة أظفارك"

تُقَدِّم عبارةُ **"وأنّك"** (καὶ ὅτι)، المرتبطةُ بالمصدر "عالمًا" (εἰδὼς، آ ١٤)، لجملة أخرى موازية ومعطوفة على سابقتها، والاثنتان تعلّلان أمانةَ تيموتاوس.

- "منذ الطفولة"

لقد تَعَلَّمَ تيموتاوس الكتبَ المقدّسةَ وتنشَّأ عليها **"منذ الطفولة"** (ἀπὸ βρέφους)؛ التعبير هنا هو نوع من المبالَغَة (رج لو ٢: ١٢، ١٦؛ ١٨: ١٥؛ أع ٧: ١٩؛ ١ بط ٢: ٢)، كما لو كنّا نقول: "بالكاد وُلِدَ"، وذلك بهدف تحريك مشاعرِ أسقفٍ أفسس وإثارتها؛ فإيمان هذا الأخير لم يُستَقَ فقط من مصدر جيّد (أي من معلّمين مؤهَّلين، آ ١٤)، بل من معطي الإيمان، وبالتالي فإنّ موضوعَه، أي **كلام الله**، هو الأكثر أصالة.

وإذا كان تيموتاوس قد تعلَّمَ الكتب المقدّسة بهذه الدقّة، فلا حاجة له بالتالي إلى أن يسعى إلى البحث في مكان آخَر، أو إلى أن يَدَعَ التنظيرات الرائجة تَلِجُ إلى فكره. في إسرائيل، كانت التنشئة الدينيّة تبدأ باكرًا: "وأمّا الصبيّ فكان يخدم الربّ أمام عالي الكاهن" (١ صم ٢: ١١؛ رج آ ١٨)؛ "وكان والدَا سوسنّة بارَّين، فربّياها على حسب شريعة موسى" (دا ١٣: ٣). في هذا السياق كان يهوذا بنُ تيما يقول: "في سنّ الخامسة الكتاب (المقدّس)، في العاشرة المِشنَهْ، وفي الخامسة عشرة التلمود" (**فصول الآباء** ٥: ٢١)[٣٠]؛ وحرفيًّا يقول النصّ: "بين كلٍّ من دراسة الكتاب المقدّس، ودراسة المشناه، ودراسة التلمود، خمس سنوات، لأنّه، بحسب خبرة الحكماء، خمس سنوات هي فترة ضروريّة وكافية لمعرفة مدى إمكانيّة التلميذ، وقابليّته للاستمرار في الدراسة بكلّ كفاءة"[٣١]. كان هناك اعتقاد لا بل يقين بأنّ التنشئة الأولى تضمن المستقبل: "دَرِّب الفتى بحسب طريقه، فمتى شاخ لَن يحيد عنه" (أم ٢٢: ٦)[٣٢].

- "الكتب المقدّسة"

ترتكز قناعة تيموتاوس الإيمانيّة على **"الكتب المقدّسة"** (٢ تم ٣: ١٥) التي نقلها المعلّمون الأوائل، وبالتالي على تقليد يشكّل معياراً في هذا المجال. بالنسبة إلى تيموتاوس، المعلّمون هم **أُمّه وجدّته** (١: ٥: "جدّتك لُوئيس، وأمّك أُونيكَة")، لكن أيضًا **بولس، والشيوخ** (رج ٢: ٢، ٨)، ومبشّرون آخَرون مجهولوّ الهويّة ("على مَن تعلَّمْتَ" (παρὰ τίνων ἔμαθες)

(٢٩) رج أيضًا ٢ أخ ١: ٩: "فالآن، أيّها الربّ الإله، ليتحقّق كلامك لداود أبي"؛ ٦: ١٧: "والآن، أيّها الربّ إله إسرائيل، ليتحقّق قولك الذي كلّمت به عبدك داود"؛ الخ.

(٣٠) **فصول الآباء، פרקי אבות**، ترجمها من العبريّة إميل عقيقي، سلسلة الأدب الرابّيني ٢، كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ٢٠٠٨، ص ١٣٧.

(٣١) **فصول الآباء**، ص ١٣٧، حاشية ٨٤.

(٣٢) يوسيفوس، **ضدّ أبيون** ٢: ٢٠٤؛ رج ١: ٦٠: παιδοτροφία. أنظر:
A.R. MILLIARD, *Reading and Writing in the Time of Jesus*, Sheffield Academic Press 2000.

على مثال الربّ (لو ٢٣: ٣٤: "يا أبتِ، إغفر لهم")، وإسطفانس (أع ٧: ٦٠). فالمحبّة لا تُضمر سوءًا، كما قال الرسول نفسه في ١ كو ١٣: ٥.

غاب كلّ شاهد يخفّف من الحكم على بولس، فصار وضعُ الرسول ميؤوسًا منه. هذا على مستوى البشر، ولكن لا على مستوى الله؛ فالمسيح القائم من الموت هو هنا. كان قرب إسطفانس حين كان يُرجَم، فناداه الشهيد: "أيّها الربّ يسوع، تقبّل روحي" (أع ٧: ٥٩). وحين كان بطرس في السجن، أرسل الرب ملاكه فنجّاه، فأعلن: "الآن تأكّد لي أنّ الربّ أرسل ملاكه فأنقذني" (أع ١٢: ١١). وعد يسوع تلاميذه حين يكونون أمام الولاة والحكّام: "لا يهمّكم كيف تدافعون عن أنفسكم أو ماذا تقولون" (لو ١٢: ١١). ثم إنّ الربّ طلب من بولس أن يستعدّ ليشهد له في رومة، وذلك خلال السفر بحرًا: "تشجَّعْ! مثلما شهدت لي في أورشليم، هكذا يجب أن تَشهد لي في رومة" (أع ٢٣: ١١). مرّة أولى شهد بولس ليسوع. والآن سيكون الشاهدَ والشهيد، ويسوعُ يكون بقربه فيعطيه القوّة والعزاء. قوّة البشر ضعيفة، وعزاء الناس يبقى في الخارج، أمّا الربّ فهو من يملأ القلوب بالفرح في وقت الشدّة ويمنحهم السلام العميم. وهكذا فعل مع بولس الذي تمنّى أن ينحلّ ليكون سريعًا مع المسيح.

كان بولس وحده. كلاّ؛ فالربّ بقربه. هل كان أحبّاؤه قربه؟ بل أعداؤه. ولكن على مستوى الإيمان، الكنيسة كلّها كانت بقربه؛ فبالإضافة إلى الذين ذكرهم، هناك برسكلّة وأكيلا (٢ تم ٤: ١٩). بدأ معهما الرسالة ولا يزالان في قلبه. ثم أونيسيفورس الذي جاء إلى رومة وبحث عن الرسول في كلّ مكان حتّى وجده. قال عنه في ٢ تم ١: ١٦: "رحم الله بيت أونيسفورس لأنه شجّعني كثيرًا وما خجل من قيودي، بل أخذ يبحث عنّي عند وصوله إلى رومة حتّى وجدني". وتطلّع الرسول إلى أرِستُس (أع ١٩: ٢٢). هو يواصل الرسالة في كورنتوس؛ فعملُ الإنجيل يجب أن يتواصل وهو لا يرتبط بشخص. تروفيمس هو مريض في ميليتس. وقد يكون زار بولسَ في سجنه بعضُ الأصحاب، وكأنّهم لا يزالون حاضرين معه: هم أعضاء في كنيسة رومة. أبّولّس هو صاحب المشورة والفطنة. بوديس هو المتواضع والمتحلّي بالبساطة. جعل التقليدُ من أبّولّس عضوًا في مجلس الشيوخ؟ هداه بطرس فصار عضوًا فاعلاً في الكنيسة. أمّا كلودية فهي زوجته. وهكذا نكون أمام عائلة مسيحيّة تعمل في الرسالة، على مثال أكيلا وبرسكلّة. وأخيرًا لِينُس هو ابن كلودية، ويبدو أنّه كان أوّل خلفٍ لبطرس على كرسيّ رومة[١٦].

الخاتمة

هكذا جلسنا بعض الوقت مع بولس في سجنه الثاني الذي فيه تنتهي حياته. سجنٌ قاسٍ لا يزوره إلاّ بصعوبة من يريد أن يزوره. ولكنّ الإيمان يرفع الرسول إلى ما وراء الجدران، فلا تقف بوجهه الحواجز، لا المسافات ولا بُعد الأشخاص أو تخلّيهم عنه. وإن هو قال: "لا أحد معي"، ففي الواقع الله معه، يعزّيه، يقوّيه، لا يدع اليأس يدخل إلى قلبه. ومن يكون سائرًا مع الله، مسجونًا مع الربّ يسوع، لا يمكن أن يكون وحده؛ فالكنيسة كلّها معه. وإن هو صلّى كما الربّ صلّى في بستان الزيتون، أو على الصليب، فلا بدّ أن يقول: لتكن مشيئتك يا ربّ. وفي النهاية: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي، تمَّ كلُّ شيء". ذاك كان وضع بولس في غروب حياته. ولكن مثلُ هذا الرسول لا يُلقي السلاح بسهولة؛ فهو الجنديّ الجالس على صهوة حصانه يوجّه الرسالة من عمق سجنه، بل يريد "مصاحف" الأسفار المقدّسة لكي يدعو الأمم إلى الإيمان، كما اعتاد أن يفعل. وإن هو مُنع، أرسل هذا إلى هنا، وذاك إلى هناك. هكذا يتمجّد الله، فتهتف الكنيسة مع رسولها نحو الربّ: "له المجد إلى أبد الدهور. آمين".

(١٦) أوسابيوس، **التاريخ الكنسيّ** ١٣: ٤–٨؛ إيرينه، **الردّ على الهراطقة** ٧: ٤٦: ١٧–١٩.

كان مسؤولاً عن توقيف بولس، إن لم يكن عن الشهادة ضدّه، بحيث اتّخذ الاتهام منحى مأساويًّا. نقرأ الفعل ενδεικνυμαι في ٢ تم ٤: ١٤: قدّم البرهان. وشى إلى السلطات، لاحق في القضاء. وشى الإسكندر ببولس، ولحق به إلى رومة ليشهد عليه[١٥].

قال يسوع عن الخائن: "الويل للإنسان الذي به يُسلَّم ابن الانسان؟" وتذكّر التلميذ: "ليس تلميذ أفضل من معلّمه" (مت ١٠: ٢٥). لهذا قرأ مز ٥٢: ١٣أ: "أَفِقْ، يا سيّد، فتجازي كلّ إنسان حسب أَعمالِه". وقرأ مز ٤٨: ٤: "عامِلْهم يا ربّ حسب سلوكهم وحسب شرّ أعمالهم". وقال الرسول: "الربّ يجازيه حسب أعماله" (٢ تم ٤: ١٤). يبقى على تيموتاوس أن يحترس منه (آ ١٥)، لئلاّ يكون ضحيّة الكذب، شأنه شأن معلمه.

أتُرى الرسول هو وحده في المحنة؟ كلاّ. سبق وقال: "ما وقف أحد معي" (٢ تم ٤: ١٦أ) (ουδεις μοι παρεγενετο). وأضاف: "تركوني كلّهم (εγκατελιπον). سامحهم الله" (آ ١٦ب). ويسوع أيضًا، يقول عنه إنجيل مرقس: "تركوه كلّهم وهربوا" (مز ١٤: ٥٠).

البشر تركوا الرسول، لكن لا الله. قال بولس: "الربّ وقف معي وقوّاني" (παρεστη ٢ تم ٤: ١٧). المسبق هو في الفعلين: γινομαι ثمّ ιστημι.

ويضيف الرسول إلى هذا "الحضور"، الوقوفَ بجانبه في "السجن"، وكأنّه يريد أن يرافع عنه ويحميه: "وقوّاني" (ενεδυνάμωσεν). جعل قوّة (δυναμις) في داخلي.

هنا نعود إلى مز ٢٢ الذي ينتهي بكلام عن الرجاء وعن الاستعداد للانطلاق من أجل البشارة. أوّلاً هي النجاة مع الفعل ρυομαι الذي يرد مرّة أولى في الماضي المبهم (aoriste): نجوتُ أو نُجِّيت (في صيغة المجهول، ερρυσθην). والذي فَعل مرّة أولى يتمّم في ما بعد. لهذا جاء الفعل مرّة أخرى ولكن في صيغة المضارع: "سوف ينجّيني" (ρυσεται). مثل هذا الكلام يرد في مز ٢٢. نقرأ في آ ٢٠ صيغة الأمر ρυσαι: "نجّني". وفي آ ٢١، فعلاً آخر في الأمر، يحمل المعنى عينه: σωσον. وكما أنّ المرتّل الذي نجا من الموت "يُخبر باسم الرب إخوته، ويهلّل له بين الجماعة" (آ ٢٣)، هكذا يفعل الرسول. به تتمّ (πληποφορηθη)، أو صيغة المجهول: "تُكمَّل". هو الربّ يُتمّمها بواسطة سجينه. ولا يقول الرسول كما قيل في المزمور: أهلّل (υμνησω): "أنشد مدائح"، بل هو يعلن نشيده (δοξα): "له المجد إلى أبد الدهور".

وما هو هدف البشارة والدعوة؟ "ليسمع جميعُ الأمم" (τα εθνη) (٢ تم ٤: ١٧). أمّا هذا الذي يقوله مز ٢٢: "جميع الأمم تتذكّر الربّ، وترجع إليه من أقاصي الأرض. أمام وجهه تسجد جميع الشعوب" (آ ٢٨). هذا يعني أنّ الإنجيل، الخبر الحلو، يجب أن يصل إلى جميع البشر. يذكر نصُّ المزمور كلَّ أقاصي الأرض (παντα τα περατα της γης). يرد لفظ "كلّ" مرّة أولى مع "الأقاصي"، ومرّة ثانية πασαι مع الأمم: πασαι αι πατριαι των εθνων. وفي النهاية، الربّ هو مَن يخلّص رسوله، مع الفعل الذي قرأناه في مز ٢٢: σωσει. تلك هي ثقة بولس: يعيش في الرجاء مع أنّه عالم بأنّه "ذبيحة يُراق دمُها، وساعة رحيله اقتربت" (٢ تم ٤: ٦). فماذا ينتظر؟ "إكليل البرّ الذي سيكافئني به الربّ الديّان العادل في ذلك اليوم" (آ ٨). "البرّ (δικαιοσυνης)، هذا البرّ الذي عمل (εποιησεν) في البشريّة، وبالتالي في تقيّ الله، سوف يصبح موضوع بشارة: ανγγελουσιντην δικαιοσυνην (مز ٢٢: ٣٢).

قُبض على بولس بوشاية من اليهود أو من اليهومسيحيّين. وبدأت المحاكمة في وجود الفضوليّين الكثيرين، مع الأقارب والأصحاب، فلا يحسّ المتّهم " أنّه وحده في وجه أشخاص يريدون أن يأكلوا لحمه"، كما يقول المزمور. ولكن بولس وحده. لا أحد بقربه. لا أحد معه. أحسّ بالحزن والمرارة. لماذا هربوا؟ خافوا على أنفسهم، أو هم رأوا أن لا فائدة من البقاء هنا بعد أن انتهى كلّ شيء. هل حقد الرسول على أحد؟ كلاّ، بل طلب من الصفح لهم قبل موته

(١٥) الثانية إلى تيموتاوس، ص ١٥١-١٥٢.

الذين لم يكونوا سوى ناقليّ البشرى السارّة، الذين دعّموا شيئًا فشيئًا قناعات المؤمن. وترتكز هذه القناعة أيضًا ("**عالمًا**"، εἰδὼς، مصدر سببيّ) على صفة المعلّمين؛ فلم يكن هؤلاء أناسًا مغامرين أو ذوي أذهان مشوَّشة، بل ذووه بالذات، وأبوه الروحيّ الذي يعرف جيّدًا صِدْقَه وفضائلَه ("أمّا أنت، وقد اتَّبَعْتَ تعليمي وسيرتي..."، آ ١٠). إنّ هذا الدافع للإيمان بالله، استنادًا إلى شهادة بشرٍ، هو جدير بالملاحظة (يو ١٣: ٢٠؛ عب ١٣: ٧)، وهو يفترض أهمّيّة الزرْع الأوّليّ؛ فالثمار ترتبط بالبذار وبالتجذّر الأوّل (يع ١: ٢١؛ أبُولّوس لم يكن أبدًا عالمًا بالروح القدس). الصفة هي مرتبطة بالأصل، وتعليم التلميذ يرتبط بنبوغ المُعلِّم.

لقد تَعلَّمَ تيموتاوس الفتى إذًا من أمّه أونيكة قراءة "**الكتب المقدّسة**" (τὰ ἱερὰ γράμματα)؛ العبارة مختارةٌ بنجاح، لأنّ كلمة γράμμα، أي "ما هو مكتوب أو مُسَطَّر"، تعني أوّلاً "حَرْفًا" من الألفباء، كما نقرأ في غل ٦: ١١: "أنظروا ما أكبر الحروف التي أخطّها لكم بيدي"؛ أو في ٢ كو ٣: ٧: "فإذا كانت خدمة الموت المنقوشة حروفها في حجارة قد أعطيت بالمجد...". وتعني الكلمةُ أيضًا "الكتابة"، أو "الوثيقة المكتوبة" (لو ١٦: ٦؛ أع ٢٨: ٢١)، أو "امتلاك الثقافة" (أي امتلاك "الأحرف"؛ "كيف يقرأ وهو لم يَتَعَلَّمْ؟"، يو ٧: ١٥؛ رج γράμματος ἀ، "أُمِّيّ"، في أع ٤: ١٣: "وعَلِموا أنّ بطرس ويوحنّا أُمِّيّان"). عندما تُضاف الصفَة "مقدّس" (١ مك ١٢: ٩؛ رو ١: ٢) على "ما هو مكتوب" أو "مسَطَّر"، يصبح هذا الأخير يعني ما نسمّيه أيضًا "الكتاب"، γραφὴ، كما في ٢ تم ٣: ١٦: "الكتاب كلّه"؛ وفي أع ٨: ٣٥: "تكلَّمَ فيلبُّس، وانطلق من نصّ الكتاب...".

لقد تعلّم تيموتاوس إذًا أن يقرأ في النصّ البيبليّ أنّ كلّ تنشئته الإنسانيّة والدينيّة كانت بيبليّة، وأنّ تربيته في الحضانة جعلت منه "إنسانًا بيبليًّا"؛ فللكتب المقدّسة بحدّ ذاتها، وبشكل دائم، للصغار كما للكبار، قوّة (τὰ δυνάμενα ἐνεργὴς؛ رج في عب ٤: ١٢) التعليم، والتأديب، والتربية إنسانيًّا وخُلُقيًّا ودينيًّا.

– "صَيَّرَ حكيمًا" (σοφίζω)

يشكّل الفعل σοφίζω، أي "**صَيَّرَ حكيمًا**"، جزءًا من المصطلحات التقنيّة للتربية (παιδεία) اليهوديّة، وهو يعني غالبًا "**تَصَرَّفَ بحكمة**" (جا ٢: ١٩؛ ٧: ٢٣؛ سي ١٨: ٣١)؛ لذلك، "أن يكون المرء صدّيقًا" (جا ٧: ١٦؛ سي ٧: ٥)، وهذا خاصّةُ الأذكياء (سي ١٨: ٢٩؛ ٣٨: ٢٤–٢٥؛ ٤٧: ١٤؛ رج ١ مل ٥: ١١)، يفترض الخضوع لتعليم الشريعة، والوصايا، والكلام المُلْهَم: "أصغوا إلى التأديب لكي تصبحوا حكماء" (أم ٨: ٣٣؛ مز ١٠٥: ٢٢؛ سي ٥٠: ٢٨). من هنا الاستعمالان: "أعطى الحكمة" و"حَكَّم"[٣٣]، اللذان ينبغي مقاربتهما من الفعل σωφρονιζείν، "شجَّعَ"، "أشار على"، "حضّ على" (كما في تي ٢: ٤: "حتّى ينبّهنَ النساء الفتيّات أن يكنّ مُحبّات لرجالهنّ...")، ومن صيغة الهِفْعِيل (הִשְׂכִּיל) للفعل שָׂכַל: "إني أعلمك" (אַשְׂכִּילְךָ) وأرشدك في الطريق الذي تسلكه، وأكون ناصحًا لك، وعيني ترعاك" (مز ٣٢: ٨؛ رج الـ מַשְׂכִּיל؛ في قمران، الذي يعلّم الحكمة بالشرح البيبليّ[٣٤]. إنّها لثابتةٌ أنّه، من أجل تنشئة رَجُلِ الله، لا يوجد سوى كلام الله.

– "الخلاص بالإيمان"

انطلاقًا من وجود رباط تقليديٍّ بين التوراة وتعاليمها، من جهة، وبين الفعل σωφίζειν، من جهة أخرى، أي "حَكَّمَ" أو "صَيَّرَ حكيمًا"، يجد بولسُ نفسَه مُلْزَمًا بأن يركّز على أهمّيّة "**الخلاص بالإيمان**؛ في العهد الجديد؛ نقرأ في فل ١: ١٨–١٩: "فإنّ المسيح

(٣٣) أنظر مز ١٩: ٨: "شهادة الربّ صادقة تعقّل البسيط"؛ ١١٩: ٩٨: "وصيّتك جعلتني أحكم من أعدائي لأنّها لي إلى الأبد".

(٣٤) J. CARMIGNAC, *Les textes de Qumran*, Paris 1961-1963, I, p. 140; II, pp. 57, 209.

يُبشَّر به في كلّ حال، سواء أكان برِياءٍ أم بصدق؛ فبهذا أفرح ولن أزال أفرح لأنّي أعلم أنّه يؤول إلى خلاصي"؛ وفي ١ تم ٣: ١٣: "فإنّ الذين يحسنون الخدمة ينالون منزلة رفيعة وجرأة عظيمة بالإيمان الذي في المسيح يسوع". من الآن وصاعدًا، هناك موضوعٌ واضح **للإيمان الذي يخلِّص**، ألا وهو المسيح الربّ والمخلِّص، لكن فقط مَن يتعلَّم الكتاب المقدّس ويَتَثَقَّف ويتأدَّب به يستطيع أن يحصل عليه، بعكس ما تؤدّي إليه الغباوة التي تتكلّم عليها آ ٩: "ولكنّهم لن يذهبوا إلى أبعد من ذلك، لأنّ حمقهم سينكشف لجميع الناس...".

يصف بولسُ وَضْعَ بني إسرائيل الذين سيبقون **عاجزين عن أن يروا ويؤمنوا**، وذلك بسبب عمى قلوبهم، فيقول: "أجل، إلى اليوم، كلّما قُرِئَ موسى، فهناك على قلوبهم قناع، ولكن لا يُرفَع هذا القناع إلاّ بالاهتداء إلى الربّ" (٢ كو ٣: ١٥-١٦)؛ وجاء في الرسالة إلى العبرانيّين: "فقد بشّرنا به نحن أيضًا كما بشّر به أولئك، ولكنّهم **لم ينتفعوا بالكلمة** التي سمعوها، لأنّهم لم يتّحدوا في الإيمان بالذين كانوا يسمعون" (عب ٤: ٢).

كانت عبارةُ **"الخلاص بالإيمان"** الصيغةَ المتداولةَ والتي تشكّل بدون شكّ جزءًا من التعليم الدينيّ السائر؛ هذا ما يؤكّده القدّيس بولس حيث يقول: "فصارت الشريعة لنا حارسًا يقودنا إلى المسيح لِنُبرَّر بالإيمان" (غل ٣: ٢٤)؛ كذلك كتاب أعمال الرسل: "وله يشهد جميع الأنبياء بأنّ كلّ مَن آمن به ينال باسمه غفران الخطايا" (أع ١٠: ٤٣)؛ والقدّيس بطرس: "عن هذا الخلاص كان فحص الأنبياء وبحثهم، فتنبّأوا بالنعمة المعدّة لكم" (١ بط ١: ١٠). تختصر هذه الصيغة المتداولة دفاع الكنيسة الأولى الدينيّ في وجه اليهود؛ فعلى خطى يسوع (لو ٢٤: ٢٧، ٤٤؛ يو ٥: ٣٩، ٤٦)، كان الرسل يبرهنون أنّ المسيح هو بالحقيقة مَن تكلّمت عليه إنباءات العهد القديم (أع ١٧: ٣، ١١؛ رج ٣: ١٨؛ ٧: ٥٢؛ ١٣: ٢٩؛ ٢٦: ٢٢-٢٣، ٢٧؛ ٢٨: ٢٣)[٣٥]؛ ولكون تيموتاوس قد تربّى على الطريقة اليهوديّة، فإنّه قد استقى نورًا خلاصيًّا مُحييًا، وسيجد هذا النورَ أكثر فأكثر عند إعمال فكره في كلام الله، لأنّه يغذّي الإيمانَ بالمسيح يسوع: "وأنتَ إذا ما عرضتَ ذلك للإخوة كنتَ للمسيح يسوع خادمًا صالحًا، وقد تغذّيتَ بكلام الإيمان وبالتعليم الحسن الذي تبعتَه" (١ تم ٤: ٦). إنّ هذه القيمة المعطاة للعهد القديم هي بولُسيّة بامتياز، ومن الصعب الاعتقاد أنّ آخَر غيره استطاع أن يتكلّم على الكتب المقدّسة بيقينٍ ووضوحٍ وعزمٍ وقوّةٍ كما فعل هو.

آ ١٦

– **"الكتاب المُلْهَم من الله والمفيد"** (γραφὴ θεόπνευστος καὶ ὠφέλιμος)

تشكّل آ ١٦ مرجعًا هامًّا لموضوع الإلهام البيبليّ[٣٦]. لم يَعُد تيموتاوسُ الولدَ المسيحيَّ الصغير، الذي يغتذي من "الكتب المقدّسة" (ἱερὰ γράμματα)، بل راعي قطيع المسيح في كنيسة أفسس، والذي عليه أن يستقي كلَّ وسائلِ خدمته من **"الكتاب المُلْهَم من الله والمفيد"**؛ إنّ التركيز هنا هو على كلمة **"مفيد"** (ὠφέλιμος).

– **"الكتاب كلّه"** (πᾶσα γραφὴ).

يُقال عادةً إنّ للأداة **"كلّ"** (πας) التي تسبقها أل التعريف، عندما تُستَعمَل مع اسم، معنىً جَمْعيًّا (collectif): "بمجمله"، "على الإجمال" (رج غل ٥: ١٤: "كلّ الناموس"، ὁ γὰρ πᾶς νόμος)؛ ولكن من دون أل التعريف يصبح المعنى توزيعيًّا (distributif "كلّ واحد"، "أيُّ نوع" ؛ مثلاً: "وجميع القدّيسين" πάντας ἁγίους، رو ١٦: ١٥)؛ "والله قادر أن يزيدكم كلّ نعمة...، وتزدادون في كلّ عمل صالح" (...πᾶσαν χάριν ٢ كو ٩: ٨ πᾶν ἔργον)؛ "كلّ بركة" (πασῃ εὐλογίᾳ، أف ١: ٣؛ رج

(٣٥) C. F. D. MOULE, *The Birth of the NT*, New York 1962, pp. 53-85.

(٣٦) حول موضوع الإلهام عامّةً وفي تعليم بولس خاصّةً، رج: *The New Jerome Biblical Commentary*, London 1990, 65: 9-16.

(θεου) في بشارة المسيح ليشجّعكم ويقوّي إيمانكم" (١تس ٣: ٢). هو يعمل مع الله، يداً بيد، فكيف لا ينجح؟ ويتابع الرسول كلامه: "الآن رجع إلينا تيموتاوس من عندكم وبشّر بما أنتم عليه من إيمان ومحبّة، وقال لنا إنّكم تذكروننا بالخير، وتشتاقون إلى رؤيتنا كما نشتاق إلى رؤيتكم" (آ ٦).

وقبل أن يكتب بولس إلى كنيسة كورنتوس، مهّد لكتابته ببعثة تيموتاوس. قال: "ولذلك أرسلت إليكم ابني الحبيب الأمين في الربّ، وهو يذكّركم بمسيرتي في المسيح يسوع، كما أُعلّمها في كلّ مكان وفي جميع الكنائس" (١ كو ٤: ١٧). لماذا الكلام عن "سيرة" بولس؟ لأنّ الهجوم بدأ عليه: هو رسول من الدرجة الثانية. هو ما رافق الربّ في حياته على الأرض، شأنه شأن بطرس ويعقوب ويوحنّا. وما يدلّ على ذلك ردّة الفعل لدى هؤلاء الخصوم: "انتفخوا من الكبرياء" (آ ١٨)، فودّ بولس أن يعرف "لا ما يقوله هؤلاء المتكبّرون، بل ما يفعلونه؛ فملكوت الله لا يكون بالكلام، بل بالفعل. أيّما تفضّلون؟ أن أجيء إليكم بالعصا أم بالمحبّة وروح الوداعة؟" (آ ١٩-٢١).

لا بدّ من شخص يأتي إلى الكورنثيّين "بروح الوداعة" (πνευματι τε πραυτητος). هو تيموتاوس يأتي إليهم بالمحبّة (αγαπη). نحتاج إلى شخص "حبيب": "فهو لي ولدٌ حبيب" (τεκνον αγαπητον). يتردّد ما يتعلّق بالمحبّة: نحتاج إلى مرسل أمين (πιστος) هل هي فقط أمانة بشرية؟ كلا، بل هي أيضًا أمانة نابعة من أمانة الرب (εν κυριω). هل هناك مسافة بين الرسول وتلميذه؟ كلاّ؛ فبولس نفسه قال: "هو يعمل مثلي (ως καγω) عمل الرب" (١ كو ١٦: ١٠).

هل انتهت مهمّة تيموتاوس؟ كلاّ. بولس يحتاج إليه. وضعَه في الصورة: هو وحده مع لوقا. يُحسّ بالبرد فيحتاج إلى "عباءته" (٢ تم ٤: ١٣)، وحدّد له أين تركها: في تروّاس عند كاربس. كما يحتاج إلى "الكتب". لا مجال للبقاء محرومًا من الكتب المقدّسة، من "مصاحف الجلد"، فهي النور في خطانا والسراج في سبيلنا (مز ١١٩: ١٠٥).

٣- تركني ديماس، ما وقف أحدٌ معي

في نهاية حياته، ها هو يتطلّع إلى حياة يسوع. الفعل الأول "ترك" (εγκαταλειπω) ديماس بولس، تخلّى عنّي. مثل يسوع في بستان الزيتون: الجميع تركوه وهربوا. أمّا ديماس فربّما ترك الرسالة، خان المهمّة، ولو كان هربه موقّتًا. وكما يسوع صرخ: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مز ٢٢: ٢)، الفعل عينه εγκατελιπες، أما يكون بولس صلّى هذا المزمور وهو في زنزانته، ليكون في ليلة موته شبيهًا بيسوع؟ فهذا المزمور الذي تلاه يسوع، يتحدّث عن الضيق θλιψις . لم يَعُد لدى الانسان قوّة. قال المرتّل الذي أحسّ بالوحدة: "يَبست كالخزف قوّتي، ولساني لصق بحنكي" (آ ١٦). وسبق له فقال: "كالماء سالت قواي، وتفكّكت جميعُ عظامي. صار قلبي مثل الشمع يذوب في داخل صدري" (آ ١٥).

ولماذا هذا الضعف؟ بسبب الأعداء. هم شرسون، وحوش متعطّشة إلى الدماء، يُشبهون الأسد ساعة يزأر على فريسته ويزأر: "أشدّاء كثيرون يطوّقونني، كثيران باشان يُحيطون بي، فاغرين أفواههم عليّ، كأسد مفترس مزمجر" (آ ١٣-١٤).

تحدّث بولس في ٢ تم عن "الأسد" (λεοντος) الذي نجا من فمه (٤: ١٧) (ερρυσθην εκ στοματος). الألفاظ هي هي كما في مز ٢٢. ومن هو الأسد هنا الذي يهدّد بولس في سجنه؟ الجنود أوّلاً الذين سوف يقطعون رأسه. وخصوصًا، هناك يهوذا (يوضاس) آخر اسمه "إسكندر النحّاس" (Αλεξανδρος ο χαλκεὺς) (آ ١٤).

عُرف الإسكندر في أماكن عديدة، ولا بدّ أن تكون الكنيسة الأولى عرفته، وبالأحرى تيموتاوس. هل هو ذلك المذكور في ١ تم ١: ٢٠؟ فالرسول يجمعه مع هيمينايس "اللذين أسلمهما إلى الشيطان ليتعلّمَا أن لا يجدّفَا"، أي ألقى عليهما "الحرم" وأخرجهما من الجماعة بحيث لا يحقّ لهما ممارسة الأسرار مع الكنيسة (رج ١ كو ٥: ٥). نشير إلى أن هيمينايس ذُكر في ٢ تم ٢: ١٧ مع فيليبس. "ماذا نقول عن الاسكندر هذا؟ هو نحّاس أو حدّاد؟

مُوردًا كلام أشعيا: "صوت صارخ في البرّيّة" (لو ٣: ٤). ولكنّه ما توقّف في منتصف الطريق، بل قال: "ويرى كلّ بشر خلاص الله" (آ ٦).

مرقس رافق بولس في الرحلة الرسوليّة الأولى، وكان بعد شابًّا لا خبرة له. ولكن ما شجّعه هو وجود ابن عمّه برنابا في الفريق الرسوليّ (كول ٤: ١٠). غير أنّه خاف من العبور في جبال طورس الصعبة المسالك المليئة باللصوص وقطّاع الطرق. عاد إلى أورشليم حيث يجد بعض "الأمان والراحة". وحرّكه مجمعُ أورشليم، فأراد مرافقة الرسول في الرحلة الرسوليّة الثانية، ولكنّه في النهاية، رافق ابن عمّه إلى قبرص. وتذكر أعمال برنابا[١٤] بعضًا من "سيرة" مرقس: "أنا يوحنّا، رفيق الرسولَين القدّيسَين برنابا وبولس...، حصلتُ الآن على نعمة الروح القدس".

وعاد مرقس في النهاية إلى بولس. أمّا لوقا فتصغير لوقيان، والقريب من لوقيوس. هو رفيق النور. قال عنه التقليد: هو سوريّ من أصل وثنيّ. مهنته طبيب (كول ٤: ١٤)، ولكنّه انتقل من طبّ إلى طبّ. رافق الرسول في رحلاته الرسوليّة، وها هو الآن بقربه. الجميع تركوا ذاك السجين المتألّم في قرارة نفسه، فقال: "لوقا وحده بقيَ معي" (٢ تم ٤: ١١) يُقال إنّ لوقا كتب إنجيله إلى الطبقة المثقّفة في العالم اليونانيّ. كتبه من كورنتوس، تلك المدينة العزيزة على قلب بولس، التي خطبها للمسيح، التي ولدها، فتميّز عن عدد من المعلّمين أتوا إليها. أتُرى هذا الإنجيليّ شارك في اجتماعات المؤمنين، فخرجت من تأمّلهم الرسالة إلى رومة؟ ربّما.

في مناخ بولس كتب لوقا إنجيله: فالمسيح هو كلمة نعمة الله (أع ٢٠: ٢٤). جاء يزور البشر ويدشّن في وسطهم ملكوت الله، ويقول لهم: اليوم هو يوم الخلاص. أمّا الإله الذي يكرز به فهو إله الرحمة. يسوع محرّر البشر، جاء كذلك المخلّص الذي صار صديقَ الخطأة والعشّارين، الذي تضامن مع البشر حتى نهاية حياته على الأرض، فما رفض اللصَّ المرفوع قربه على الصليب: "اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣: ٤٣).

وزّع بولس المهمّات، فبقي تيخيكس وتيموتاوس. تيخيكس اسم يونانيّ يعني "الطارئ"، ما لا يُنتظر. هو مسيحيّ من آسية الصغرى، رافق بولس في رحلته الرسوليّة إلى أورشليم (أع ٢٠: ٤) مع عدد من المرسلين. أرسله بولس إلى أفسس (أف ٦: ٢) وإلى كولوسّي (كول ٤: ٧) لكي يحمل إليه الأخبار من عند كنائس آسية. وها هو يرسله الآن، لأنّ باله مشغول على هذه الكنائس التي تتعرّض للأخطار، على ما يشير سفر الرؤيا.

"يا تيموتاوس"، "تعالَ إليّ سريعًا". الرسول يكتب من قلبه إلى ابنه العزيز. أوّل مرة يُذكَر تيموتاوس (= الذي يخاف الله) الذي يرافق الرسول في الرحلة الثانية، المدعوّة الرحلة الكبرى التي فيها وصل بولس إلى دلماطية (في يوغوسلافيا)، في أع ١٦: ١-٢: "وكان في لسترة تلميذ اسمه تيموتاوس، وهو ابن يهوديّة مؤمنة وأبوه يونانيّ. وكان الإخوة في لسترة يشهدون له شهادة حسنة. فأراد بولس أن يأخذه معه، فختنه لأنّ جميع اليهود هناك كانوا يعرفون أنّ أباه يونانيّ».

تيموتاوس الرفيق المفضّل، رافق بولس إلى تسالونيكي وبيرية، ولكنّه لبث مدّة في بيرية مع سيلا، بانتظار أن يلتحق ببولس بأسرع وقت (أع ١٧: ١٤-١٥). انتظرهما الرسول في أثينة (آ ١٦)، ولكنّهما لحقاه في كورنتوس (أع ١٨: ٥). من كورنتوس كتب بولس رسالة إلى أهل تسالونيكي ووقّعها مع "سلوانس (أو سيلا) وتيموتاوس" (١ تس ١: ١). ما حدث لبولس في تسالونيكي وبيرية، عرفه تيموتاوس، وكذلك ما حصل له في أفسس (أع ١٩: ٢٢).

تسلّم هذا التلميذُ المهمّات من الرسول. أوّلها في تسالونيكي. أُجبر بولس على الهرب، فأرسل تيموتاوس "أخانا العامل مع الله (συνεργον του

(١٤) امتداد الأدب البولسيّ، ص ١٠٠-١٠٤.

أيضًا ٦: ١٨؛ ١ تس ٥: ٢٢). هذا ما نصادفه بشكل واضح في الرسائل الرعويّة (١ تم ٥: ١٠؛ تي ١: ١٦؛ ٣: ١؛ ٢ تم ٢: ٢١؛ ٣: ١٧؛ ٤: ١٨).

لكنّ الواقع هو أكثر تعقيدًا (أع ٢: ٣٦؛ أف ٢: ٢١)، لا سيّما عندما يكون المقصود هو الكتاب المقدّس الذي يُستَشْهَد به كسلطة أو وَفْقَ هذه الآية أو تلك (يو ١٩: ٣٦-٣٧؛ أع ٨: ٣٢، ٣٥؛ رو ١٦: ٢٦؛ ١ بط ٢: ٦)؛ ففي ٢ تم ٣: ١٦، يجب أن تشير عبارةُ **"الكتاب كلّه"** (πᾶσα γραφὴ) عادةً إلى الكتاب المقدّس القانونيّ كلّه باعتباره مُلْهَمًا؛ لكنّ معظم المفسّرين يفهمون العبارة بأنّها تعني "كلّ كتاب"، أو نصًّا أو مقطعًا من الكتاب المقدّس. الحقيقة هي أنّ هذه المفاهيم لا تستبعدُ الواحدَ الآخَر (رج عب ٩: ١٩). إذًا إنّ لمجموع الكتب المقدّسة ولكلّ ما هو مكتوب استنادًا إلى إلهام الله فعاليّةً كبيرةً لصالح الخدمة الراعويّة. وكما أنّ خاتمة ٢ تم ٣: ١٥ تبسط على العهد الجديد ما هو خاصّة الكتب المقدّسة، كذلك تشمل عبارة "كلّ كتاب"، في فكر بولس، الرسائلَ أو كتابات أخرى وضعها هذا أو ذاك من الرسل، كانت تُعْتَبَر مُلهَمَة (١ كو ١٤: ١٨)، معلِّمًا بسلطان الله (١ بط ١: ١٢؛ رج يو ٢١: ٢٤؛ رؤ ١: ١-٣؛ ٢٢: ١٨): "لمّا سمعتم كلمةَ الله منّا وتلقّيتموها، تقبّلتموها لا بأنّها كلمة بشر، بل بأنّها حقًّا كلمةٌ إلهيّة، والتي تظهر فعاليّتها فيكم أنتم المؤمنون" (١ تس ٢: ١٣؛ رج ١ كو ٢: ٤؛ ١٤: ٣٧؛ ٢ كو ٥: ٢٠).

- "مُلْهَم من الله"

إنّ النعتَ "مُلْهَم من الله"، θεόπνευστος[٣٧]، هو تحديد لطابع الكتب "المقدّسة" (ἱερὰ، آ ١٥) وسبب خاصّيّتها. إنّ ما يعطي للكتاب المقدّس قيمة لا مثيل لها، ويميّزه عن كلّ الكتب الأخرى، هو أنّه، كنسمة خارجة من فم الله؛ فهو يوحّد "الحرفَ والروحَ" (πνευμα γράμμα). إنّ هذا الإلهام هو عقيدة من اليهوداويّة المعاصرة، التي انبثقت من النصوص الموحاة. لقد سبقَ داودُ وأنبأ: "روح الربّ يتكلّم بي، وكلامه هو على لساني" (٢ صم ٢٣: ٢؛ رج أع ١: ١٦؛ ٤: ٢٥؛ ٢٨: ٢٥). يكرّر العهد الجديد أنّ الله يتكلّم أو يَعِدُ بأنبيائه (مت ١: ٢٢؛ لو ١: ٧٠؛ رو ١: ٢)، أو أنّ الكتاب المقدّس يقول ويعلن (مت ٢٢: ٢٩-٣٢، ٤٣؛ مر ٧: ١٠، ١٣؛ غل ٣: ٨، ٢٢؛ ٤: ٣٠؛ رو ٩: ١٧)، أو أنّ الروح القدس يعلن (عب ٣: ٧؛ ٩: ٨؛ ١٠: ١٥)؛ إنّ الفعلَين "قال" (λέγει) "وكتب" (γέγραπται) هما مترادفان: "أترى قولي هذا كلامًا بشريًّا؟ أوَلاَ تقول (λέγει) الشريعة ذلك؟ فقد كُتِبَ (γέγραπται) في شريعة موسى: لا تَكُمَّ الثورَ وهو يدوس الحبوب... أمَا من أجلنا حقًّا قال (λέγει) ذلك؟ نعم، من أجلنا كتب (ἐγράφη) ذلك..." (١ كو ٩: ٨-١٠).

إنّ النصوص هي إذًا كلام إلهيّ ("ائتُمنُوا على كلام الله"، رو ٣: ٢)، تَفَوَّهَ به أناسٌ، هم الأنبياء أو يسوع المسيح (عب ١: ١-٢)، مدفوعين بالروح (٢ بط ١: ٢١: "مدفوعين"، φερόμενοι). بالنتيجة (καὶ)، هذه الكتب هي نافعة **ومفيدة** (ὠφέλιμος، ١ تم ٤: ٨؛ تي ٣: ٨؛ رج تي ٣: ٩: "إنّ ذلك حسن ونافع للناس") لرسولٍ يواصل رسالة الأنبياء، لأنّها قادرة أن "تصيّره حكيمًا للخلاص" (σοφίσαι εἰς σωτηρίαν، ٢ تم ٣: ١٥). بالنتيجة، الكتاب المقدّس هو كتاب المعلِّم بامتياز.

- النعمة تنشّىء المؤمنين على حياة البِرّ والتقوى

من الآن وصاعدًا، هي **النعمة** التي تنشّىء المؤمنين على حياة **البِرّ والتقوى**: "فنعمة الله، ينبوع الخلاص لجميع البشر، ظهرت **لتعلّمنا** أن نمتنع عن الكفر وشهوات هذه الدنيا لنعيش بتعقّل وصلاح وتقوى في العالم الحاضر" (تي ٢: ١١-١٢)؛ "ملكوت الله... عدل وسلام وفرح في الروح القدس" (رو ١٤: ١٧)؛ "لا تقترنوا بغير المؤمنين في نير واحد.

(٣٧) Friedrich GERHARD et al, *Theological Dictionary of the New Testament* (*TDNT*), Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 1969, 6. 453-455.

أيّ صلة بين الخير والشر؟ وأيّ علاقة للنور بالظلام؟ " (٢ كو ٦: ١٤).

الرعاة الحقيقيّون هم إذًا "**خُدّام البرّ**": "فلا أقلّ من أن يظهر خَدَمُهُ بمظهر الخَدَمِ الصالحين[٣٨]. هؤلاء عاقبتهم على قدر أعمالهم" (٢ كو ١١: ١٥؛ رج ١ تم ١: ١٠-١١). يعتمد هؤلاء الرعاة مبادئَ بيبليّة للعمل على تنمية تَفَتُّح النعمة، والحصول على النزاهة الخُلُقيّة والدينيّة لدى "كلّ الذين يَدْعُون الربّ": "تجنّب أهواء الشباب، واطلب البرّ والإيمان والمحبّة والسلام مع الذين يدعون الربّ بقلوب طاهرة " (٢ تم ٢: ٢٢).

آ ١٧

- "رَجُلُ اللّه" ὁ τοῦ θεοῦ ἄνθρωπος

لقد وردت هذه العبارة في ١ تم ٦: ١١ حيث نقرأ: "أمّا أنت، يا رجل الله، فتجنَّب هذا كلَّه، واطلب البِرَّ والتقوى والإيمان والمحبّة والصبر والوداعة". "رَجُل الله" هو مَن يمتلك الروح، كصموئيل النبيّ، كما جاء في ١ صم ٩: ٩-١٠: "وكان في ما سبق إذا أراد أحد من بني إسرائيل أن يذهب ليستشير الله يقول: تعالوا نذهب إلى الرائي، لأنّ الذي يُقال له اليوم نبيّ كان يُقال له من قبل راء. فقال شاول لخادمه: حسنًا نذهب إليه. وقصدَا المدينة التي فيها رجل الله". وفي معنى أوسع، يُطلَق اللقب على موسى ("وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته"؛ تث ٣٣: ١)، وداود ("وكان رؤساء اللاويّين... فرقة تتبادل الحمد والتهليل في هيكل الله بحسب وصيّة داود، رجل الله"؛ رج نح ١٢: ٢٤)؛ الخ. إنّ استعمالَ تسمية تُطلَق غالبًا في العهد القديم على الأنبياء (**אִישׁ הָאֱלֹהִים**، رج تث ٣٣: ١؛ ١ صم ٢: ٢٧) تستدعي الانتباه للقدرة الإلهيّة التي ينالها مَن يتولّى القيادة في الكنيسة. لذلك، إنّ فائدة التعليم البيبليّ (٢ تم ٣: ١٦) هي في الواقع لكي يُجيبَ "رَجُلُ الله" (١ تم ٦: ١١)، أي المبشِّر والراعي وكلُّ مؤمن، على دعوته، ويقوم بمهمّته بشكل دقيق وبنّاء.

- "لكي": ἵνα، قد تكون هذه الأداة نهائيّة أو تعبّر عن النتيجة (= ὅπως).

- "ليكون مؤهَّبًا لكلّ عملٍ صالح"

كتب بولس في تي ١: ١٦: "يدّعون أنّهم يعرفون الله، ولكنّهم يُنكرونه في أعمالهم؛ فهم أرجاس عصاة، عاجزون عن كلّ عمل صالح".

النعت ἄρτιος[٣٩]، "**تامّ**"، "**مؤهَّب**"، "حاذق"، "متضلِّع"، "مُتقِن"؛ ويعني أيضًا "منظَّم جيّدًا"، "متداخل بدقّة"، "متناسب مع"، "قادر على"؛ يُقال على الكلام المناسب في ظرف معيّن، وعلى المؤهَّلات السليمة[٤٠]، وهو على نقيض النعت ἄφρων، أي "أحمق"، أو "جاهل"[٤١]. هذا يعني أنّ الكتاب (المقدّس) هو الأداة الصالحة والفعّالة التي وضعها الله بين أيدي خدّامه من أجل تتميم رسالتهم. إذا كان لهذا التعبير هنا تلوينتُه الخُلُقيّة، فهو لا يصوّب على تنشئة تيموتاوس الشخصيّة فحسب، بل على تنشئة خادم المسيح، وعلى كفاءته "الملائمة" للخدمة. باختصار، إنّ **رَجُلَ اللّه هو قبل كلّ شيء رَجُلَ الكتاب المقدّس**.

- مُعَدًّا (ἐξηρτισμένος)

تسمح الخاتمة بأن نفهم أنّ الكتاب (المقدّس) يكفي لكلّ المَهَمّات الرسوليّة. الفعل المركّب ἐξαρτίζω، "وَصَلَ"، "ربطَ"، "جَمَعَ بدقّة"، "سَوَّى بالتمام" (رج خر ٢٨: ٧)، لا يعني فقط "أعدّ"، "هيّأ"، "زوّد"، "أمَدَّ"، بل "أتَمَّ"، "أنجز بشكل نهائيّ"،

(٣٨) AAVV, *Le Ministre et les ministères*, Seuil, Paris, 1974.
(٣٩) نقلت الفولوغاتا النعت ἄρτιος، بكلمة perfectus، وفي اليونانيّة τέλειος.
(٤٠) ἄρτιος, W. BAUER, *A Greek-English Lexicon*..., p. 110.
(٤١) ἄφρων, W. BAUER, *A Greek-English Lexicon*..., p. 127.

كريسكيس، أو كريسانس، اسم لاتينيّ. هو شخص حرّره نيرون. يبدو أنّه كان خزّافًا من غالية (فرنسا الحاليّة)، كما تقول كتابة يونانيّة. انطلق من رومة إلى غالية، لا إلى غلاطية الواقعة في تركيا. هنا نتذكّر تيودور أسقف المصِّيصة: "يسمّي بولس غلاطية ما يُسمّى الآن غالية". وهكذا يكون هذا التلميذ عاد إلى بلده، إلى غالية، ليحمل الانجيل الذي حمله بولس إلى إسبّانية. أتُرى بولس أرسله إلى هناك؟ الأمر معقول.

إن غالية التي احتلّها يوليوس قيصر خلال القرن الأول ق. م.، توسّعت في سيطرة رومانيّة سريعة، وفرضت اللغة اللاتينيّة نفسها، فدُوِّنت فيها الأعمال الإداريّة بحيث غابت اللغة القلتيّة شيئًا فشيئًا. هنا نفهم أن يكون كريسكيس مضى يبشّر في بلاد الغال، لأنّهم يفهمون عليه ويفهم عليهم[١١].

أمّا المسيحيّة فأتت باكرًا إلى غالية، ولكنّ أوّل إشارة إليها نقرأها في "رسالة خدّام المسيح المتجوّلين في ڤيان وليون (فرنسا) إلى إخوتهم في آسية (الصغرى) وفي فريجية (تركيا الحاليّة). في هذه الرسالة كلام عن الاضطّهاد، وبين الأسماء عدد من اليونان والشرقيّين"[١٢].

مضى كريسكيس إلى غلاطية أو بالأحرى غالية، وتيطس إلى دلماطية، على البحر الأدرياتيكيّ، واحد إلى الغرب من رومة، وآخر إلى الشرق. فتيطس هو صديق بولس ورفيقه في الرسالة. لا يُذكَر في سفر الأعمال، بل في الرسائل. إسمه اسم لاتينيّ، أمّا هو فيونانيّ، هداه بولس فرافقه إلى مجمع أورشليم. ما ختنه بولس كما ختن تيموتاوس، بالرغم من الضغوط التي جاءت من هنا وهناك. قال الرسول: "وبعد أربع عشرة سنة، صعدتُ ثانية إلى أورشليم مع برنابا وأخذت معي تيطس" (غل ٢: ١).

تذكّر بولس تيطس الذي لعب دورًا كبيرًا في العلاقات بين الرسول والكورنثيّين، خلال إقامة بولس في أفسس، فكان الوسيطَ قبل وصول الرسول إلى كورنتوس. وإذا قرأنا ٢ كو ٧: ١٤–١٥، نفهم أنّ المهمّة التي كلّفه بها الرسول كانت ناجحة، بحيث عاد بولس إلى كورنتوس واستُقبل استقبالاً لائقًا. وتذكّر بولس كيف اهتمّ تيطس بجمع الإعانات من أجل كنيسة أورشليم (٢ كو ٨: ٦، ١٦، ٢٣؛ ١٢: ١٨). رأى الرسول في تيطس صفات المحاور الجامد والصبور، الذي يعرف أن يجد الكلمات والتصرّف اللازم لإقناع الآخرين. يحمل المصالحة، ويستطيع أن يتدخّل في الأمور الدقيقة.

"ويُضاف إلى عزائنا هذا ازديادُ سرورنا كثيرًا بفرح تيطس، لأنّه لقي منكم جميعًا ما أراح باله. وإذا كنتُ أظهرتُ له افتخاري بكم، فأنا لا أخجل به. فكما صدَقْنا في كلّ ما قلناه لكم، فكذلك صدَقْنا في كلّ افتخارنا بكم لدى تيطس. ويزداد قلبه محبّة لكم، كلّما تذكّر طاعتكم جميعًا وكيف قبلتموه بخوف ورعدة" (٢ كو ٧: ١٣–١٦)[١٣].

مرقس ولوقا الإنجيليّان. لوقا هو قرب الرسول، ولا بدّ أن يأتي مرقس. يبدو أنّ هناك أيقونتَين أرمنيَّتَين، واحدة تصوّر بولس قرب مرقس لكي يكتب إنجيله، فيشدّد بشكل خاصّ على التحرّر من الشريعة الطعاميّة، ولا سيّما حين ينهي جدال يسوع مع اليهود: "وفي قوله هذا جعل يسوع الأطعمة كلّها طاهرة" (مر ٧: ١٩). والأيقونة الثانية تقدّم بولس "يُملي" على لوقا إنجيله؛ فمنذ القديم ربط التقليدُ الأناجيلَ بالرسل، سواء بشكل مباشر كما هو الأمر مع متّى ويوحنّا، أو بشكل غير مباشر. قيل ارتبط مرقس ببطرس، ولوقا ببولس؛ فإنجيل لوقا هو إنجيل الأمم بامتياز، بل إنجيل البشريّة، الذي يربط يسوع بآدم، أبي البشر (لو ٣: ٣٨). عن يسوع قال يوحنّا المعمدان

(١١) Cl. GOUDINEAU, et N. GAUTHIER, “Gaules”, in *DdA*, p. 960-966, ici p. 962; Y. BURNAND, *Les Gallo-Romains*, Paris, PUF, 1996; C. DELAPLACE et J. FRANCE, *Histoire des Gaules (VI^e s av. JC - VI^e s ap. JC)*, Paris, A. Colin 1995, p. 105-173.

(١٢) Voir *DdA*, p. 961; E. GRIFFE, *La Gaule chrétienne à l’époque romaine*, Paris, Letouzey et Ané, 3 vols, 1964-1966.
نقرأ عن بلاد (الغول) في أوسابيوس القيصريّ، **التاريخ الكنسيّ**، الكتاب الخامس، المجلّد الثاني (ترجمة إسكندر شديد)، ص ١١ ي.

(١٣) الخوري بولس الفغالي، **رسالة القدّيس بولس إلى تلميذه تيطس**، الرابطة الكتابيّة، ٢٠٠١، محطّات كتابيّة ٢٣، ص ١٢٦–١٣٦.

وتابع الرسول "القداس"، انتقل من "مائدة الكلمة" إلى "مائدة القربان". "صعد إلى الغرفة العليا وكسر الخبز، وحدّثهم طويلاً إلى الفجر ومضى" (آ ١١). في ذلك الوقت "جاؤوا بالفتى حيًّا" (آ ١٢).

وفي ميليتس مشهد الوداع ووصيّة بولس الأخيرة. "أنا أعرف أنّكم لن تروا وجهي بعد الآن" (آ ٢٥). ذكّرهم برسالته بينهم، باندفاعه، بتجرّده. نبّههم من التعاليم الضالّة: "أنا أعرف أنّ الذئاب الخاطفة ستدخل بينكم بعد رحيلي ولا تشفق على الرعيّة. ويقوم من بينكم أناس ينطقون بالأكاذيب ليضلّلوا التلاميذ فيتبعوهم" (آ ٢٩-٣٠).

"ولمّا ختم بولس كلامه، سجد معهم كلّهم وصلّى. وبكوا كثيرًا وعانقوا بولس وقبّلوه" (آ ٣٦). كانت تلك آخر مرّة يلتقي شيوخ أفسس والمسؤولين فيها. وكانت كلمته الأخيرة: "والآن أستودعُكم الله وكلمة نعمته" (آ ٣٢). وهو الآن يصلّي معهم ولأجلهم. وسلّمهم إلى الله، وهو اليوم يسلّمهم كما يسلّم جميع الكنائس التي مرّ فيها وأسّسها، ولا سيّما كورنتوس حيث بقي أراستس (٢ تم ٤: ٢٠)، أحد معاونيه (أع ١٩: ٢١)، والذي يُرسل سلامهَ في نهاية الرسالة إلى رومة مع "غايس وكوارتُس" (رو ١٦: ٢٣).

٢- أنتم دائمًا في قلبي

حين كان بولس في سجن أفسس وهو مهدَّد بالموت[٨]، كتب إلى أهل فيلبّي وقال لهم: "أنتم دائمًا في قلبي، وكلّكم شركائي في نعمة الله، سواء في السجن أو في الدفاع عن البشارة وتأييدها" (فل ١: ٧). يُمنَع الرسول من رؤية مشاركيه في العمل بالجسد، فيكون معهم بالقلب. وما قرأناه في سجن أفسس، يمكن بالأحرى أن نقرأه في سجن رومة: جميع الذين شاركوه في العمل هم في قلبه؛ فالرسالة جزء من حياة بولس، فكيف يتخلّى عنها وفيه بعضُ الرمق من حياته. هو الذي تمنّى أن يأتي إلى رومة لكي يحمل البشارة إلى أهلها (رو ١: ١٥)، فوصل إليها سجينًا. أتراه ينسى البشارة؟ كلاّ. إذًا، ها هو ينظّم الأمور من عمق سجنه.

من هم الأشخاص الذين كانوا مع بولس في سجنه الثاني؟

أوّلهم ديماس. هو تصغير ديمتريوس. مسيحيّ من رومة، شارك بولس في الرسالة، وأرسل تحيّاته من رومة إلى كنيسة كولوسّي (كو ٤: ١٤). أمّا هنا فنراه يترك بولس "حبًّا بهذه الدنيا" (٢ تم ٤: ٩)، حبًّا بالعالم الحاضر. أتراه استقال من الرسالة؟ أتُراه خاف كما خاف مرقس في أوّل رحلة رسوليّة مع بولس وبرنابا؟ أمّا مرقس فحاول العودة إلى الرسالة، فكان بولس قاسيًا معه، ولكنّنا سوف نجده مع بولس في سجنه الأوّل: "يسلّم عليكم أرسترخس، رفيقي في السجن، ومرقس ابن عمّ برنابا، وهو الذي طلبتُ منكم أن ترحبّوا به" (كو ٤:٩). إذًا، هو بولس يرسل مرقس في مهمّة إلى كولوسّي، كما أرسل في حالات مشابهة تيطس وتيموتاوس. ويبدو أنّ ديماس عاد إلى نفسه بعد الخوف، وإن هو ترك بولس فلم يترك الرسالة. قال فيه يوحنّا الذهبيّ الفمّ: "هرب من الخطر باحثًا عن الهدوء والراحة. إن هو ترك الأمانة، فهو ما ترك الإيمان"[٩].

ولكنّ التقليد اللاحق سوف يكون قاسيًا بالنسبة إليه؛ فإنّ أعمال بولس جعلت ديماس مع هرموجينيس، كخصم بولس الحسود والمرائي[١٠]. وقال بعض الشرّاح: "جحد إيمانه وترك الرسالة" (١ تم ٦: ١٧؛ تي ٢: ١٢). فضّل محبّة هذا الدهر على محبّة الربّ في تجلّيه (٢ تم ٤: ٨). ووُجد في مخطوط في فلورنسا: "صار كاهنًا في هيكل وثني، في تسالونيكي".

(٨) رسالة فيلبّي لم تُكتب من رومة، بل من أفسس. رج الخوري بولس الفغالي، **رسالة القدّيس بولس إلى أهل فيلبّي**، الرابطة الكتابيّة، ١٩٩٦، محطّات كتابيّة، ٤، ص ١٣-١٦. نشعر أن الرسول مهدّد بالموت وهو الآن في السجن حين نقرأ فل ١: ١٣-١٤، وربّما يُرمى للوحوش كما في ١ كو ١٥: ٣٢.

(٩) الخوري بولس الفغالي، رسالة **القدّيس بولس الثانية إلى تلميذه تيموتاوس**، الرابطة الكتابيّة، ٢٠٠٠، محطّات كتابيّة، ٢٢، ص ١٥٠-١٥١.

(١٠) الخوري بولس الفغالي، **امتداد الأدب البولسيّ في الأسفار المنحولة**، الرابطة الكتابيّة، ٢٠٠٨، على هامش الكتاب، ١٤، ص ٢٣.

"أنهى"[٤٢]. يركّز المصدر التامّ بصيغة المجهول (ἐξηρτισμένος) على تمام الإعداد للخدمة؛ فلا ينقص بالتالي التجهيزَ والإعدادَ شيءٌ، طالما أنّ هناك امتلاكًا للكتاب المقدّس، الكتاب المفضَّل لرجُل الله، ورفيقه الملازم لحياته كلِّها، في أيّ إنجاز عمليّ: "فإذا طهّر أحد نفسه من كلّ هذه الشرور، صار إناء شريفًا مقدَّسًا نافعًا لربّه، أهلاً لكلّ عمل صالح" (٢ تم ٢: ٢١؛ رج ١ تم ٥: ١٠)؛ "ذَكِّرِ المؤمنين أن يخضعوا للحكّام وأصحاب السلطة ويطيعوهم، ويكونوا مستعدّين لكلّ عمل صالح" (تي ٣: ١).

٤ – مهمّات المعلّم والأسقف

استنادًا إلى ما تقدّم، وانطلاقًا من التوصية الهامّة والحيويّة، "أمّا أنت فاثبت على ما تعلّمتَه" (٢ تم ٣: ١٤)، يتبيّن لنا أنّ أربع مهمّات تفرض ذاتها في الكنيسة على المعلّم عامّةً وعلى الأسقف خاصّةً، بحسب القدّيس بولس، وهي التالية:

أ) **الأولى**، هي التعليم (διδασκαλία) العقائديّ والرعائيّ بالمعنى النشيط للكلمة، وهي الأعمّ والأهمّ، كما يتبيّن لنا من مقتطفات من تعليم القدّيس بولس في هذا المجال: "واظب على القراءة والوعظ والتعليم إلى أن أجيء" (١ تم ٤: ١٣)؛ "إنتبه لنفسك ولتعليمك وداوم على ذلك، فإذا فعلت خلّصت نفسك وخلّصت سامعيك" (١ تم ٤: ١٦)؛ "وشيوخ الكنيسة الذين يحسنون القيام بعملهم يستحقّون إكرامًا مضاعفًا، وخصوصًا الذين يتعبون في التبشير والتعليم" (٥: ١٧)؛ "وكن أنت نفسك قدوة لهم في العمل الصالح، ورزينًا ومنزَّهًا في تعليمك" (تي ٢: ٧)... في هذا التعليم ينبغي أن يحذو المعلّمُ حذوَ يسوع الذي "كان يسير في أنحاء الجليل، يعلّم في المجامع" (مت ٤: ٢٣؛ أنظر ٩: ٣٥)، وأن يسير على خطى بولس القائل: "به ننادي ونبشّر جميع الناس، ونعلّمهم بكلّ حكمة لنجعل كلّ إنسان كاملاً في المسيح" (كول ١: ٢٨؛ أنظر ٢ تم ٣: ١٠).

يُؤهَّل المعلّم للقيام بذلك بموهبة ينالها: "ومَن له موهبة التعليم فليعلِّم" (رو ١٢: ٧)، ولكن إذا شاء أن يوزّع كلمةَ الحقّ (٢ تم ٢: ١٥) بشكل صحيح ومثمر، عليه أن يعود إلى الكتاب المقدّس أبدًا: "مِن نصِّ الكتاب" (ἀπὸ τῆς γραφῆς): "فبدأ فيلبّس من هذه الفقرة في الكتاب يبشره بيسوع" (أع ٨: ٣٥)؛ "فدخل بولس المجمع كعادته، فجادلهم ثلاثة سبوت، مستعينًا بالكتب المقدّسة" (١٧: ٢)؛ "وكلّ ما جاء قبلاً في الكتب المقدّسة إنّما جاء ليعلّمنا كيف نحصل على الرجاء بما في هذه الكتب من الصبر والعزاء" (رو ١٥: ٤).

ب) **الثانية، الردّ على المضادِّين**، وهذا ما يسمّيه بولس "**الحِجاج**" (ἐλεγμούς)، وهذه الكلمة هي فريدة العهد الجديد. يقول القدّيس بولس: "(على الأسقف أن) يتمسّك بالكلام الصادق الموافق لتعاليمنا، ليكون قادرًا على الوعظ في التعليم الصحيح، والردّ على المعارضين" (تي ١: ٩، ١٣)؛ نصادفها في مز ٣٨: ١٥: "كأنّي إنسان لا سمع له ولا في فمه عتاب". عليه أيضًا الاهتمام بتقويم الجانحين: "أمّا المذنبون فوبّخهم أمام جميع الحاضرين حتّى يخاف غيرهم" (١ تم ٥: ٢٠؛ رج مز ٣٩: ١٢؛ مت ١٨: ١٥؛ ١ كو ١٤: ٢٤).

نحن أمام مَهَمَّة رعويّة بامتياز: "أناشدك... أن تبشّر بكلام الله، وتلحّ في إعلانه بوقته أو بغير وقته، وأن توبّخ وتنذر وتعظ، صابرًا كلّ الصبر في التعليم" (٢ تم ٤: ٢)؛ "هكذا تكلَّمْ وعِظْ ووبِّخْ بما لك من سلطان تامّ" (تي ٢: ١٥)؛ لكن لكي يكون الدَحْض ناجحًا، ولكي يؤدّيَ الشجب إلى التوبة (سي ٢١: ٦)، لا بدَّ من اللجوء إلى كلام الله الذي كسيفِ ذي الحَدَّيْن (رج عب ٤: ١٢).

ج) **الثالثة، هي التقويم**. لا يكفي إيقاف الانحرافات، لأنّ الأهمّ هو الإنهاض والإصلاح والتحسين؛ فمن

(٤٢) ἐξαρτίζω, W. BAUER, *A Greek-English Lexicon...*, p. 273.

أجل وضع إنسانٍ ما من جديد على الدرب الصحيح، لا شيء يعادل ما توفّره حكمةُ النصوصِ المُلْهَمَة وقوّتُها؛ فـ"**التقويم**" (επανόρθωσις هي كلمةٌ فريدةُ العهد الجديد؛ أنظر ١ ملك ١٤: ٣٤؛ ٢ ملك ٢: ٢٢؛ ٥: ٢٠) هو تعبير تقنيّ في التربية بحسب فيلون[٤٣] التي تهدف إلى تصحيح الأخطاء، وإصلاح الأخلاق، وجَعْل السلوك رزينًا وجيّدًا، وجَعْل الشرائع سارية المفعول. إذا كان الله قد أَلْهَمَ ناقلَ السبعينيّة، فذلك بالتحديد لكي يَهَبَ الناسَ **فائدةَ** (ὠφέλιμος) "استعمالِ رسومِه الحكيمةِ والساميةِ من أجل تقويم الحياة[٤٤].

د) **أخيرًا، التأديب**: على المعلِّم أن يُعنى بتنشئة جماعة المؤمنين المسيحيّين، وهذا ما يُعبَّر عنه في هذه الصيغة اليهوديّة الهلّينيّة بشكل نموذجيّ، ἡ ἐν δικαιοσύνη παιδεία، أي "**التأديب في البِرّ**". كان "التأديب" (παιδεία) الهلّينيّ يُعلِّمُ فنًّا يقضي بأن يكون المرءُ إنسانًا صادقًا؛ أمّا التأديب لدى الشعب المختار فكان يجمع بين التعليم والتَمَرُّس من أجل امتلاك ملء الفضائل. إنّ التأديب هو عمل أبويّ، كما يعلّم بولس في رسالته إلى الأفسسيّين: "وأنتم، أيّها الآباء، لا تُثيروا غضب أبنائكم، بل ربّوهم حسب وصايا الربّ وتأديبه" (أف ٦: ٤). ولدينا في سفر الأمثال كلام مماثل: "أدّب ابنك فيريحك ويهب لنفسك المسرّة" (أم ٢٩: ١٧)؛ هذا التأديب هو عملُ تثقيفٍ عامّ تحت مظلّة مخافة الله والكتاب المقدّس[٤٥]: "مخافة الربّ دليل حكمة" (أم ١٥: ٣٣)، لأنّ الحكماء لم يكونوا سوى معاونين في "التربية الإلهيّة"[٤٦].

خلاصة

لقد استعرضنا في هذه العجالة مجمل النصائح التي استودعها القدّيس بولس تلميذَه الحبيبَ تيموتاوس، والتي تضمّنت نوعًا من المذكّرة التاريخيّة (٢ تم ٣: ١٠–١٢)، من جهة، ودعوة إلى الثبات (آ ١٣–١٧)، من جهة ثانية[٤٧]. فَممَّا تقدّم نستنتج أنّ الرسول يوصي تلميذَه الحبيب باعتماد **مواقف ثلاثة** في خدمته الرسوليّة والأسقفيّة، هي التالية:

١) **الهرب**[٤٨] **من الهراطقة** أو، كما يعني الفعل ἀποτρέπου، حرفيًّا، "تحاشيها"[٤٩] (٢ تم ٣: ٥)، وعدم ترك عدوى الأمثلة السيّئة تلحق به أو تؤثّر فيه[٥٠] (آ ١–٩)، لكي يبقى على الأمانة، ويكون قادرًا على أن "يفصّل كلمة الحقّ على وجه مستقيم" (٢ تم ٣: ١٥).

إنّ **الهرب** من الشرّ أمرٌ مُلِحٌّ أوصى

(٤٣) فيلون، **حياة موسى** ٢: ٣٦. ر ج κατορθόω في أم ٩: ٦: "أتركوا الجهالة فتحيوا، وسيروا في طريق الفطنة".

(٤٤) تعني المفردة ἐπανόρθωσιν "التصحيح"، "الترميم"، "التقويم" (رج ١ عز ٨: ٥٢؛ ١ ملك ١٤: ٣٤؛ ٢ ملك ٢: ٢٢)...

(٤٥) "هذه أمثال سليمان...، وغايتها أن تعرّفك الحكمة وحسن الرأي، وتبيّن لك الكلام المبين، وأن تعلّمك مشورة العقلاء والحقّ والعدل والاستقامة، وأن تهب الفتيان تعقُّلاً، والشباب معرفة وتدبيرًا...؛ فرأس المعرفة مخافة الربّ، والحمقى يحتقرون الحكمة والفهم" (أم ١: ١–٧).

(٤٦) لدينا في الرسالة إلى العبرانيّين تعليم هامّ ومعبّر: "ولعلّكم نسيتم الكلام الذي يخاطبكم كبنين: لا تحتقر، يا ابني، تأديب الربّ، ولا تيأس إذا وبّخك، لأنّ مَن يحبّه الربّ يؤدّبه، ويجلد كلّ ابن يرتضيه. فتحمّلوا التأديب، والله إنّما يعاملكم معاملة البنين، وأيّ ابن لا يؤدّبه أبوه؟ فإذا كان لا نصيب لكم من هذا التأديب، وهو من نصيب جميع البنين، فأنتم ثمرة الزنى لا بنون. كان آباؤنا في الجسد يؤدّبوننا وكنّا نهابهم، أفلا نخضع بالأحرى لأبينا في الروح لننال الحياة؟ هم كانوا يؤدّبوننا لوقت قصير وكما يستحسنون، وأمّا الله فيؤدّبنا لخيرنا فنشاركه في قداسته. ولكن كلّ تأديب يبدو في ساعته باعثًا على الحزن، لا على الفرح، إلاّ أنّه يعود في ما بعد على الذين عانوه بثمر البرّ والسلام" (عب ١٢: ٥–١١).

(٤٧) دونالد جوثري، **الرسائل الرعوية**، تعريب نكلس نسيم، سلسلة التفسير الحديث للكتاب المقدس ١٦، ١٧، ١٨، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٩٢–١٩٨.

(٤٨) إنّ الهرب من العالَم ومن الخطيئة هو مسألة حياة وموت بالنسبة إلى المؤمن، وخاصّةً بالنسبة إلى مَن يتولّى المسؤوليّة في الكنيسة. فـ"في المعنى الكتابيّ، يعني العالَمُ بصورة عامّة الإنسانَ الذي بالخطيئة ينكمش عن الله وعن العطيّة التي يقدّمها في النعمة... الابتعاد عن هذا العالَم هو واجب على كلّ مسيحيّ..." (**معجم اللاهوت الكاثوليكي**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٦٠).

(٤٩) من الفعل ἀποτρέπω، "ابتعد أو أعرِضْ عن"، "تحاشى": "أعرِضْ عن أولئك الناس" (٢ تم ٣: ٥).

(٥٠) لدينا في الأدب الحكميّ في العهد القديم العديد من التعاليم التي تدعو إلى الهرب من الأمثلة السيّئة، خاصّة في سفرَي الأمثال ويشوع بن سيراخ وفي غيرهما.

«سقطت» أرطاميس ومعها سائر الأصنام، إن لم يكن الآن، فبعد وقت قصير أو طويل. وستصبح أفسس مدينة العذراء مريم.

وتذكّر بولس ما حدث له مع "أبناء سكاوا": في الأصل، هو شرّ يضرّ بالرسالة. ولكن في النهاية، الله يحوّل الشرّ إلى خير. ماذا كانت النتيجة؟ "سمع أهل أفسس كلّهم، من يهود ويونانيّين بهذه الحادثة، فملأهم الخوف، وتعظّم اسمُ الربّ يسوع" (آ ١٧). هؤلاء الذين يتاجرون باسم يسوع ويستخدمون اسمه (آ ١٣) نالوا عقابهم. الربّ هو الذي دافع عن اسمه؛ فقال الروح الشرير: "أنا أعرف يسوع وأعلم من هو بولس" (آ ١٥). أمّا الخوف فهو خوف مقدّس من قدرة الله التي تعمل بواسطة مرسَليه. وفي أيّ حال، عاد المجد لله، لا للبشر. وكما "دُمّرت" الأوثان، سوف تزول أعمال السحر: "فجاء الكثير من المؤمنين يعترفون ويُقرّون بما يمارسون من أعمال السحر، وجَمَع كثيرٌ من المشعوذين كتبهم وأحرقوها أمام أنظار الناس كلهم، وحسبوا ثمن هذه الكتب، فبلغ خمسين ألف درهم" (آ ١٩).

آمنوا فما تأخّروا في التعبير عن إيمانهم. أناس تركوا أصنامهم، وآخرون تركوا هذه "الترهّات" التي هي أعمال السحر بما فيها من كذب وتدجيل. زالت الحواجز أمام البشارة، فاستخلص القديس لوقا: "بقدرة الربّ، كانت الكلمة تنمو وتتقوّى" (آ ٢٠). الكلمة هي يسوع المسيح كما نقرأ في أع ٦: ٧ في خطّ الإنجيل: "وكان الطفل يسوع ينمو ويتقوّى ويمتلئ حكمة" (لو ٢: ٤٠).

طالت إقامة الرسول، ثلاث سنوات، ففتح "مدرسة"، وكان يعلّم كلّ يوم، "من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر إلى الساعة الرابعة بعد الظهر"، أي ساعة الغداء والقيلولة، وهو وقت لا يقدر صاحبُها أن يعلّم فيه. مدرسة تخصّ تيرانوس، أحد معلّمي البلاغة في المدينة، أو هو قدّمها، أو هو أجَّرها. ومهما يكن من أمر، كان لهذه "المدرسة" إشعاع كبير، "حتّى سمع جميع سكان آسية من يهود ويونانيين كلام الربّ" (أع ١٩: ١٠).

كلّ هذا تذكّره بولس من غياهب سجنه. كما تذكّر أولئك الذين وسّعوا الرسالة، فما انحصرت في أفسس، بل امتدّت إلى كولوسّي، مع "إبّفراس رفيقنا الحبيب في العمل والخادم الأمين للمسيح عندكم" (كول ١: ٧). ولا شكّ في أن أرخبُّس كان أيضًا من كولوسي (فلم ١٣؛ كول ٤: ١٧)، فعمل مع العاملين، وصولاً إلى لاودكية، تلك المدينة (التركيّة اليوم، قرب دنيزلي) التي بناها أنطيوخس الثاني خلال القرن الثالث، وربّما إلى هيرابّوليس القريبة.

وفي النهاية، يتذكّر الرسول تَرواس، تلك المدينة الواقفة على الشاطئ الآسيويّ لمضيق الدردنيل. أسّسها الإسكندر تذكّرًا لملحمة هومير (الألياذة). كانت مدينة حرّة ومرفأ هامًّا. أبحر منه بولس مرّة أولى (أع ١٦: ٨، ١١) من أجل الدخول إلى أوروبّا في نيابّوليس. ومرّة ثانية حين أراد الذهاب إلى كورنتوس، فإذا هو يُجبَر على الذهاب إلى مكدونية، لأنّه ما وجد تيطس أخاه (٢ كو ٢: ١٢).

ذكريات في تَرواس، ثمّ في ميليتس، تلك المدينة التي استوطنها منذ القدم أناس من جزيرة كريت. توقّف فيها بولس "لأنّه رأى أن يتجاوز أفسس في البحر لئلاّ يتأخّر في آسية، وهو يريد السرعة لعلّه يصل إلى أورشليم في يوم الخمسين" (أع ٢٠: ١٥-١٦).

في تَرواس التأمت الجماعة يوم الأحد "لكسر الخبز"، أي للاحتفال بالإفخارستيّا. القسم الأول هو قسم الكلمة؛ تكلّم بولس "وأطال الكلام إلى منتصف الليل" (آ ٧)؛ في ذلك الوقت، سقط "فتى اسمه أفتيخوس كان جالسًا عند النافذة وأخذه النعاس" (آ ٨). هنا تصرّف الرسول كما تصرّف معلّمُه حين أتى إلى بيت يائيرس رئيس المجمع: "ما ماتت الصبيّة، لكنّها نائمة!" (مر ٥: ٣٩). وبولس قال: "لا تقلقوا، فهو حيّ" (أع ٢٠: ١٠أ). وفعل كما فعل إيليّا: "ارتمى على الولد وحضنه" (آ ١٠ب).

كنيسة غلاطية جعلها بولس عند الصليب، فسارت معه، ولكنّها ضلّت كما ضلّت "حوّاء" (٢ كو ١١: ١٣). ففي غلاطية كما في كورنتوس، جاء من يشوّش على الرسول. هو ما عرف المسيح بالجسد. إذًا يحتاج إلى رسائل توصية. هو ليس على مستوى العُمُد، أي بطرس ويعقوب ويوحنا. وأهمّ من كل هذا، رجع الغلاطيّون إلى الوراء؛ بعد أن صاروا مسيحيّين، ها هم يعودون إلى الممارسات اليهوديّة.

هم أبناء سارة، صاروا أبناء هاجر. هم أبناء الحرّة، عادوا إلى العبوديّة، فكان الرسول قاسيًا معهم: "أيّها الغلاطيّون الأغبياء! مَن الذي سحر عقولكم، أنتم الذين ارتسم المسيح أمام عيونكم مصلوبًا؟" (غل ٣: ١).

هل اقتنعوا منه، أم ارتضوا أن يبقوا قاصرين؟ كان العبدُ يقود الولد إلى المدرسة؛ فهل يبقى الولدُ ولدًا؟ والشريعة هي "مربّية" تقود الناس إلى المسيح، فهل يبقى الغلاطيّون تحت الوصاية أم يتذكّرون أقوال الرسول: "فلما تمّ ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا لامرأة، وعاش في حكم الشريعة، ليفتدي الذين هم في حكم الشريعة، حتى نصير نحن أبناء الله"(غل ٤: ٤-٥)؟ أنت ابن، فهل تتخلّى عن البنوّة؟ أنت وارث، فهل تحتاج بعدُ إلى وكيل؟ أنت تدعو الله "أبّا" كما الطفل يدعو والده، فلماذا تخاف خوف العبيد وتضع النير على كتفك؟[٥].

* * *

دلماطية. هي مقاطعة رومانيّة. تجاور الليريكون الواقع بين البحر الأدرياتيكيّ والساف، ذاك النهر الذي يولَد في سلوفينيا، ويصبّ في الدانوب في بلغراد، عاصمة يوغوسلافيا القديمة. هذه المقاطعة المتوسّطيّة التي تأثّرت باكرًا بالحضارة اليونانيّة (منذ القرن السابع ق.م.)[٦]، وصل إليها الرسول الذي تحدّث عن امتداد الرسالة، رسالته والفريق العامل معه، من أورشليم إلى الليريكون. يبدو أنّ بولس بشّر هذه المنطقة السلافيّة خلال الرحلة الرسوليّة الثالثة (أع ٢٠: ١-٣).

إلى هناك مضى بولس، وتمنّى أن يصل إلى حدود الأرض المعروفة إلى جبل طارق، الذي دُعيَ في الماضي عمود هرقل. هكذا تكون البشارة وصلت إلى أقاصي الأرض. هذه التسميات تدلّ على أنّ الرسول قضى زمن رسالته في رواح ومجيء، لأنّه ما أراد أن يبني على أساس غيره، ولا هو اعتبر نفسه يعمل عملاً عظيمًا حين يحمل البشارة. قال عن نفسه: "الويل لي إن لم أبشّر". وهكذا رأيناه يبشّر حتى في سجن رومة، كما في السفينة التي كانت تُقلّه سجينًا بعد أن رَفع دعواه إلى قيصر.

وها نحن نصل إلى أفسس. ذكريات في أفسس عاشها الرسول، وكأنّي به توقّف عن السفر، فلبث في تلك المدينة ثلاث سنوات، وهكذا امتدّت الرسالة إلى البعيد. أفسس هي سلجوك اليوم، في تركيا؛ مدينة تغوص في القدم، وتعود إلى الألف الثاني. عرفت باكرًا الحضارة اليونانيّة، وإن احتلّها الفرس فترة من الزمن. منذ سنة ١٢٩ ق.م.، هي عاصمة آسية[٧] الصغرى المشهورة بغناها.

تذكّر بولس خبرته الرائعة في هذه المدينة المشهورة بمعبدها المكرّس للإلاهة أرطاميس. قال رئيس الصاغة: "تعرفون، أيّها الإخوان، أنّ رخاءنا يقوم على هذه الصناعة" (أع ١٩: ٢٥)، صناعة تماثيل صغيرة لأرطاميس يحملها "الحجّاج" إلى بيوتهم. وهكذا

(٥) A. MEHAT, "Galates, Epître", in *Dict. Enc. de la Bible* (=*DEB*), Brepols 1987, p. 513-514; J.J. COUNTERS, *St Paul's Opponents and their Background*, Leiden, 1973; B.H. BRINSMEAD, *Galatians. Dialogical Response to Opponents*, Chico, 1982.

(٦) J. PISO, et J.-P CAILLET, "Dalmatie", in *DdA*, p. 626-628; P. CHEVALIER, *Ecclesiae Dalmatiae*, Rome, EFR, 1996; E. DEMOUGEOT, "Le partage des provinces de l'Illyricum entre la pars occidentis et la pars orientis, de la Tétrarchie au règne de Théodose", in coll., *La géographie administrative et politique d'Alexandre à Mahomet*, Leyde, Brill, 1981, p. 229-253.
نشير إلى أنّ دلماطية تقابل اليوم كرواتيا، بوسنيا هرزيغوفين، الجبل الأسود، شمال ألبانيا.

(٧) قابلت آسية: كارية، ليدية، ميسية، فريجية الكبرى، فريجية التي على الدردانيل (أع ١٦: ٦؛ ١٩: ١٠؛ ٢٠: ١٦؛ ٢ كو ١: ٨؛ ١ بط ١: ١).
DEB. p. 154, art de C. SAVLNIER; J. MAGIE, *Roman Rule in Asia Minor*, Princeton, 1950; R. MARTIN, *L'urbanisme dans la Grèce antique*, Paris, 1974.

به العهدان القديم والجديد؛ ففي أي ٢٨ : ٢٨ يضع الكاتبُ "الهربَ من الشرّ" في موازاة "مخافة الله"، حيث نقرأ: "إنّ مخافة الربّ هي الحكمة، واجتنابَ الشرِّ هو الفطنة"؛ وابن سيراخ يقول: "أهرب من الخطيئة هربك من الحيّة" (سي ٢١: ٢)؛ أمّا القدّيس بولس فيقول لأهل كورنتس: "أهربوا من الزنى، فكلّ خطيئة يرتكبها الإنسان هي خارجة عن جسده، أمّا الزاني فهو يخطأ إلى جسده" (١ كو ٦: ١٨)؛ "أهربوا، يا أحبّائي، من عبادة الأوثان" (١٠: ١٤)؛ "أهرب من أهواء الشباب، واطلب البرّ والإيمان والمحبّة والسلام مع الذين يدعون الربّ بقلب طاهر" (٢ تم ٢: ٢٢).

أمّا "الهرطقة فهي نظريّة مغلوطة في الأمور الإيمانيّة...، أو نفيٌ للعقيدة... ولقد تنبّأ يسوع نفسه (مر ١٣: ٦؛ مت ١٣: ٢٤-٣٩) أن هكذا سيكون في كنيسته؛ والنصوص الرسوليّة في العهد الجديد تشهد لأمور عديدة من هذه الهرطقات. نجد في ملامح العهد الجديد الأولى ميلاً لدى الإخوة الكاذبين إلى الانفصال عن الكنيسة وإلى تأليف كنيسة خاصّة بهم"[٥١]. هذا ما أنبأ به القدّيس بولس، كما جاء في كتاب أعمال الرسل: "ويقوم من بينكم أنفسكم أناس يتكلّمون بالضلال ليحملوا التلاميذ على اتّباعهم" (أع ٢٠: ٣٠)؛ أو كما كتب إلى أهل كولسّي: "ولا يحرمنّكم أحد إيّاها رغبة منه في التخشّع وفي التعبّد للملائكة، فهو يمعن النظر في ما يراه، وذهنه البشريّ يجعله ينتفخ من الكبرياء بأوهامه" (كول ٢: ١٨).

٢) التقوّي بِمَثَل[٥٢] الرسول (آ ١٠-١٢)، والثبات على الأمانة للتعليم الذي حفظه التقليد (μένε ἐν οἷς ἔμαθες، آ ١٤)؛ فلقد اعتاد بولس أن يقوم بهذا الدور الداعم والمنشِّط بِمَثَله وبكلمته، كما فعل وبرنابا عندما عبرا "لسترة وأيقونية فأنطاكية يشدّدان عزائم التلاميذ، ويحثّانهم على الثبات في الإيمان" (أع ١٤: ٢١-٢٢) . إنّ التقوّي بحدّ ذاته هو ضرورة وحاجة في حياة المؤمن عامّةً وفي خدمة الرسول خاصّةً؛ فالإنجيليّ لوقا يخبر عن يسوع بالذات أنّه "كان ينمو ويتقوّى (أو يشتدّ)" (لو ٢: ٤٠). وفي أع ١٤: ٢٢ نرى بولس وبرنابا "يشدّدان عزائم التلاميذ. "ويوصي بولس أهل كولسّي بأن يكونوا "متقوّين كلَّ قوّة بقدرته العزيزة" (كول ١: ١١). أمّا هنا في ٢ تم ٣: ١٠-١٢، فإنّ أمام ناظرَي تيموتاوسَ صورةَ معلّمِه الذي لم يضعف البتّة أمام الآلام والصعوبات وجسامة المسؤوليّات لأنّه يتقوّى أبدًا بالربّ، ويقوم بعمله الرسوليّ بقدرة الله العاملة فيه: "أتعب وأجاهد بفضل قدرته التي تعمل فيّ عملاً قويًّا" (كول ١: ٢٩). هوكإسطفانوس الذي "كان مملوءًا قوّةً ونعمةً" (أع ٦: ٨)، فلم يضعف و لم ينثنِ أمام الاستشهاد كمعلّمه يسوع.

٣) تَعَلُّم الكتاب المقدّس وغَرْفُ المعرفة منه (آ ١٥-١٧)، الأمر الذي يسمح بذات الفعل باقتناء هذا السلاح الفعّال الذي يسمح بمحاربة الهرطقات والانتصار عليها، من جهة، وبتعليم النفوس وبتخليصها، من جهة ثانية. إنّ البراعة في معرفة الكتاب المقدّس هي إعداد رَجُلِ الله وتجهيزُه ليصبح أهلاً (ἄρτιος، آ ١٧) للقيام بخدمته بأفضل ما يكون. في الواقع، تشكّل آ ١٥-١٧ **الوثيقةَ البيبليّةَ الأوضحَ حول طبيعة الكتاب المقدّس**؛ فمن ناحية أولى هو مُلْهَم من الله، الذي يتكلّم على لسان أناس مملوئين من روحه أو يكتب

(٥١) **معجم اللاهوت الكاثوليكيّ**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٥٢) بولس هو في خطّ العديدين من العهدَين القديم والجديد في اتّباع مثَل السلَف أو الأكبر سنًّا، والسير على خطاه والاعتصام به: "وسار يوشيّا على جميع طرق داود أبيه، و لم يَحِدْ عنها يمنةً ولا يسرةً" (٢ مل ٢٢: ١-٢)؛ "وكان الربّ مع يوشافاط، لأنّه سار في "طرق داود أبيه الأولى" (٢ أخ ١٧: ٣)؛ "وأبقيت للشبّان قدوةً بطولة" (٢ مك ٦: ٢٨). في العهد الجديد، يعطي يسوع ذاته قدوةً لتلاميذه قائلاً: "فقد جعلت لكم من نفسي قدوة لتصنعوا أنتم أيضًا ما صنعت إليكم" (يو ١٣: ١٥)؛ كذلك القدّيس بولس الذي يوصي مؤمني كورنتس قائلاً: "إقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح" (١ كو ١١: ١)؛ والقدّيس يعقوب الرسول: "إقتدوا، أيّها الإخوة، بالأنبياء الذين تكلّموا باسم الربّ في ألمهم وصبرهم" (يع ٥: ١٠)؛ والقدّيس بطرس: "فقد تألّم المسيح أيضًا من أجلكم، وترك لكم مثالاً لتقتفوا آثاره" (١ بط ١: ١٥)؛ الخ.

بيدهم، كما يقول القدّيس بطرس: "لم تأت نبوءة قطّ بإرادة بشر، ولكنّ الروح القدس حمل بعض الناس على أن يتكلّموا من قبل الله" (٢ بط ١: ٢١؛ رج مت ٢٢: ٤٣)؛ من جهة ثانية، هو مركَّز على المسيح، ويُفضي بالتالي إلى الخلاص. تأتي قداسة العهدَين القديم والجديد إذًا من أصلهما ومن هدفهما بالذات؛ ويستطيع المؤمن أن يمتلك هذه الفضيلة بالتعلُّم وبالإيمان، لكن خاصّةً بالمواظبة على القراءة اليوميّة للكتاب المقدّس.

ستبقى هذه النصائح تعاليمَ أساسيّة لحياة رجل الله، ولجميع أولاد كنيسة المسيح يسوع.

المراجع

بطرس البستاني، **محيط المحيط. قاموس مطوَّل للغة العربيّة**، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٧.

جوثرى دونالد، **الرسائل الرعويّة**، تعريب نكلس نسيم، سلسلة التفسير الحديث للكتاب المقدس ١٦، ١٧، ١٨، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٤.

شهوان أيوب، "١ تم ١: ٣-٧. مهمّة تيموتاوس: مواجهة التضليل ونقل البشارة بأمانة"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ١٩-٣٠.

فصول الآباء، פרקי אבות، نقلها من العبريّة إميل عقيقي، سلسلة الأدب الرابّينيّ ٢، كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ٢٠٠٨.

فغالي (الـ) بولس (تقديم وتعريب)، **نظام الجماعة**، في: كتابات قمران، ج ١، سلسلة على هامش الكتاب ١، الرابطة الكتابيّة، لبنان ١٩٩٧.

---(تقديم وتعريب)، **وصيّات الآباء الاثني عشر، وصيّة إبراهيم، وصيّة موسى، وصيّة أيّوب**، سلسلة على هامش الكتاب ٤، الرابطة الكتابيّة، لبنان ٢٠٠٠.

---، **رسالة القدّيس بولس الثانية إلى تلميذه تيموتاوس**، سلسلة محطّات كتابيّة ٢٢، لبنان ٢٠٠١.

---، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، بيروت ٢٠٠٣.

قاموس الكتاب المقدّس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧١.

كتاب (الـ) المقدّس، العهد الجديد، إونجليون، جامعة الروح القدس، الكسليك ١٩٩٢.

كتاب (الـ) المقدّس، العهد الجديد، الترجمة الليتورجيّة، منشورات طريق المحبّة ٢٠٠٣.

معجم اللاهوت الكاثوليكيّ، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥.

معجم اللاهوت الكتابيّ، دار المشرق، بيروت ١٩٧٤.

AAVV, *Le Ministre et les ministères*, Seuil, Paris, 1974.

BAUER W., *A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature*, The University of Chicago Press, Chicago and London 1979.

BRAUN H., *Qumran und das N.T.*, Tübingen 1966.

CARMIGNAC J., *Les textes de Qumran*, Paris 1961-1963.

GERHARD Friedrich et al, *Theological Dictionary of the New Testament* (*TDNT*), Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 1969.

MILLIARD A.R. *Reading and Writing in the Time of Jesus*, Scheffield Academic Press 2000.

MOULE C. F. D., *The Birth of the NT*, New York 1962.

MUNCK J., "Discours d'adieu dans le NT ", in *Mélanges M. Goguel*, Paris 1950.

New (*The*) *Jerome Biblical Commentary*, Prentice-Hall, London 1990.

SPICQ C., *Les épîtres pastorales*, coll. Études bibliques, Gabalda, Paris 1969.

Théological Dictionary of the New testament (TDNT).

الرومانيّة. بدأت أسوارها تمتدّ على أحد عشر كيلومترًا. وسوف تتوسّع وتتوسّع فتضم مليون نسمة. وماذا يكون بولس في هذا الخضمّ؟ هو في سجن صغير. ربّما تحت الأرض، بالقرب من الكابيتول، أو في مقاطع لاوتومية المحفوظة للعبيد. من يهتمّ به؟ لا أحد. وحين يُقطع رأسه على طريق أوستيا، لا تتغيّر الحياة في عاصمة الأمبراطوريّة. أمّا بولس فلا يمكن أن يُسجَن في رومة، ولا داخل جدران سجنه.

مضى نظر الرسول إلى تسالونيك، تلك المدينة التي أسّسها كاسندري، بحسب تقليد رواه ستربوان (٦٣ ق. م. – ٢٥ ب. م.)، سنة ٣١٦ ق. م. تقريبًا، ودعاها باسم امرأته. كانت عاصمةَ مكدونية. تذكّر بولس لمّا جاء إليها مع الفريق الرسوليّ، ولا سيّما سيلا، خلال الرحلة الرسوليّة الثانية. وجدها مدينة حرّة يسوسها حكّام[٣]. وفعلَ كما يفعل كلّ مرّة: مضى إلى المجمع: "جادل اليهود ثلاثة سبوت، مستعينًا بالكتب المقدّسة، يشرحها ويبيّن لهم كيف كان يجب على المسيح أن يتألّم ويقوم من بين الأموات. وقال: "يسوع هذا الذي أبشّركم به هو المسيح" (أع ١٧: ٢-٣). تذكّر بولس تلك المدينة التي أُجبر على تركها بسبب "الرعاع" الذين جمعهم اليهود (آ ٥)؛ وتذكّر أنّه كتب إليهم أوّل رسائله: "صرتم مثالاً لجميع المؤمنين في مكدونية وآخائية، لأنّ كلام الربّ انتشر من عندكم، لا إلى مكدونية وبلاد أخائية وحدهما، بل ذاع خبرُ إيمانكم بالله في كلّ مكان" (١ تس ١: ٧-٨). أيّ استقبال استُقبل الرسول من قبل المؤمنين! واهتدوا فتركوا الأوثان...، ولبثوا على إيمانهم وما تزعزعوا[٤].

ترك بولس تسالونيكي بسرعة، ولكنّ تيموتاوس لبث فيها (١ تم ٣: ٢) ساعة كان الرسول في أثينة. ويبدو أنّ بولس عاد إلى أثينة خلال الرحلة الرسوليّة الثالثة، وذلك بعد أن ترك أفسس بسبب الصياح كرامة للإلاهة أرطاميس (أع ٢٠: ١). أحبّ بولس تسالونيكي حبًّا جعل كورنتوس تغار (٢ كو ٢: ١٣)، فكان "لوم" من قِبَل عاصمة أخائية، وأنّ هذا الرجل يتبدّل: تارة يقول أنا آت، وطورًا هو لا يأتي. قال لهم: "أمرٌ بكم في طريقي إلى مكدونية، ثم أرجع من مكدونية إليكم... (٢ كو ١: ١٦). أمرٌ لا يطاق. فأُجبر الرسول أن "يعتذر": "امتنعتُ عن المجيء إلى كورنتوس شفقة عليكم" (آ ٢٣).

كيف يمكن أن ينسى تسالونيكي، وابنها البارّ أرسترخس الذي رافقه في البحر، في رحلته الأخيرة إلى سجن رومة؟ (أع ٢٧: ٢)، وأصابه ما أصاب بولس حين تحطّمت السفينة عند شاطئ مالطا. وسبق له أن رافقه مع سكوندوس المكدونيّ إلى ترواس (أع ٢٠: ٤)، مع آخرين من أماكن مختلفة.

بعد تسالونيكي ذكر بولس غلاطية (٢ تم ٤: ٩). هذه المنطقة الجبليّة، حيث يعيش أناس جاؤوا من أوروبا الغربيّة، وأقاموا حول "أنقيرة" التي هي أنقرة الحاليّة. ما كان الرسول متوجّهًا إليها في الأصل، بل عابرًا عبورًا، ولكن أقعده المرض، فأُجبر على البقاء، وهناك حمل الإنجيل في عدد من القبائل التي حافظت على حياتها القشفة.

تذكّر بولس كيف استقبله السكّان هناك: "مثل ملاك الله، بل المسيح يسوع" (غل ٤: ١٤). اعتاد الناس أن يتطيّروا من المرض وسائر المصائب، ولكنّ الغلاطيّين لم يشعروا هذا الشعور، فقال لهم بولس: "كانت حالتي الجسديّة محنة لكم، فما احتقرتموني ولا كرهتموني، بل قبلتموني" (آ ١٤). أجل، كان الرسول مريضًا (آ ١٣)، فاهتمّوا به واستعدّوا أن يضحّوا بكلّ شيء من أجله. كتب إليهم: "أنا أشهد أنّه، لو أمكن الأمر، لكنتم تقتلعون عيونكم وتُعطوني إيّاها" (آ ١٥).

(٣) πολιταρχος: هم في أصل (αρχη) المدينة (πολις) (أع ١٧: ٦).

(٤) بولس الفغالي، "الرسالتان إلى أهل تسالونيكي" في: **المدخل إلى الكتاب المقدّس**، الجزء الخامس، **من بولس إلى يوحنا وسائر الرسل**، المكتبة البولسيّة، ١٩٩٥، المجموعة الكتابيّة ١، ص ١٩٥-٢٠٨، خصوصًا ص ١٩٦-٢٠٠.

يا تيموتاوس، تعالَ إليَّ سريعًا

٢ تم ٤: ٩-٢٢

الخوري بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

عجيب أمرٌ هذا الرسول. هو في السجن وفي السجن القاسي، ولكنّه ليس محبوسًا. آفاقه العالم كله. ومع أنّه وحده، فحولَه العديدون العديدون. فبَعْد سجن أوّل تحرّر منه سنة ٦٣، مضى إلى اسبانية (رو ٥: ٢٣-٢٨)، وعاد إلى كريت حيث ترك تيطس (تي ١: ٥). من هناك مضى إلى نيكوبوليس في الإبير وفيه قضى فصل الشتاء (أف ٣: ١٢). بعد ذلك، أتى إلى أفسس وسلّم الكنيسة إلى تيموتاوس (١تم ١: ٣) قبل أن ينطلق إلى مكدونية. وإذ أُجبر بولس أن يترك أفسس بشكل نهائيّ، أرسل تيخيكس (٢ تم ٤: ١٢)، ومرّ في تروّاس لدى كاربوس؛ عنده نسي عباءته والكتب، تلك البرديّات التي ترافقه (٢ تم ٤: ١٧). قد يكون أتى بحرًا إلى ميليتس (آ ٢٠) ساعة ما استطاع تروفيمس أن يواصل الطريق. ويبقى أنّ "الملاحقين" قبضوا على بولس في آسية: في تروّاس أو في أفسس، ومن هناك نقلوه إلى رومة، وفيها دوَّن ٢ تم وهو عارف أنّ موته قريب. كلّ جماعة آسية تخلَّوا عنه، وها هو يموت وحده لولا وجود لوقا[١].

هكذا يمكن أن نعيد تصوّر مسيرة بولس حين تركه لوقا في السجن، "يبشّر بملكوت الله، مُعلنًا بكل جرأة وحرّيّة تعليمه في الربّ يسوع" (أع ٢٨: ٣١). نشير هنا إلى أنّ السجن الأوّل سنة ٦١-٦٣ لم يكن قاسيًا. فيه أقام بولس سنتين كاملتين في المنزل[٢] الذي استأجره، يرحِّب بكلّ من يزوره" (آ ٣٠). أمّا السجن الثاني فكان قاسيًا جدًّا؛ فالرسول هو "في القيود" (٢ تم ١: ١٦) مثل "مجرم" (٢: ٩)، لا يسمحون لأحد أن يزوره إلاّ بصعوبة (١: ١٧). وهو يعرف أنّ "ساعة رحيله اقتربت" (٤: ٦).

في مثل هذه الظروف يبقى بولسُ بولسَ، وفي قلبه "الاهتمام بجميع الكنائس" (٢كو ١١: ٢٨). فمن سجنه أرسل نظره إلى مناطق عديدة مرَّ فيها وتذكّر الرسالة. وبعينَيْ قلبه رأى الذين رافقوه هنا وهناك، مع أنّه لم يستطع أن يذكرهم كلّهم. أمَا سبق له أن ذكرهم في الفصل الأخير من الرسالة إلى رومة؟ وفي النهاية، أعلن ألَمه القريبَ من ألم يسوع الذاهب إلى المحاكمة: الأعداء يهاجمون، والأصدقاء تركوه، وإن جاؤوا فهم بعيدون. وربّما أنشد ما أنشد يسوع على صليبه: "إلهي إلهي، لماذا تركتني" (مت ٢٧: ٤٦)، وابتعدتَ عن نجدتي وسماع أنيني؟ إلهي، في النهار أدعو فلا تجيب، وفي الليل فلا تحرّك ساكنًا" (مز ٢٢: ٢-٣).

١- الرسول لا تقف في وجهه المسافات

بولس هو في رومة (٢ تم ١:١٧). كان معه عددٌ من كنيسة آسية. والآن "تخلّوا عنه". ماذا كانت رومة في ذلك الوقت؟ عاصمة الامبراطورية

(١) M. CARREZ, "Les épîtres pastorales", in *Introduction à la Bible*, édition nouvelle. *Le Nouveau Testament* 3. *Les lettres apostoliques*, dir. A. GEORGES et P. GRELOT, Paris, Desclée, 1991 p. 183-199, ici p. 189-199, ici p. 189.

(٢) نتذكّر هنا كيف كان السجن في "القوانين الرومانيّة": يمكن أن يكون قاسيًا داخل أربعة قضبان، أو موسّعًا، فيكون السجين في منزله، ويده مربوطة بيد حارسه. رج:
J.-M. DAVID, Prison (Droit romain), in *Dict. de l'Antiquité*, dir. J. LECLANT, Quadrige, PUF, Paris, 2005 p. 1803 (cité *DdA*); J. U . KRAUSE, *Gefängnisse im romishen Rom*, Stuttgart, 1996, coll. Carcer, *Prison et privation de liberté dans l'Antiquité classique*, Actes du Colloque, Strasbourg 1997, Paris, Brocard 1999.

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد الجديد

الرسائل الرعوية

جامعة الروح القدس - الكسليك

كلية اللاهوت الحبرية

سلسلة الأدب الرابنيّ ②

فصول الآباء

פִּרְקֵי אֲבוֹת

تليها

"الفصول الثمانية"

لرابي موسى بن ميمون

ترجمها من العبرية

الأب إميل عقيقي ر.ل.م.

PUSEK

الجامعة الأنطونية - كلية العلوم اللاهوتية والمسكونية والأديان - دير مار روكز - الدكوانة - لبنان ١٩٩٩ ①

Παῦλος ἀπόστολος Χριστοῦ Ἰησοῦ διὰ θελήματος
θεοῦ καὶ Τιμόθεος ὁ ἀδελφὸς τοῖς ἐν Κολοσσαῖς
ἁγίοις καὶ πιστοῖς ἀδελφοῖς ἐν Χριστῷ· χάρις ὑμῖν
καὶ εἰρήνη ἀπὸ θεοῦ πατρὸς ἡμῶν. Εὐχαριστοῦμεν

رسائل القديس بولس

سلسلة محاضرات

الأباتي بولس التوري — الأب بوعز خوّام

الخوري بولس الفغالي — الأب برنوت الهاشم

الأب ايّوب شروات — الأب انطوان عوكر

اليوبيل المئوي الثالث للرهبانية الانطونية المارونية

أوراق رهبانية

مجلّة رهبانيّة فصليّة

السنة ٣٠ - العدد ٩٣/٩٢ كانون الثاني - حزيران ٢٠٠٨

كلام الله